الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

معهد الثقافة الشعبية

شعبة الأنثروبولوجيا

رسالة ماجستير

الموضوع

الإشاعة
طابعها الإجتماعي و النفسي و الثقافي

مقدمة : من الطالب

منصوري مختار

تحت إشراف : الأستاذة

مشريط عفيفة

السنة الدراسية 1998-1999



الإهداء

- بسم مالك الكون صاحب العرش الذي لا تأخذه سنة و لا نوم و الذي يمهل و لا يهمل.

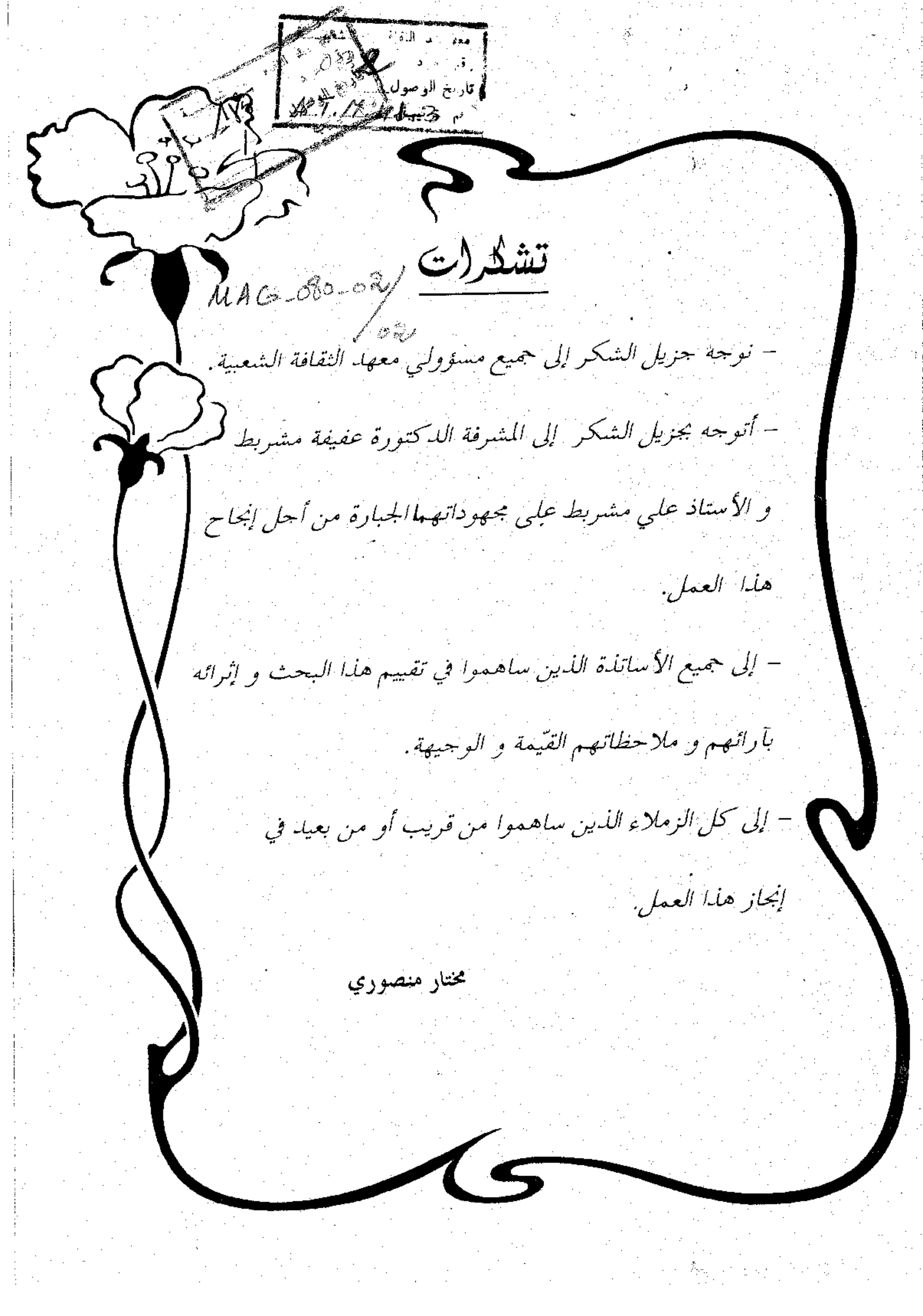
- إلى أمي التي سهرت الليالي من أجلي و تمنت نجاحي.

- إلى أبي الذي تعب لأجلي و تحمل متاعبي كثيرا فكان لي كالشمعة المضيئة التي تحترق لتنفع الغير أرجو الله أن يجعلني خير عون له إن شاء الله.

- إلى عائلتي الكبيرة باسم كل فرد فيها صغيرا و كبيرا.

- و إلى كل أصدقائي.

مختار منصوري



تشكرات

- نوجه جزيل الشكر إلى جميع مسؤولي معهد الثقافة الشعبية.

- أتوجه بجزيل الشكر إلى المشرفة الدكتورة عفيفة مشربط و الأستاذ علي مشربط على مجهوداتهما الجبارة من أجل إنجاح هذا العمل.

- إلى جميع الأساتذة الذين ساهموا في تقييم هذا البحث و إثرائه بآرائهم و ملاحظاتهم القيّمة و الوجيهة.

- إلى كل الزملاء الذين ساهموا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل.

مختار منصوري

مقدمة

خلال مدة التكوين بمعهد الثقافة الشعبية و أثناء التحصيل النظري في اختصاص الأنثروبولوجيا، تبادر إليّ كثير من المواضيع ذات الأهمية المرموقة في الحياة الإجتماعية و الثقافية للإنسان الجزائري، و تتعلق بطرق عيشه و تنظيم شؤونه، و كان أولها " ظاهرة التنغيم في المنطوق اللهجي الجزائري الحديث " دراسة تطبيقية على لهجة تلمسان، و لم يكتب لهذا الموضوع الولادة لأسباب موضوعية حالت دون مواصلة البحث فيه، و كان ثانيها بعنوان "الروابط الإجتماعية و دورها في تنظيم علاقات مجتمع تلمسان "، و تخليت عنه لأنه قد درس من قبل، و لكن دافع البحث و الإستطلاع كان أقوى، كما أن ميادين العلم كثيرة، إذ اهتديت إلى موضوع الإشاعة، طابعها الثقافي، النفسي و الإجتماعي، لأهمية الموضوع في نواحي الحياة المختلفة، و استفحال هذه الظاهرة بشكل واسع في الأوساط الإجتماعية، و انعدام التفسيرات الموضوعية لأسباب وجودها ورواجها.

ثم بدأت بحصر جوانب هذا الموضوع و تحديد الميادين النظرية التي يتعلق بها، فتجلى لي أنه مرتبط كثيرا بعلم النفس و الإجتماع و الأنثروبولوجيا الثقافية و الإعلام و السياسة، و لكن نقص المؤهلات و عدم درايتي ببعض الميادين، جعلني أحصر الموضوع في الجوانب الثقافية و الإجتماعية و النفسية، و أتقيد بالبحث فيها مع مراعات الجوانب الأخرى بالإشارة إليها وتفسير علاقة الإشاعة بها.

و من أقوى الأسباب عدم كفاءتي في ميدان الإقتصاد و السياسة و الإعلام و غيرها من الميادين التي تنتشر الإشاعة فيها، إضافة إلى اتّساع جوانب البحث التي لا يمكن لرسالة ماجيستير أن تجمع بينها مع التحليل و الدراسة المعمقة في كل ميدان، ثم وضعت منهجية أرتب فيها العناصر التي تتم دراستها، و اتّبعت طريقة تعتمد على عرض الآراء و شرحها، ثم المقارنة بينها و تمييزها عن بعضها البعض، و الخروج برأي يكون أكثر شمولية، و حددت المواضيع التي تقترن بها الإشاعة و يمكن لها أن تؤثر في وجودها أو عدمه.

و من هذا المنطلق وضعت خطة أعتمد عليها، وتتكون من خمسة فصول، أولها : أتعرض فيه لمفهوم الإشاعة و مقارنتها ببعض المفاهيم التي تشابهها مثل الأسطورة، حتى

نعرف الظاهرة و نتفادى الخلط بين المفاهيم، ثم نوضح كيفية بنائها و صياغتها، و نقدم نماذج من الإشاعات ونصنّف أنواعها قصد إزالة الإلتباس بينهما.

و ثانيها : أفصّل فيه إجتماعية الإشاعة و حقيقتها في السلوك الجماعي للأفراد وكيفية إستعمالها لأغراض مختلفة، وحاولت في هذا الفصل التمييز بينها و بين موضوع الدعاية، باعتبارهما موضوعين منفصلين، وأردت كذلك الكشف عن الميادين التي تظهر فيها عادة و تؤثر عليها بقوة، و في ختام هذا الفصل أردت إظهار الأسباب الإجتماعية والنفسية والثقافية التي تساعد على إنتشار الإشاعة.

و ثالثها : يتناول الطابع الثقافي للإشاعة و ما للتطور الحاصل في الميدان الثقافي والعلمي من أثر في تسخير الوسائل العلمية لخدمتها، خاصة وسائل الإعلام و أثرها البليغ علىتوجه الرأي العام و تنويره، وحتى لا تفوت الفرصة وضعت عنصرا أحلل فيه الإشاعة في مجتمع وثقافة الجزائر على سبيل الإستشهاد.

أما الفصل الرابع : فخصصته للدراسة النفسية التي تكشف عن دور الفرد في صياغتها و زرعها و نشرها، وتبحث عن الأسباب والدوافع التي تجعل من الفرد و الجماعة عصى طيّعة في يدها، وحاولت قدر الإمكان إظهار الطابع النفسي الذي تتركه الإشاعة، و إبراز وسائل محاربتها و التحصين ضدها وإبطال مفعولها، و أردت في الأخير من خلال فصل خامس و على ضوء الفصول الأربعة التي تشرح كيفية حدوثها، وقيمتها في شتى المجالات تحليل بعض الإشاعات و تقريب ما خلصت إليه من نتائج نظرية إلى القارئ و إعطاء الأمثلة الحية التي تستخلص من زرع بعض الإشاعات في وسط إجتماعي، و استنباط النتائج المتحصل عليها ومعالجتها بإرجاعها إلى تأثير النواحي الثقافية و الإجتماعية و النفسية عليها.

تساؤلات البحث :

إنطلقت في أول الأمر من تساؤلات عديدة حاولت من خلالها التعرف أكثر على الموضوع، فما هي الإشاعة و ما مصادرها؟ وأثرها في حياة الناس، وكيف لها أن تستقطب إهتمام الجماهير و تؤثر على الرأي العام و السلوك الجماعي دون حدود تحصرها و تقيّد من انتشارها، ثم كيف لها أن أصبحت بالأهمية التي تجعل من الدول و الحكومات تخصّص هيئات و طاقات بشرية للبحث فيها و التحكم في سلاحها و إيجاد الحلول للمشاكل المترتّبة

عنها، و لماذا لا تقتصر على زمان معين و على طبقة من المجتمع، و هل ذلك راجع إلى تركيب الإشاعة و موضوعها أم يرجع أساسها إلى من ينشرها و يروجها، أو إلى طبيعة المجتمع الذي تنتشر في أوساطه.

و حاولت من جهة أخرى تشخيص ذلك التماسك بين عدة مجالات في موضوع واحد للإشاعة، فنجد حضور الظاهرة الإجتماعية، و النفسية، و الثقافية، في موضوعها في آن واحد ونلمس تأثير الميادين الإقتصادية و السياسية والإعلامية و العسكرية في توجيهها و تزكيتها.

و الجانب الحيوي في دراسة هذا الموضوع هو حقيقة الإشاعة و كيفية ظهورها و مادتها التي تقوم عليها، زيادة على إنتقالها بين شرائح المجتمع و طبقاته و قيامها بدور موازي للإعلام و الإخبار، و استقطابها لإهتمام أغلبية الناس، و قدرة موضوعها على كسب إنشغالات عقول الأفراد و الجماعات.

فمن الطبيعي أن يدرك الناس قيمة الإشاعة إذا ما تعرفوا على أهميتها و دورها في المجتمع، و يعرفوا أيضا خطرها على إستقرارهم و حياتهم، إذا ما علموا أنها سلاح و أداة فعّالة في ضرب إستقرارهم، و تهديد أمن الشعوب التي لا تتحصّن من خطرها.

و كل هذا يدعو إلى البحث عن مغزى الإشاعة و الهدف من تداولها بين الناس أكثر مما يتداولون الأخبار الرسمية و الحقيقية، وذلك راجع إلى عنصر التشويق الذي تنطوي عليه الإشاعة من خلال عدم إستكمال الأخبار التى تنشرها.

و عندما نذكر الإشاعة في الثقافة، فإن ذلك يعني أن نقيّم مدى تخلف أو تطور المعاملات و مستوى التفكير عند الناس، إضافة إلى ميول و رغبات المجتمع في التلاحم أو الإنفصال، و في تجسيد آماله وآلامه، أما عندما نذكرها في علم الإجتماع فإنّنا نتطلع إلى كيفيات التعامل بها بين طبقات المجتمع و علاقاته بتركيبه الديمغرافي، وإختلاف المواقف تجاهها، و نميل إلى معرفة عاداته و سلوكاته الإجتماعية و ردود فعله عند وجود الإشاعات و انتشارها في هياكله، و تأثيرها على علاقاته الإجتماعية.

و عندما نحاول بحث موضوع الإشاعة في علم النفس فإننا نسعى إلى الكشف عن دور المحيط، و ظروف الحياة المختلفة في تكوينها، و نحاول معرفة الدوافع و الأهداف التي تتعلق

بها، سواء في السلوك الفـردي أو الجماعي لأنها تنطلق من رغبة فرد لتؤثر على سلوك ومواقف الجماعة، وباعتبارها موضوع يعبّر عن صورة من صور التفاعل الإجتماعي، فإنّ ذلك يدعوا إلى تفسير كل العلاقات الناجمة عن هذا التفاعل.[1]

و بهذا تقترن هته الجوانب فيما بينها لتفسر المؤثرات الفعّالة في صنع الإشاعة و تترجم سلوكات الأفراد و الجماعات من خلال ردود أفعالهم، و تمييز كيفيات تعامل الثقافات معها، و التي لا تخرج في مفهومها عن كونها سلوك إنساني يحتاج إلى تفسير و توضيح أكثر حتى يتضح أمره و تظهر حقيقته، و على ذلك يطرح الإشكال حول مفهومها و حقيقتها، فما هي الإشاعة على ضوء كل تلك المتغيرات؟.

أما الطريقة المتبعة في الفصل الخامس لجمع المعلومات فهي طريقة المقابلة، و تجري مع طبقات مختلفة من المجتمع لتمثيل كل شرائحه، ولا يدل ذلك على التنظير أو وضع قاعدة عامة تحدد موقف كل طبقة، و لكن يدل على التمثيل و الإستشهاد حتى تتميز طرق التفكير عند كل طبقة أو شريحة إجتماعية عن غيرها من الطبقات أو الشرائح.

و اضطررت لإختيار اتجاه نظري أعمل في ظله على تحليل الآراء و النتائج التي أجمعها و وقع اختياري على الجوانب النفسية والإجتماعية و الثقافية في دراستي للإشاعة في الجزائر، و حتى تتضح نتائج المحادثة يستلزم إدراج توضيحات تصنف و تعرف بالأشخاص الذين تجري معهم المقابلة، قصد تبيين الحالة الإجتماعية و المستوى الثقافي و الميول و الرغبات و الإتجاه العام في الحياة، و المهنة، و علاقتهم بالإشاعة المدروسة، ثم تجمع نتائج المقابلة كتابيا، و تصنف ثم ترتب وفق معيارين أساسيين هما :

* قبول الإشاعة و العمل على نشرها و التغيرات الطارئة على نصّها.

* عدم تقبلها و العمل على إبطالها و محاربتها و التغيرات الطارئة على نصّها، و مراعات الأسباب التي دفعت هؤلاء الأشخاص لاتخاذ تلك المواقف، و تتعلق بنواحي المجتمع و الثقافة و السلوك الفردي في التعامل مع المؤثرات الخارجية، و أخيرا تمييز ردود أفعال كل طبقة إجتماعية عن غيرها من الطبقات، و دور الثقافة و المجتمع و السلوك و الإنفعالات الفردية

[1] راجع Psychologie et Culture. P107 .

في اتخاذ المواقف، و الكشف عن الطابع الذي تأخذه الإشاعة سواء كان إجتماعيا أو نفسيا أو ثقافيا.

و تلك النتائج المتوصل إليها تنتج من حصيلة الردود الكتابية و الشفهية التي نتحصل عليها بعد المقابلة ثم يتم تحليلها و تصنيفها بعد ذلك.

و في هذا الإطار نشير إلى ضرورة اتباع طريق البحث التفاعلي (Recherche Action) التي تراعي تقنيات التواصل خارج الوضعيات المخبرية، و تحاول تحليل و ترجمة بنية الإتصال، و النتائج التي تستخلص من البحث القائم على الحوار الذي توظف فيه المؤهلات المختلفة لفهم الوضعية، التي تقوم على الصراع بين الإشاعة و الخبر، و بين الإشاعة و وسائل الإعلام، و الإشاعة و المعارضين لها، حيث تكون فيه الإشاعة لبّ الصراع بل الصراع ذاته، الذي يترجم الكثير من العلاقات و الصور المعبرة عن التفاعل الإجتماعي بكل أشكاله.

و مقتضيات البحث التفاعلي تدعوا إلى مشاركة الباحث في آليات التغيير الإجتماعي دون التأثير في الموضوع أو المساهمة في تحديد أهدافه، و هي ما اصطلح عليه ويربر فريك Werber Frucke بالبحث الموجه بالفعل[1].

و هذه الطريقة تسمح بتقسيم البحث إلى قسمين : أحدهما يخضع للفعل الممارس الذي يتميز بتفاعل واع و مخطط بين فعل و مرحلة حوار، و الآخر يعتمد على جزء مفاهيم و فاعلي يخضع للممارسة العلمية.

و أول ما يجب أن نعرفه عن الإشاعة هو ماهيتها و حقيقتها، فما هي الإشاعة في المفهوم اللغوي و في المفاهيم العامة الإجتماعية و غيرها؟

[1] مجلة العلوم الإنسانية، ص108.

الفصل الأول

مفهوم الإشاعة

تعددت نظرة الباحثين حول مفهوم الإشاعة، فمنهم من فسرها على أساس موضوعها و منهم من حللها على أساس أثرها و دورها في الحياة الإجتماعية، وذهب آخرون إلى تعريفها من خلال مراحل تطورها.

و نحن بهذا الصدد يجب التطرق إلى المفهوم اللغوي للإشاعة حتى تقترن جوانب البحث بعضها ببعض و تكون أرضية وقاعدة لهته الدراسة.

ورد في لسان العرب أن شيع بمعنى ادعى و شيع الرجل : إذا ادعى عون الشيعة و الشاعة بمعنى الإهابة، و المشايعة المتابعة و المطاوعة، و شاع الشيب و شيعا و شياعا و شيعانا و شيوعا و شيوعية ومشيعا، ظهر و تفرق، و شاع الخبر في الناس، يشيع شيعا و شيعانا و مشاعا، و شيوعية فهو شائع في الناس، إنتشر و إفترق و ظهر و ذاع، و أشاعه هو، و أشاع ذكر الشيء وأطاره وأظهره، و قولهم هذا خبر شائع و قد شاع في الناس معناه قد اتصل بكل أحد فاستوى علم الناس به و لم يكن علمه عند بعضهم دون بعض.

و الإشاعة : الأخبار المنشورة عملا لقوله تعالى : " **إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا و الآخرة و الله يعلم و أنتم لا تعلمون**"[1]. قال ﷺ :" **أيما رجل أشاع على رجل عورة ليشيعه بها**" أي أظهر عليه ما يعيبه.

و أشعت السر و شعت به إذا أذعت به و رجل مشايع أي مذياع لا يكتم سرا، و ورد أيضا في التهذيب أن شاع – الشياع المفاخرة بكثرة الجماع.

و لا تكون الإشاعة إلا في الإبل من حيث أنها تشيع ببولها، أرسلته متفرقا ورمته رميا[2].

و الإشاعة سميت أيضا شائعة لشيوعها و هما لفظان يعبّران عن مفهوم واحد.

و يشيع بمعنى يطلع أو يروج إشاعة[3].

---

[1] – سورة النور : الآية 19.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة و النشر، ج 8، ص 188.

[3] راجع قاموس المصطلحات الإعلامية، ص297 و The Popular Oxford Dictionary (Rumour).

المفهوم الإصطلاحي :

و قد عمد بعض المختصين في علم النفس إلى تفسير الإشاعة على أنها شكل من أشكال التعبير الإنساني وهي ظاهرة إجتماعية تقوم ضمن نسيج ثقافي[1]، و هي أيضا أخبار مبالغ فيها أو غير حقيقية و مفتعلة[2]، فهي قول أو خبر أو حادثة يتناقلها الناس دون التثبت من صحتها و صدقها، و هي ظاهرة نفسية إجتماعية تعتمد نشر حادثة مفتعلة أو تضخيم خبر تافه من أجل هدف مقصود[3] وهي ذات أثر بعيد في تكوين الرأي العام و تعديله.

و هي بذلك نشر الخبر بصفة غير منتظمة و بدون تحقق من صحته، و لها صلة وثيقة بالإتصال و الإعلام، و تتنكر بطبعها عن مصادرها، إذ تنشر أخبار و همية، و أحيانا حقيقية تلبسها كثيرا من التحريف و التشويه لصوزة الحدث الأصلي، و هي ظاهرة إجتماعية قديمة قامت بوظيفة الإعلام قبل وجوده[4] و استعملت للتمويه و التظليل عن الحقيقة.

و لكن العلاقة بينها و بين الإعلام عكسية فكلما انتشر الإعلام قلّت الشائعات بينما نجدها تكثر عند قلّته أو إنعدامه، و لايعني هذا أن وجود وسائل الإعلام ينفي وجود الشائعات بل ربما يكون دافعا أحيانا لنموها و ظهورها، خاصة إذا لم يعط الخبر حقه من التغطية الإعلامية و معالجة تفاصيله، فإن الباب مفتوح للشائعة لاستكمال تفسير الخبر، و تضخيم الأحداث و تأويلها.

و هي خبر مثل الأخبار التي تجول بين الناس كل يوم، و أي خبر بسيط ينتقل بين الناس، و يتعرض إلى التشويه، و يجعله غير معروف بالصورة التي إنطلق بها و يلقى ملاحظة إدلاءات مختلفة لحدث واحد، قام بنشره شخص ما، يصبح إشاعة، فهناك عوامل عديدة مثل: ضرورة إقناع السامع، إضافة إلى شخصية المتكلم و ما تفرضه من إظهار للذّات مما يضفي

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص177.
[2] الرأي العام و الدعاية، ص28.
[3] المرشد في علم النفس، ص156.
[4] مدخل لعلوم الإعلام و الإتصال، ص30.

على الحدث، تفاصيل لم تكن موجودة في الإدلاء الأول، أو يعرضه لحذف تفاصيل ضرورية لفهمه و تبليغه بأبسط صورة[1].

و لا توجد الإشاعة إلا عندما نتبادل الأخبار، وتكون نتيجة الإفتقار في المعلومات، و التشويه الذي يلحق الخبر عندما يصل إلى آخر المطاف، و هي ظاهرة إجتماعية، إذ لابد من شخص على الأقل حتى تكون إشاعة، و تنتشر بفضل العديد من الأفراد الذين يعملون على نقلها إما لتبليغ محتواها إلى الناس أو الإعتقاد فيها و كذلك لتغطية النقص في الأخبار.

و تعد بذلك مرمى أو أداة لتخفيف الأحزان و المخاوف و التعبير عن آمال و تطلعات الأفراد الذين يتداولونها، و ينشرونها، فضولا و حبّا في الإستطلاع و المعرفة، و ذهبت "ماري بونابارت " إلى أن الإشاعة عملية تخريج أو إثارة لسلوكات لا شعورية فردية أو جماعية لا واعية، أما "جروارد " Jirouard فإنه يفسرها على أنها عبارة عن سلوكات عفوية و تعبّر عن أحاسيس و أفكار الفرد و الجماعة.

و عند ما تروى على مسامعنا إشاعة فان ذلك لا يعني أننا نطلع على الحقيقة في الواقع، و إنما يوحي بطريقة رواية فرد ما لتلك الحقائق أو الوقائع كيفما نظر إليها وعاشها[2].

أما الدكتور ملحم قربان، فإنه يحبّذ أن يسمي الإشاعة " كذبة " لرواج تزييفها للحقائق و تضخيمها للأحداث فتظل ذات فعالية في تأثيرها على السلوك الإنساني ما دامت طبيعتها مجهولة، خصوصا من قبل الأشخاص الذين يقصد بها أن تؤثر على سلوكهم، و متى إفتضح أمرها قلّت فعاليتها، و متى كشف الكاذب قلت فعالية كذبته[3].

و رأى انجلش english أن الإشاعة هي رواية بدون تحقق عن حادثة، تتداول بين الناس عن طريق الكلام[4].

و يعدها آخرون من أكثر صور النشاط الإجتماعي بعدا عن المنطق، و تكشف لنا عن تعطش معرفي، و شغف و رغبة الناس في المعرفة و الإستطلاع.

---

[1] Elément de Psychologie Social, p43.

[2] نفسه، ص47.

[3] الوقعة السياسية، ص116.

[4] دراسة في علم النفس الإجتماعي، ص37.

و باعتبارها عبارات لم يتبين صدقها، فإنها تزدهر في غياب معايير الصدق[1]، فالصدق يعزل و يفرق فيما بين الإشاعة و الخبر ، و أينما غابت الأخبار و ابتعدت عن الصدق و الحقيقة، ترك المجال للإشاعة في تغطية الأحداث و استكمال الأخبار.

و تنقل الإشاعة عن طريق الكلمة المنطوقة وتبادل الأخبار عادة، وأحيانا تظهر في أشكال رموز وإشارات تمثل وتروج لجهات معينة.

و حتى الموسيقى تعد منبعا لإشاعات الخوف والكوارث والمآتم والآلام إذا ما كانت حزينة وتدل على التشاؤم، أما موسيقى الفرح فإنها تساعد أيضا على إنتشار شائعات التفاؤل والإنتصار و الآمال، وتظهر أيضا الإشاعات عندتحليل الأخبار و نشرها في وسائل الإعلام و عدم استكمال تحليلها و نقصها.

و تسند دوما إلى جهة مبهمة، فتكون في صيغة مجهولة الفاعل نحو، " قيل " أو يقولون، و مجهولة المصدر مثل سمعت، بلغني، و كذلك في شكل خبر مسلم به مثل: " يروج " أو " معروف أنّ " أو " ينتشر خبر" إلى غير ذلك من الصيغ التي تجعل من الباحث يكتشف نقصا في نسبة الخبر أو حقيقته.

و تروج الشائعات كلما انحبست الأخبار عن الجمهور[2]، و تتكون بدوافع لا شعورية تمزج الميول و الغرائز و تعمل على تخريجها في صورة أحداث أو وقائع منسوبة إلى أشخاص أو جماعات، فتلفق لهم إما للنيل منهم أو لاكتساب الشهرة من ورائهم.

كما تنشأ الإشاعات اليومية التي تدخل عليها التبريرات و التفسيرات الزائفة لما نعانيه و نستشعره في ذواتنا، من مجرد شعور بالقلق أو رغبة في ذلك، و أطلق الدكتور زهير إحدادن على الإشاعة و الدعاية و الإشهار إسم المفاهيم الموازية للإعلام و ذلك لما تستقطبه من اهتمام و انشغال للرأي العام بها و مساسها بما يشعر به من أحاسيس و أذواق و ميول و اتجاهات، و قد تلتبس الإشاعة بالإعلام لما لها من وقع و أثر على الفرد و المجتمع[3].

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص64-66.

[2] الرأي العام و الدعاية، ص29.

[3] مدخل لعلوم الإعلام و الاتصال، ص24.

و قد سميت الحرب النفسية و الدعائية بحرب الشائعات، لكثرة رواجها أثناء فترات التوتر و القلق و أثناء الحروب عامة.

و هي من أهم وسائل الدعاية، و أطلق على الحرب النفسية التي تستعمل الإشاعات في أساليبها حرب الكلمة، لأن الكلمة متى أحسن إنتقائها، صوتا و دلالة، و اختير الزمان و المكان المناسب لها و السياق اللازم لظهورها، كانت من أشد الأسلحة النفسية تأثيرا على الإنسان، الذي تتخذ منه ميدانا أساسيا و هدفا يستلزم إرضاخه لأوامر معينة، و تترك أثرها العميق في النفوس و تثير العواطف و تنقل بين الناس في صورة مقنّعة[1].

أما الحقيقة التي تعرف عن الإشاعة عبر التاريخ فهي قليلة، لذلك وجب إزالة الغموض عنها و الكشف عن بعدها التاريخي باعتبارها ظاهرة إنسانية ترتبط بوجود الإنسان -سلوكه أحاسيسه - شعوره - تواصله - و كذلك برغباته و نزواته، فما مقدار الإمتداد التاريخي للإشاعة و هل وجدت منذ القدم ؟.

الإشاعة عبر التاريخ

كان أباطرة الرومان يعانون وباء الإشاعة إلى حد أنهم عينوا حراس الإشاعات، وكان يطلق عليهم إسم Delatores و انحصرت مهمتهم في التعايش مع الأهالي ومخالطتهم ثم نقل ما يسمعونه من إشاعات وأخبار إلى الأباطرة، لأنها كانت تعبر عن المشاعر الشعبية، وتعد بذلك فنّا قديما قدم البشرية، وينتظر لها أن تعيش ما عاشته البشرية. وقد أصبحت بعدا من أبعاد الحياة الإنسانية، كما أن الصراعات البشرية حول المنافع والموارد الطبيعية أو السلطة أو الحكم ظهرت منذ وجود الإنسان على وجه الأرض، ومن ذلك قصة قابيل مع أخيه هابيل وقتله إياه لمصلحة تنازعا عليها، ورافقت الإشاعة هذه الصراعات والنزاعات لتكون بمثابة سلاح لتليين الخصم وزعزعة قوته واستقراره، وخلق جو من الخوف و الرعب والفزع قصد النيل منه .

---

[1] علم النفس الإجتماعي، عبد السلام زهران، ص193.

و يروى أن (جنكيزخان) كان ينشر الإشاعات المروعة عن جيشه عن طريق قوافل التجار لتبث بين أعدائه، فكانت تصف جيشه وصفا أسطوريا مؤكدة أن جنوده كانوا يتغذون على الكلاب والذئاب، تعبيرا عن قساوة قلوبهم وعدم شفقتهم.

و نجح الفرنجة في إضعاف صفوف جيوش المسلمين بقيادة عبد الرحمان الغافقي إثر نشر إشاعة مفادها أن الغنائم التي جمعها المسلمون في حياتهم تتعرض للسلب والنهب، فأسرع المسلمون إلى خيامهم تاركين المعركة لصالح العدو، ثم إن حادثة الإفك، خير دليل على انتشار الإشاعات عند المسلمين و في صدر الإسلام، إذ كانت السيدة عائشة رضي اللّه عنها هدفا لها.

و بذلك إستعمل الإنسان حربا نفسية ودعائية بإشاعته الأقاويل و الأخبار الكاذبة قصد إفشال الخصم و زعزعته والنيل منه بالقوة و الحيلة.

و لايخفى علينا ما أشاعه بنو زيان إبان الحصار الذي أقامه المرينيون حول تلمسان حيث انتشر في صفوف المحاصرين جوّ من الفشل و الإحباط، والندم على تلك الفترة من الحصار الأول التي دامت قرابة (8 سنوات)، حيث كان المرينيون ينتظرون أن تنفذ مؤونة بنو زيان ويستسلمون و لكن الخدعة التي أحسن الزيانيون صنعها، والمتمثلة في : إشباع ثور من الزرع و القمح لمدة معينة و إخراجه خارج الحصن، ولما قبض عليه المرينيون ذبحوه وفتحوا بطنه فوجدوه مملوءا بالقمح والزرع فأوحى لهم أن بني زيان لهم من المؤونة ما كفاهم وكفى أنعامهم وانجلى الحصار بعد ذلك تحت تأثير تلك الإشاعة.

و كان الإنسان في القديم يلجأ الى إستثارة عواطف خصومه والنيل منهم، بفضل إشاعة الرعب و الخوف في نفوسهم، من خلال إشهار سلاحه أو إشعال النيران و رفع رايات الحزن السوداء، و التمويه بكل الطرق عن مدى قوته و مقاومته.

و و ظف الإنسان كل طاقاته العقلية في استغلال الإشاعة و استثمار مزاياها في خدمة المصالح وتحقيق الأهداف، ورأى علماء النفس الأمريكيون فيها، أنها عبارة عن ميدان خصب تطبق فيه العديد من العمليات العقلية العليا، التي يمتاز بها الفرد من إدراك و إحساس، وشعور.

و تستقر الإشاعة في الأنسجة العميقة للكيان الإجتماعي، و تعبر بظهورها عن الحالة العقلية العليا، السائدة لدى الفرد والمجتمع و تترجم الحالات النفسية لدى الأفراد، فتكون بمثابة تخريج للمكبوتات.

لذلك لا تعتبر الإشاعة وليدة اليوم لما لها من مزايا عند الفرد و الجماعة و ما لها من أثر عليهما، وما تحمله من أغراض ومصالح وحاجات إنسانية لا تلبى بقضاء الحاجات والجهد العضلي و إنما تتجسد في فكرة أو رأي تحمله الإشاعة ليبلغ قصدا بعيدا يخدم جهة أو مجتمعا.

و تعتبر العلاقات بين الأفراد و الجماعات أغنى وسيلة لتمرير و ترويج الإشاعة وهذا ما ساعد على نشأتها في المجتمعات، وخاصة أثناء الصراعات الساخنة. ولجأ الإنسان للإشاعة عندما استصعب أو استحال بلوغ هدفه بسهولة، فاستعمل طاقاته العقلية و الفكرية وعبقريته في السيطرة على بني جلدته و تليين مواقف خصومه، وتحطيم استعداداتهم والإستهانة بقوتهم وإفشال مقاومتهم و التقليل من ردود أفعالهم وإحباط معنوياتهم، وحملهم على الإستسلام، كل ذلك بسلاح الإشاعة التي لا تنفع المقاومة ضدّه لأنه يستولي على النفوس و يؤثر على الرأي العام.

و في غابر العصور إعتمد الإنسان في معاملاته و نشر الأخبار و الإشاعات على الإتصال الشخصي، الذي يصل بين العديد من الأفراد والجماعات، و من مزايا هذا الإتصال، أنه ترفق به عمليات سيكولوجية، لا تتوفر لطرق الإتصال الحديثة، التي تستعمل الأجهزة و الوسائط التكنولوجية في تحقيقه، إذ يشعر الفرد داخل جماعته بالإتحاد والتماسك و وحدة الصف مع الإحساس بالهدف المشترك، فيرتبط بها و يعمل تحت ظلها و لصالحها، فينشر من الأخبار ما يعظمها و يقوي كيانها، و يشيع في نفوس أعدائها الخوف و الهيبة.

و لعل أقوى صورة تجسد هذا المفهوم التعصب القبلي و النعرات الطائفية و التطرف الأجناسي، و هذا ما يجعل الفرد في اعتقاده يساهم في التكامل الإجتماعي[1].

و هذا ما تعتمد عليه الإشاعة في انتشارها انطلاقا من الفرد و ما يكنه من مشاعر و أحاسيس و أهداف و ما يربطه بأفراد عشيرته من علاقات و معاملات و ما يصحبها من التأثير فيها و التأثر بها، و في مثل هذه الأوساط تنشأ الإشاعة و تسري بشكل سريع.

---

[1] الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي، ص335.

و الحياة الإجتماعية كشرط لهذا الانتشار عرفها الانسان منذ القديم، إمّا في شكل حضارات كحضارة الفراعنة، و بلاد الرافدين و الآشوريين و اليونانيين، أو في شكل تجمعات بشرية، قبلية أو عشائرية، مثل الحياة العربية قبل ظهور الإسلام.

و خلاصة القول أن كل الشروط و الظروف التي تتكون في ظلها كالخوف و الرعب، و التطلع و التمني، وجدت منذ القديم بوجود الانسان. و يلفت دارس التاريخ الكثير من الإشاعات التي ظهرت خصوصا أثناء الصراعات الدامية، و أيضا في فترات عدم الإستقرار و القلق و الخوف، و لعل الكثير من الإشاعات التي راجت في القديم يعتقد أنها استقرت بمواضيعها في شكل أساطير إحتفظ التاريخ بها منذ مراحل غابرة و حقب متباينة، إذن ما العلاقة بين الإشاعة و الأسطورة؟ و كيف نميز بينهما فيما وصلنا من أساطير عن الشعوب و الأمم؟ و ما طبيعة كل منهما ؟.

هل الإشاعة مجرد أسطورة ؟

في غابر العصور تحدث فرجيل Virgile عن الإشاعة واصفا إياها بأنها من أكثر الأخطار سرعة في الإنتشار، حيث تردد و تولد الرعب و تقوى كلما اتسع انتشارها، و هي دليل الخطأ و الصواب معا، و تعد أحيانا لسان حال الحقيقة لما تنشره من أحداث و أخبار و أحيانا أخرى تعبر عن الخطأ و تخدم مصلحته و تزكيه بما تنشره من تزييف و تحريف و تشويه للحقائق[1].

و تفتقر الإشاعة إلى التجديد في موضوعها، حيث تتكرر من مكان إلى آخر بموضوع واحد قد تختلف المعاني التي يفيدها، إذ يحمل آمال المجتمع حينا و همومه حينا آخر، و تدل على الحاجة إلى المعرفة و تترجم اللاوعي الجماعي، و تتشابه الإشاعة و الأسطورة في الصيغة المنطوقة.

و الأساطير كثيرا ما تروى على المسامع لتلبي حاجة المعرفة و الاستطلاع أو الفضول و كثيرا ما نجد أن الإشاعات تتكرر في المناسبات نفسها و بالصيغ و المضامين عينها و في

---

[1] CD ROM 1995 Encyclopédia Universalis France SA.

حقب متباينة من الزمن، و مثال ذلك ما أحدثته الإشاعة التي يقال أنها صنعت التاريخ و الحدث سنة 1787 أثناء فترة الخوف و الرعب التي سادت في أوساط الفلاحين في أوروبا، والتي أدت إلى تسلحهم و تدميرهم للقصور الإقطاعية بمجرد انتشار إشاعات تصف تعنّت ووحشية الإستبداد و التسلط، حيث حيك من هذه الأحداث أساطير كثيرة[1].

و كما انتشرت الأساطير قديما لتخلد فنون الحروب و تصف القوى الغيبية الخارقة و تجسد إستبسال الإنسان في نيل مبتغاه، فإن الإشاعات كانت حقيقة سارية في معاملات الناس حتى أصبحت إعتقادا راسخا انقلب بعد ذلك إلى أسطورة شفوية أو مكتوبة، حتى أن بعض المؤرخين لم يستطيعو أن يفرقوا بين الحقائق التاريخية و الأساطير المولدة من الإشاعات عبر العصور[2].

و أحيانا يعلو موضوع من مواضيع الإشاعة لينتقل عبر مراحل تاريخية ثم يتجمد أخيرا في شكل أسطورة.

و الجامع بين الأسطورة و الإشاعة، هو أنهما ظاهرتان اجتماعيتان تنتقلان بين أفراد المجتمع و طبقاته و تحملان تطلّعاته و مخاوفه، مما يجعلهما شكلان لغرض واحد هو تحقيق التواصل و التعبير عن الحاجة إلى الإنسجام و التماسك و التكامل الإجتماعي، ثم الترابط و التلاحم الفكري للمجتمعات، باعتبار الأسطورة و الإشاعة أحسن السبل لتحقيق الإخبار و القيام بالإعلام، لاعتمادهما على الإنتقال الشفهي و السريع الذي يضمن ميزات خاصة يقل وجودها في الإنتقال المكتوب مثلا.

و الأسطورة في مقاومتها للتغيير أشبه بالإشاعة المجمدة لجمود الأقاويل المكونة لها و عبر عنها لابيير Farnsworth La piere بقوله :"إن الأسطورة هي إشاعة استحالت جزءا من التراث الشفوي لشعب ما"[3]، و هو بهذا يعزز العلاقة الموجودة بينهما في كون الأولى عبارة عن إشاعة استقر بها المطاف لتجسد تراثا شفهيا في صورة أسطورة جامدة تنتقل بين

[1] CD ROM 1995 Encyclopédia Universalis France SA.

[2] مدخل لعلوم الإعلام و الإتصال، ص30.

[3] سيكولوجية الإشاعة، ص180.

الأجيال و العصور، والثانية تجسد نمط العلاقات الإجتماعية التـي تسـري بـين أفـراد المجتمـع الواحد.

و في كتاب "لانجهوف" الصيني الذي يحمل عنوان (ازدهار الأسطورة) و الذي يعـالج فيه إشاعات و فضائع الحرب العالمية الأولى، يظهـر جليـا أن استعمال الأسـطورة و الإشـاعة يكـون في صيغـة مصطلـح واحـد يعـبر عنهمـا معـا، و ذلـك لأن الصينيـين يسـتعملون لفظـة « Shuan » شوان للدلالة على الإشاعة و كذلك للدلالة على الأسطورة، و لا يوجد أي فرق يذكر إلا إذا تعلق الأمر بعملية التخريج أو النطق فإن عامل النّبر و التنغيم لـه أثـره في التمييز بينهما، و هذا أيضا نوع من التقارب الشكلي بـين المفهومـين، زيـادة علـى الإقتضـاب الـذي يجمع الخرافة و الأسطورة و الإشاعة لتبلغ صـورة الحكمـة التـي ترسـخ في الأذهـان و يسـهل تكرارها و تذكرها[1].

و الأساطير تتيـح الإجابـة عـن ألغـاز دائمـة في الحيـاة، و تعطـي ترجمـة لخبايـا النفـس البشرية، و تعزز صلة الفرد بماضيه و تحتوي على فلسـفة خاصـة في الحيـاة و تميـل إلى تجسـيد حقائق أبدية يسلم بها عامة الناس و تفسير الموضوعات التي يتحتم على البشر مواجهتها[2].

فإذا لاحظنا المفـاهيم فإننـا نجـد أن المواضيـع المهمـة التـي تتسـم بـالغموض هـي مـادة الأساطير، و نجد أيضا أن شرط الأهمية في الموضوع و الغموض في التفاصيل هـو أساسـي في تكوين الإشاعة، فهي تميل إلى معالجة و إثارة المواضيع ذات الأهمية في حياة الناس و المرتبطـة بمصيرهم و مستقبلهم و أمنهم و استقرارهم و سعادتهم و شقائهم، و يشوب ذلـك غمـوض واضح إذ لا تكتمل صورة الموضوع كلية بل تبقى غامضة، ممـا يفسـح المجـال للإشـاعات في اعطاء التفسيرات و التنبّؤات و تحليل المعضـلات، وفـق معطيـات و دلائـل متوفـرة و بسـيطة يحملها الموضوع الأصلي للإشاعة.

و لكن الأسطورة أقدر من الإشاعة في تفسير المشكلات الكونية القديمـة، فهـي تعطـي وجهة نظر جماعية، حيث تشخص عقلية الجماعة التي تظهـر فيهـا، بينمـا تعـبر الإشـاعة عـن الحالة النفسية و العقلية و الإجتماعيـة لقائلهـا و تفيـد غرضـا إعلاميـا يتداولـه النـاس، و هـي

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص74-104.

[2] نفسه، ص182.

موجهة لهم حتى يتطلعون على موضوع ما، بينما يشارك المجتمع أو أمة بكاملها في نحت أو تشكيل أسطورة تصبغ طابع الحياة و مستوى التطلعات التي تطمح الأمم إلى بلوغها أو تفسيرها و إخضاعها[1].

و الأسطورة تروي قصصا بطولية و تحمل أماني الشعوب و تترجم طموحاتها من خلال تجسيد فكرة المصير الجماعي للأمم، و تخليد الأمجاد، و تعتمد في ذلك كثيرا على الخيال في حل عقدها و غالبا ما تنتهي بحلول أو نتائج عجيبة، و تدخل قوى ميتافزيقية في حل عقدة، بينما تنبع الإشاعة من مجرد خيال فردي، يثار الجدل حوله و التساؤل، مما يستقطب اهتمامات الناس و ميلهم إلى إضفاء التعديلات على الأفكار أو الإضافات في التفسيرات حتى يساهموا في حل المعضلة أو نشر الفكرة أو خدمة رأي أو جهة، و من هنا نميز أن الإشاعة مقصودة لأداء غرض و مهمة تقف في نجاحها على مدى رواجها و استقطاب آراء الناس و اهتماماتهم حولها.

و موضوع الإشاعة الرئيسي من أكثر المركبات حفاظا على تكوينه و مقاومته للتغيير و التحريف، و الحقيقة التي تجسدها، غالبا ما ينطوي عليها الموضوع الرئيسي أيضا، و لا تكتمل في صورة متكاملة، حيث تثير الجدل و التساؤل حولها، مما يعرضها دوما للتغيير.

و الحقيقة التي تنطوي عليها الأسطورة إنما تتجسد في الحقائق التاريخية التي توظفها و تحملها لبناء مواضيعها، فغالبا ما تصف معاناة الشعوب، أو تنقل وقائع تاريخية حتى تزكي المواقف و الحجج المنطقية لتقبل نسيجها و موضوعها.

و تعتمد الأسطورة على الخيال عند تفسير عقدها بنسبة كبيرة بينما لا تلجأ الإشاعات إليه إلا في حالات قليلة حتى لا تقلل من مصداقية موضوعها، فتعتمد غالبا على الإنفعال، و تخصص لفئة ما و خدمة هدف معين، بينما تعتبر الأسطورة فنّا عالميا يخدم هدفا انسانيا لذلك وجب التمييز بينهما و التفريق بين أهدافهما و وظائفهما الإجتماعية و النفسية و الثقافية التي تختلف عند كلاهما.

و قد ذهب بعض المحللين إلى الحكم على الإشاعة و الأسطورة بالتلازم و التداخل خاصة في غابر العصور لأنهما يعتمدان على التنقل بين الناس شفاهة و لا يحتاجان إلى سرد

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص183-184-186.

نصوص أو روايات حول أحداث، بل يكتفيان بمادة موجزة تسهل للحفظ و الترديد. و لكن مزاعم هؤلاء باطلة لأن الإشاعة بنت زمانها و ساعتها إذ تضمحل و تندثر متى بلغت هدفها و حققت نتائجها، و هي لا تعني المفاهيم المتافيزيقية بقدر ما تهتم بأحوال الناس و توجهاتهم و مشاكلهم، و لا يتعدى التشابه بينهما في الشكل و تظهر التباينات في النواحي الأخرى مثل الموضوع و الأفكار.

أنواع و أصناف الإشاعات

تتنوع الإشاعات من حيث ميادينها و مجالاتها، و تتباين في مضامينها مما يميز بعضها عن الآخر، فتختلف بذلك وسائل ترويجها، و الجهات الموجهة إليها، و الأهداف المقصودة لبلوغها، و نميز عدة أنواع من الإشاعات منها المتعلقة بالميدان الإجتماعي، التي تترجم طموح الناس إلى التخلص من المشاكل و تمني حدوث أشياء، و غالبا ما تكون هذه الإشاعات بمثابة نبأ عن قرب وقوع أحداث أو تغييرات يطمح إليها أفراد المجتمع، و نميز فيها الطابع العفوي حيث تكتفي بتفسير وضع أو معضلة فتبحث عن الحلول و تتوقعها و تحدد المسؤوليات.

و أثناء الحروب و الإضطرابات و النكسات و الكوارث تتطلع الشعوب إلى الإستقرار و الأمن و السلم و الهدوء، و الراحة فتنطلق بذلك إشاعات الحب و الإيخاء، لتصب في هذا الإطار، ففي الولايات المتحدة الأمريكية و قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية، إنتشرت إشاعات عن موت هتلر وانهزام ألمانيا و القرب من الإنتصار على اليابان، و استتباب السلم، و أخرى تعبر عن موت شخصيات كبيرة، مما يترجم أمل المجتمع الأمريكي في إنهاء الحرب واستتباب الأمور[1].

أما أثناء فترات السلم و استقرار الأوضاع، فإن إشاعات التفرقة بين التشكيلات أو التركيبات المكونة للمجتمع تسود، و تروج إشاعات الكراهية بين طبقاته، كما يرافق ذلك إشاعات الرخاء و الآمال.

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص20.

و قد أجريت دراسة سنة 1942 في المجتمع الأمريكي و ذلك بالبحث الميداني بين مختلف شرائح المجتمع، قصد اكتشاف أكثر الشائعات رواجا فاعطت الدراسة النتائج الآتية :

66 % من الشائعات مواضيعها تتعلق بالعداء و الكراهية.

25 % من الشائعات مواضيعها تتعلق بالخوف و القلق و الذعر.

22 % من الشائعات مواضيعها تتعلق بالرخاء والآمال.

07 % من الشائعات مواضيعها مختلفة[1].

فالمجتمع عند استتباب الأوضاع وهدوءها يحاول تعديل وخلق التوازن الطبقي ويميل إلى الحقد على جنس أو فئة من المجتمع، لأنها عارضت يوما المصالح العليا، وفضلت مصالحها الخاصة، مثلما انتشر عن اليهود والسود قبل الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة الأمريكية[2].

كما نميز صنفا آخر من الإشاعات في المجتمع، يميل إلى تحميل المسؤوليات إلى الطبقات السياسية والحاكمة وكذلك فضح الخيانات و تورط الشخصيات السياسية فيها، وتكشف عن الأمور التي تحدث في الخفاء، ويعود هذا أساسا إلى اهتمام الناس بالأحداث ومشاركتهم فيها، ومحاولتهم بث الإشاعات قصد التأثير في باقي طبقات المجتمع، وفي الرأي العام بهدف توجيهه واقتياده لنتيجة مسطرة ومقصودة ، يدفعها في ذلك ملئ وقت الفراغ ، ويزكيها انعدام الأخبار في بعض المجالات المتعلقة بالشؤون والأحوال الخاصة، وأيضا إفراغ الميول والرغبات واستحضار الأحقاد والضغائن الدفينة.

و ثمة نوع آخر من الإشاعات يساهم فيه الفرد والأسرة بقسط كبير، بنية التسلية والترفيه والترويح عن النفس، مما يلعب دورا كبيرا في نشرها وتأصيل جذورها وترسيخ وجودها، كما تشاع أيضا بغرض الإنتقام وإشاعة الفساد بين الناس والتحريض على العنف[3].

---

[1] المرشد في علم النفس الاجتماعي، ص158.

[2] سيكولوجية الإشاعة، ص21.

[3] المرشد في علم النفس الاجتماعي،ص156.

و نجد إشاعات القذف في حق الناس، وإسقاط المكبوتات في صيغة سلوك قام به آخرون، إما للتّخفيف من عظمة الذنب في حالة القيام به، وذلك بإظهار تفشيه بين الناس أو التقليل من شأنه في حالة إكتشاف أمره.

وكثيرا ما ورد في كتب التاريخ أن شعراء وشخصيات وأناس راحوا ضحية إشاعة إتهمتهم بالكفر أو الخيانة أو الزندقة، حاكها ضدهم أناس آخرون، حاولوا الإنتقام منهم، والنيل من قوتهم دون اللجوء إلى المواجهة وما يترتب عنها من نتائج وخيمة.

وتستعمل فئة التجار الإشاعة سلاحا لاستنفاذ مخزوناتهم من البضائع، ودرّ الأرباح وتحقيق الثراء السريع، ومثل ذلك تقوم فئة المحرومين والمعوزين بنشر الإشاعات عن بذخ الأثرياء وإسرافهم، واتساع الفروق الطبقية على حسابهم.

كما تلعب الإشاعة دورها في الأسرة، فتكون بمثابة حديث الساعة، وموضوع الأسرة لتبادل الآراء واستعراض القوى العقلية في إعطاء الحجج والبراهين على صحتها، او كذبها، فتجمع آراء الأسرة الواحدة أو تشتتهم، وأحيانا تكون دافعا لافتعال وابتكار الأقاويل المختلفة والتي تزكيها الأسباب والدوافع العميقة المستخلصة من تجارب الحياة المتعددة، ويزيد ذلك من فاعليتها وتعشيشها.

وتوجد أيضا في الظروف العصيبة التي يكون الرأي العام فيها يترقب الأخبار ويتطلع إلى تفسير الأمور، حيث تتهيأ النفوس لتقبلها وهضمها على أنها خبر عادي، ويجدون من تعدد مصادر روايتها حجة ودافعا للإعتقاد فيها، لأنهم ليس لديهم الوقت والوسائل الآزمة ولا حتى الإختصاص في إثبات صحتها أو خطئها، و يزيد من المشكلة تعقيدا إن كانت الإشاعة من الصنف الموجه لضرب مصالح أو بلوغ أهداف معينة، حيث تستعمل الإشاعة السياسية و العسكرية والإقتصادية وغيرها الطعم الثمين لتوجيه الرأي العام والسيطرة عليه، و تقف وراءها جهات خفية. وتصاغ هذه الأنواع من الإشاعات في مختبرات للدعاية والتضليل إذ يصعب كشف الجهة التي تقف وراءها، ولكن سرعان مايعرف الهدف الذي تريد بلوغه بكشف أضرارها على المجتمع.

و هناك ما يقابل هذه الأنواع من الإشاعات وهو ما يسمى بالإشاعة المضادة، وهي نوع يستعمل لإبطال مفعول وتأثير إشاعة موجهة من طرف معادي، و تكون أيضا موجهة و مقصودة للحد من تأثير الأقاويل المضللة و المضرة بالمصالح الأساسية و العامة.

أما الحرب النفسية فعمادها الإشاعات إذ تعتمد على إضعاف الخصم وتبسيط الأهداف التي يحارب ويدافع عنها، وإحداث تخريب نفسي في صفوف وحداته و أفراد مجتمعه، حيث تلجأ الإستخبارات إلى نشر الإشاعات، لإحباط عزم الأعداء، و تسليمهم بضرورة التخلي عن المطالب وعدم جدوى المواجهة، مما يضعف الإستعدادات لديهم ويشتت وحدتهم، كما تلجأ إلى نشر ما من شأنه إثارة النعرات والتفرقة، ونستشهد في هذا الميدان بحرب العرب ضد اليهود، أين كرست إسرائيل جهودها لإحباط وحدة العرب و إفشال الهجومات العسكرية ضدها من خلال التفرقة بين الجنود العرب، وإثارة الأحقاد القديمة ومشاكل الحدود بينهم، وطرح قضايا كثيرة للنقاش مثل تولي الزعامة. وقام في هذا الميدان اليهودي دايان بتصنيف المقاتلين العرب إلى جبناء و هم من يصرون على مواجهة اليهود، وإلى أبطال و هم من ألقوا السّلاح وتراجعو أو استسلمو، و ادعى في ذلك بتعاون بعض القبائل العربية في جبهات المواجهة معهم، كما حاول عزل الفلسطينين و تقزيم قضيتهم باستبعاد الشعارات القومية و الإستهانة بالمبادئ و الثوابت المشتركة التي لا تتعدى في وجودها الكلمة المنطوقة أو المكتوبة، و جعل من رؤية المصير المشترك مبلغا مستحيلا بالنظر إلى كل هته الفروق[1].

و تستغل الجهات التي تزرع الإشاعات الموجهة أحسن الظروف الإجتماعية و الإقتصادية و السياسية لبثها، وبأحسن الطرق والوسائل، مكتوبة أو مسموعة أو مرئية، بما اقتضى الأمر من وسائل ناجعة وبالغة التأثير لتأدية الغرض، وقد نشر اليهود في حرب 1967 مع العرب إشاعة مفاذها أن الجيش الأردني خسر خمسة عشر ألف (15000) جندي[2]، والمقصود من ورائها تصور حجم الخسائر المادية الأخرى إضافة إلى الخسائر البشرية، زيادة على أن دولة الأردن وحدها تكبدت هذه الخسائر الفادحة، و من هذا المنطلق يمكن تصور

---

[1] الإستخبارات الإسرائيلية، ص116.

[2] الإستخبارات الإسرائيلية، ص115.

حجم الخسائر للدول العربية مجتمعة، خاصة دول المواجهة مثل: مصر و لبنان و سوريا، إضافة لما يوحيه ذلك من قوة الجيش الإسرائيلي في رده للهجومات العربية على مختلف الأصعدة والجبهات، و صمود المقاومة أمام إتحاد القوى المعادية، و تكريس فكرة الجيش الذي لا يهزم، فأبعاد هاته الإشاعة ترمي إلى التسليم بقوة داخل الكيان الإسرائيلي لايمكن قهرها، و إحباط معنويات الشعوب العربية، و تسليمها بعدم جدوى المقاومة و ضرورة التحاور و تقبل الأمر الواقع.

و هناك صنف من الإشاعات يروج عند تعتيم الرأية على موضوع ما أو عمل معين، ويكون الهدف من وراء ذلك الحصول على أكبر قدر من المعلومات لبناء الفرضيات وتفسير الإشكالات، و في هذا الجانب نذكر ما نشرته بعض القوى المعادية عن الجزائر، متهمة إياها بإنتاج أسلحة نووية، و سعيها لتخصيب كميات كبيرة من اليورانيوم بمفاعل السلام النووي، و ما كان للسلطات الجزائرية في سنة 1987 إلا تكذيب الخبر، و لكن ذلك لم يكف لإسكات مروجي تلك الإشاعات حتى تسنى لهم بعث لجنة مكلفة بتفتيش المفاعل و معرفة برنامجه.

و يعمل جهاز الإستخبارات الإسرائيلي على نشر الإشاعات التي تضخم من الأحداث في الوطن العربي و تتهم أنظمته، و تسعى إلى افتعال الأكاذيب بحكمة و في أوقات تجري فيها أحداث ساخنة، و ذلك قصد توجيه انشغال الرأي العام العالمي إلى قضية، وتناسي و حجب النظر عما يمارسه اليهود داخليا في حق الفلسطينيين العرب[1].

و ما من فترة تمر إلا و تتهم دولة عربية بصناعة أسلحة كيماوية أو جرثومية، أو نووية، و ذلك بقصد توجيه ضربات القوى الإمبريالية إلى الصناعات و الإقتصاد العربي حتى لا يساير أو يطور برامج تصنعه و تطوره الإقتصادي، و أحسن سبيل لذلك هو رميها باتهامات خطيرة تسبقها إشاعات كاذبة و مروعة، ينشرها اليهود متى رأوا الفرصة و الوقت المناسبين، و التي تجعل منها ذريعة لضرب أهداف إستراتيجية في قلب الوطن العربي بحجة حماية أمنها و أمن المنطقة و ممارسة دور الرقيب على العرب و استغلال عيونها أحسن

[1] العسكرية الإسرائيلية، ص26.

استغلال، مما يجعل العرب يحسون بولوج استخبارات أعدائهم في كل الأجهزة و الهيئات الإدارية و الحكومية.

و عموما فإن الأصناف الأساسية للإشاعات لا تخرج عن هذا الإطار و يمكن إضافة أصناف أخرى، تتعلق بخوف الناس و البشر من المجهول فتنتشر الإشاعات على عالم ما بعد الموت أو عن المستقبل و الفضاء الخارجي و غيرها من المواضيع التي لا تجد لها تفسيرا في قاموس اللغة.

و هناك إشاعات دافع وجودها هو فضول الناس و اتجاههم لملئ وقت الفراغ، و قد صنفها الأمروكيون إلى عدائية و توقعية و إشاعات الفضائع و الرعب و المثيرة للأعصاب، و الباثة للكراهية و الحالمة و إشاعات الأماني و الرغبة و أخرى للكوارث، و أخرى هدامة و جنسية و منها الإفلات من الذنب و الإثم، و كل منها يرتبط إسمها بموضوعها[1].

و صنف بايسو"**bysow** " الإشاعات على أساس طبيعتها، و ظهورها ثم اختفاءها ومواكبتها للأحداث و سرعة انتشارها فميز نوعين متباينين[2] :

الإشاعة الحابية : و هذا النوع ينشأ و ينمو ببطئ و ينتشر في سرية و سرعة كبيرة إلى أن يعلم بها كل الناس، و منها على سبيل المثال إشاعات الكوارث و النصر و العنف.

الإشاعة الغاطسة : و سماها بايسو بهذا الإسم لأنها تنتشر برهة من الزمن ثم تندس إلى أن تسمح لها الظروف بالعودة ثانية، و إشاعات الحربين العالميتين خير دليل على ذلك، لأنها ظهرت في الحرب العالمية الأولى ثم الثانية، و يرجع ذلك لتوفر الظروف و الأجواء نفسها خلال الحربين، و مثال ذلك ما راج في الولايات المتحدة الأمريكية في الحربين العالميتين من أنّ أسير حرب أمريكي بعث برسالة إلى عائلته، لا تحمل من الأخبار ما هو جديد عن حالته، إلا عبارة يحثهم بها على الإحتفاظ بطابع البريد، و لم يكن هذا الأسير من هوات جمع الطوابع، و عندما نزعت الأسرة طابع الرسالة فوجئت بعبارة مكتوبة في موضعه تفيد أن حراس المعسكر قد قطعوا لسانه.

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص257.

[2] نفسه، ص186-187.

و مثل هذه الإشاعة ما يتكرر ظهوره في مختلف الحروب عبر أزمن مختلفة و أماكن مترامية على سطح الأرض، و من ذلك "أن العدو قد سمم مياه الآبار الصالحة للشرب"، ومرد ذلك إلى الخوف و القلق الذي يسود أجواء التوتر و النزاعات و الحروب.

كما صنف إرفنج **Irving** الإشاعات التي انتشرت أيام الحرب العالمية الثانية في كندا على أساس مواضيعها، إذ وجد أنها تدور في غالبيتها حول بشاعة العدو و أجواء الرعب و مشاعر العداء لبريطانيا، و مواضيع الإسراف و التبذير و تموين الحرب و تمويلها، و التجنيد، و عدم الكفاءة في إدارتها[1].

بينما صنف ليو بوستمان و ألبورت ألف إشاعة سنة 1932 في الولايات المتحدة الأمريكية على أساس الدافع إلى نشرها و ظهورها، فوجد أن معظمها ظهر بدافع الخوف و العدائية من جهة و الرغبة في الاستطلاع من جهة أخرى.

أمّا الإشاعات الفضولية فتتكون بدافع بسيط، كأن ينزل غريب ببلدة صغيرة، فتنشأ الأقاويل و الإشاعات حول سبب زيارته، أو يفقد منتوج استهلاكي من السوق، و الجنس و هو هدف دائم للإشاعة.

كيف نميز و نعرف الإشاعة ؟

إنطلاقا من تعريف جدوارد **Jidouard** للكيفية التي تولد بها الإشاعات، و الذي يجعل ميلادها ينبع من أعماق الناس بصفة تلقائية، و بقطع النظر عن معرفة ما إذا كان الحادث الذي تنطلق منه صوابا أو خطأ، فإنها على حد تعبيره توجد جزئيا في حالة انبعاث من تلك الأعماق فتجسد التعبيرات التوترية و التعبيرات عن الرغبة و عن التصورات[2]، و زيادة على شرط الأهمية في موضوع الإشاعة، يشترط أيضا أن تتسم الوقائع بشيئ من الغموض الذي ينشأ من تضارب الأخبار و عدم الثقة بها[3]، أو نقصها و انعدامها تماما، و في

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص189.

[2] مبادئ في علم النفس الإجتماعي ، باساغانا، ص52.

[3] سيكولوجية الإشاعة، ص56.

خضم هذا الغموض تنشأ الإشاعات بقصد استكمال النقص في الأخبار و المعلومات و تقدير النتائج المتوقعة و تصور نهايات محتملة لكل مشكلة، و محاولة ربط الأسباب بمسبباتها.

و لا يكون ذلك بحياد مروج الإشاعة بل يعمد إلى الزيادة أو النقصان من موضوعها و ذلك وفق ما تمليه عليه دوافعه و رغباته و تخوفاته، حيث يعمل بنيته في تنوير الرأي العام أو استمالته لهدف معين أو فضولا، كما يقوم العملاء بنشر الإشاعة الموجهة بغية إيهام الناس بإجماع الرأي العام على تلك الفكرة حتى يتم التسليم بها و تقبلها في الواقع.

كما نجد أن ناشري الإشاعات اليومية مثلا، و هم غالبا من عامة الناس يلجؤون إلى إعطاء أخبارهم أهمية قصوى إذ يربطونها بمصالح العامة و حياتهم حينا و يمزجونها بمخاوفهم و تطلعاتهم حينا آخر، حتى تجد الآذان الصاغية و الأذهان التي تنشغل بها، إضافة إلى مزجها بشيء من الغموض و عدم استكمال التفاصيل الضرورية، حتى يعمل المستمعون على استكمالها، و إظهار قوة تفكيرهم من خلال توقع نتائج منطقية و أحداث مناسبة لتلك الأخبار، و يشعر كل فرد بمساهمته في تشكيل الصيغة النهائية لموضوع الإشاعة، فيحفزه ذلك على ترديدها بين الناس قدر الإمكان.

و متى كان موضوع الإشاعة مهما و مؤثرا على نفسية و سلوك الناس، كان الإعتقاد فيه قويا، مما يجعل أثره بليغا في حياتهم، و ترسخ الإدعاءات و الإضافات حيث تصبح ملازمة للموضوع الرئيسي، فيصعب إثبات عدم جدواها و لزومها، مثلما حدث في صيف 1945 عند تفجير أول قنبلة ذرية، حيث توقع الناس حدوث إنفجارات أخرى بتطور استعمال هذه القنبلة، و هو ما من شأنه في اعتقادهم تفجير كوكب الأرض أو استحالة العيش عليه[1].

أما حقيقة تلك الإشاعات فهي ناتجة من أهمية الموضوع الذي يعني حياة الإنسان و مستقبله، و الغموض الذي نجم عن عدم معرفة الناس بالأمر و حبهم لاكتساب المعرفة و الاستطلاع و ترجمة انشغالاتهم و توقعاتهم و مخاوفهم، أما إذا توفر شرط واحد دون الآخر، في الإشاعة، فيكون غير كاف لظهورها و انتشارها بسرعة، إذ لا تكفي أهمية الموضوع في نشر إشاعات دون غموض التفاصيل و عدم استكمال الأخبار، فأهمية الكوارث الطبيعية عند الناس بليغة و مؤثرة لكن توضيح وسائل الإعلام للرؤية و استكمالها للنقص في

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص21.

الأخبار لا يجعل منها عرضة أو منبعا لنشر الإشاعات، و ذلك لعلم كافة الناس بالموضوع و تتبعهم لأطواره و جزئياته مما لا يشوب تفاصيله أي غموض أو نقص يترك المجال لانتشار الإشاعات حوله.

و عندما نتساءل عن الغموض الذي يكتسي تجارة العاج في إفريقيا، في ظل القوانين التي تمنع بموجبها المنظمة العالمية لحماية البيئة اصطياد الفيلة قصد خلق توازن بيئي، و منح بعض الحيونات مهلة للتكاثر بهدف عدم إنقراضها و الحفاظ عليها، فإن الموضوع لا يهم إنشغالات الناس، و الغموض الذي يكتسي العملية لا يجد لنفسه وقعا ليكون منبعا لإشاعات تفصل العملية و تحللها أو تهول من خطورتها، لأن الغموض الذي اكتسى عملية الصيد و التجارة بالعاج في ظل وجود قوانين مانعة لذلك لا يهم عامة الناس و لا يشكل دافعا يستقطبون به اهتماماتهم و يثيرون به فضولهم، و ربما يرجع ذلك في نظري إلى انعدام المصلحة التي تعود على الناس بالسلب أو الإيجاب من وراء هذا الغموض، بينما إذا تكلمنا عن الغموض الذي يرفق عملية بيع الأسلحة و التجارة بها بين الدول أو العصابات، نجد أنه ملفت للإنتباه و مهم في الوقت نفسه، مما يثير التساؤل لمجرد تسرب المعلومات أو الأخبار إلى الناس، حيث يتولد سيل من الإشاعات لشرح وتفسير العملية، و إثارة المخاوف و طرح التساؤلات حول استعمال الأسلحة و الجهة التي اشترتها و الهدف الموجهة إليه و غيرها من الإشاعات التي تحمل إنشغالات و مخاوف الناس.

أما كلمات و عبارات الإشاعة فتنتقى لتكون مناسبة لأهمية الحدث و الغموض الذي يكتسيه، و مرتبته عند الناس و داخل المجتمع، فيختار أصحاب الإشاعة المفردات ذات الوقع البليغ على تفكير الناس مثل -الطاعون -الحرب -المجاعة -الكوارث -الاستغلال -الإستعباد-التجبّر-التسلّط و غيرها من الألفاظ التي تثير انتباه السامع بمجرد ذكرها مثل الصهيونية، الشيوعية، الإمبريالية، الدكتاتورية، حيث تستقطب اهتمام الناس، فتصف الخصوم بالنازيين والأعداء و الرجعيين[1].

كما تستخدم ألفاظ التوقع مثل : من المتوقع، أو من المحتمل، أو من الممكن، و ذلك لشدّ إنتباه السامع و محاولة إقحامه في الموضوع.

---

[1] المرشد في علم النفس الإجتماعي، ص196.

و الكلمة بحسن إنتقائها تصبح من أشد الأسلحة تأثيرا علـى العقـول و تفكـير النـاس. ولكل موضوع الكلمات و الألفاظ التي تشخصه و تقربه إلى مفاهيم الناس، حتـى يكـون لـه حيز من الوجود بصيغة لغويـة تـلزم مرددهـا بتكـرار تلـك الألفـاظ أو التعبير عنهـا في حالـة النسيان بما يشابهها أو يرادفها، و التفكير في صيغة يوصل بها فكرته إلى الناس.

و تصاغ الإشاعة في شكل لا يوحي بنتيجة أو قرار نهائي حتى لا تصبح مسألة مقدمة للتصديق أو الرفض، بل تعمد دوما إلى إثـارة الشـك و تـرك المواضيـع بـدون نتـائج في حالـة مبهمة تحتاج إلى استكمال للأحداث و توقع نتائج و تفسيرات مفترضة.

و لا تتعـدى أحيانـا بضـع مفـردات أو كلمـات، إذ تميـل إلى الإختصـار و الإقتضـاب لتشابه الحكايات المقتضبة، و ذلك يساعد كثيرا في ترديدها و تنقلهـا بـين النـاس، خاصـة إذا وردت في صيغة تهكم بهيئة أو فئة أو قرار أو حملت طابعا سخريا من شـخصيات أو أفكـار، أو نشـرت أسـرارا، فتقـره و تـترك المجـال للألسـن قصـد التعليـق عليهـا، و تتضمـن أحيانـا توجيهات إيديولوجية أو ثقافية أو سياسية.

و عند انسداد الطريق أمـام بلـوغ الهـدف كإثـارة الفـتن و الحـروب أو غيرهـا يلجـأ أصحابهـا إلى إنتقـاء الألفـاظ المسيئة و الوضيعـة و المثيرة، لنشـر الفـتن و الفسـاد و التفرقـة و الإنقسامات، مثل العرق و اللون و اللغة و الدين[1].

و تصاغ الإشاعة في سياق مكتوب مثلما أشاع اليهود أثناء الحرب العربية مـن أخبـار زائفة و مضللة للرأي العام العربـي، حيـث تحـرف الحقـائق، و صيغـت و نشـرت عـن طريـق القصاصات التي ترسل إلى المدن الواقعة في خط المواجهـة أو المـدن العربيـة الرئيسـية، بفضـل سلاح الجو من طائرات و مروحيات، و القصد من ذلك إضعاف معنويات المقاتلين في الجبهة العربية و إحباطهم نفسيا حتى يضعف جدار المواجهة و يتم هزم القوى العربية.

كمـا تصـاغ الإشـاعات في النشـرات المكتوبـة و الصحـف و الدوريـات و الكتـب، و كذلك عبر الأجهزة المسموعة و هي الوسيلة السـريعة و الأكثر استعمالا حيـث توظـف الإذاعات و الجواسيس و تكلف بنشرها عن طريق الخطب و المحاضرات و الندوات، و عـبر

[1] المرشد في علم النفس الإجتماعي، ص197.

الوسائل المرئية مثل التلفزيون و الصور و الملصقات، و عموما لكل صنف منها وسيلته في الظهور و الرواج.

و تستعمل الإشاعات الأمثال لتدعم حججها و تزكي مدلولها، مثلما قيل عن الجيوش الإسرائيلة و القوى العسكرية الصهيونية، أنها القوة التي لا تهزم و الجيش الذي لا يقهر، بغية السمو بالعنصر اليهودي و تهويل قوته، ثم تقزيم العنصر العربي و إشاعة الرهبة في أوساطه[1].

كما روج الألمان إشاعة التفوق و الصفاء عن الجنس الألماني، و أشاعت الولايات المتحدة الأمريكية الأقاويل المبالغة في وصف قواتها من خلال الإشادة بجيشها و بعدته و عتاده.

و تستعمل الرموز الدالة على الأنظمة و الهيئات و الإيديولوجيات لنسبة مضمون الإشاعة إلى هيئة أو جهة معينة و تلفيق أمر خطير لها مثل: استعمال رمز السندان و المطرقة تعبيرا عن الإتجاه الشيوعي و النجمة السداسية تعبيرا عن الصهيونية العالمية.

و كل تلك الألفاظ و الدلالات مقصودة لتأدية هدف و بلوغ مصلحة حيكت لها الخيوط المنسجمة و الألفاظ المناسبة و المواضيع المهمة و استغلوا الأجواء التي تثير التساؤل و الجدل و تلفت إنتباه الناس أجمعين حتى يكون أثرها واسعا و بليغا، باتساع رقعة انتشارها و التصديق بها، و لذلك نجد أن الإشاعة ذات بناء لغوي و دلالي منسجم يصعب التمييز بينه و بين الخبر أو الكلام العادي و الحقيقي، و من لا يعرف شكل الإشاعة و بناءها لا يمكنه التمييز بينها و بين ما ينشر من أخبار إلا بحكم التجربة،و نجد أن من تعود على سماع الإشاعات و تمييزها فإنه يسهل لديه تمييزها و كشف حقيقتها.

و خير طريق للتحصين ضد الإشاعة هو معرفتها و فضحها و كشف أثرها و الجهة التي تقف وراءها.

---

[1] تأملات في الصراع العربي الإسرائيلي، ص188.

الفصل الثاني

الطابع الإجتماعي

تعكس الإشاعة حال المجتمعات، كما تشخص آمالها و آلامها و تعتبر وعاء يصب فيه المجتمع تخوفاته و تطلّعاته، و هي من جهة أخرى من أخطر الأسلحة التي توجه ضد المجتمعات لتفكيك وحدتها و تحطيم تماسكها و إحباط معنوياتها، و تجد فيها الشعوب والأمم المضطهدة وسيلة فعالة للتعبير عن استيائها و سخطها و استنكارها للأوضاع و تطلعها للتغيير، و تحاول من خلالها توحيد الرأي العام و جمعه و اقتياده للإهتمام بقضية أو موضوع معين، يشكل أهمية في حياة الناس.

و للمجتمع أهمية بليغة عند صانعي الإشاعات و مروجيها، حيث يسعون إلى الدراية بأوضاعه و مشاكله و واقعه و همومه، و تمييز طبقاته و مختلف التركيبات الإجتماعية المكونة له، و العلاقات التي تنظم شؤونه و تسير مصالحه مع الإهتمام بمصالح الناس أفرادا وجماعات، و التركيز على دور الفرد الإجتماعي باعتباره العضو المؤثر و المكون للجماعة، و البنية الأساسية في النسيج الإجتماعي خاصة و أن الإشاعة موجهة للتأثير في الضمير الجماعي من خلال السيطرة على ضمائر الناس وتصوراتهم، و تشبّع عقولهم بأفكارها و أكاذيبها و توجّهاتها.

لذلك يركز مكونوا الإشاعات على تماشيها مع معتقدات الجماعة و مثلها و معاييرها[1]، فتصاغ بلهجتهم أو لغتهم و بأبسط شكل يفهمه عامة الناس، بألفاظ بسيطة تخلو من التعقيد و التكلف و الغرابة، و تبتعد عن الإصطلاحات العلمية، و تنسج في سياق بسيط يسهل على السامع بها أن يرددها أو يحفظ محتواها، و يحتفظ بالعناصر المهمة فيها، و يساعد ذلك على إتّساع رقعة انتشارها و رواجها، و كلما حملت في طياتها ألفاظا غريبة

---

[1] دراسات في علم النفس، ص21.

أو منبوذة و صعبة و تشكلت في سياق صعب و أسلوب مطول، كانت إحتمالات اختفائها و اندثارها أقوى، و لا تستمر طويلا في الإنتشار.

و تكون سهلة الفهم حتى تنزل عند أبسط الناس في المجتمع و أقلهم ثروة لغوية، كأن نقول مثلا: لقد تسممت مياه الشرب، فالموضوع الذي تدور حوله هذه الإشاعة جد مهم (و هو الماء الصالح للشرب) حيث يعني كل المجتمع، أما الغموض فإنه يشوب العملية (التسمّم)، حيث يجهل مكان و زمان و فاعل الحدث و لا يعرف مصدرها، لانتقالها بين ألسنة الناس بشكل سريع، ثم تعدد رواياتها بأشكال مختلفة لا تخلو من التحريف و الزيادة، و تظهر حقيقة النسيج الإجتماعي من خلال نسبة الحدث إلى طبقة أو فئة إجتماعية، أو تحميل المسؤولية لأشخاص غير مرغوب فيهم لتسيير شؤون المجتمع، و بذلك تأخذ الإشاعات أبعادا أخرى عدائية، أو اتّجاها يخدم مصالح فئة معينة، و تتجه أكثر إلى البعد عن الحقيقة و جمع الرأي العام فتكون إما سببا في إثارتهما، أو تأكيدا و تكريسا لقضايا سابقة، قد غفل عنها المجتمع أو نسيها.

و الأحداث الإجتماعية غالبا ما تكون مجالا خصبا لميلاد الكثير من الإشاعات، فالإضطرابات و الصراعات الإجتماعية دافع قوي يؤدي إلى استخدامها و تسخيرها للنيل من الخصم، خاصة خلال الصراع بين طبقات المجتمع، حيث تلقي كل طبقة بجام سخطها على أخرى و تلفّق التهم لها، و تنشر الأقاويل عن ممارساتها، فتتهجم طبقة الكادحين و المستضعفين على طبقة الأثرياء وتتهمهم بإهمال مصالحها و الإسراف في التبذير، فتنتشر إشاعات الفساد و التبذير، و سرقة الأموال العمومية و استنفاذ طاقات الضعفاء و استغلالهم والسعي لتكديس الأموال وجني الثروات الطائلة على حساب المصالح العامة، و من ذلك الإشاعات التي تصف حفلات زفاف الأغنياء، و قضاء أعياد نهاية السنة الميلادية في أوربا، و تذليل الصعوبات بفضل الأموال و الرشاوي و تكوين نفوذ قوي بفضل المركز الإجتماعي.

و تتهم طبقة الأغنياء طبقة المسيرين و الحاكمين بالفساد و العمل على استنزاف الأثرياء، و إثقال كاهلهم بالضرائب و الرسوم و وضع القيود أمام نشاطاتهم، و تحميلهم مسؤوليات الركود و التخلف و الإحتكار.

أما صراع الأجيال فإنه موضوع خصب و ثري لإصدار الإشاعات و إلقاء اللّوم و العتاب على جيل معين، و نجد أن التركيب السياسي لدول متعددة يتكون غالبا من محافظين و معتدلين و جهة متفتحة على العالم و الأفكار الجديدة، و كل طبقة تضم أفكارا تجسد تطلّعات جيل معين، فتتبادل الإتهامات بينهم، فجيل الشّباب يميل إلى الثورة على بعض التقاليد و الأعراف القديمة التي تفرضها عادات الشيوخ، و جيل الشيوخ يميل إلى إثبات نجاعة أفكاره و تقاليده في الماضي و الحاضر و يسخط جيل على غيره و يلفّق له الإشاعات و يحمّله مسؤوليات النقائص و التخلف، و تتهم أمة سابقتها بالفساد و الوقوف وراء المصائب و النكبات.

كما نميز نوعا آخر من الصراع بين المجتمعات يتمثل في الصراع الفكري، حيث تروج الإشاعات حول السبق في الإبتكار والإختراع والتطور ، فتنسبه لجهة حتى تشتهر، وتقلل من إختراعات و ابتكارات الآخرين، وتكثر بين المجتمعات المتقدمة، ومن ذلك ما راج من إشاعات عندما أعلنت لجنة إختيار الفائزين لنيل جائزة نوبل للفيزياء في خريف 1997، عن فوز أمريكيان ونيلهما لها بفضل إبتكارهما لأشعة الليزر، التي تفيد في تدمير الأقمار الصناعية في الفضاء، إنطلاقا من الأرض، مما يغني عن إستعمال المركبات الفضائية لإستعادتها وتفادي خطر سقوطها، و في الوقت نفسه أعلن باحثون روس عن توصلهم لهذه النتائج والإختراعات قبل عشر سنوات من هذا التاريخ، أي في سنة 1987، وهذا ما يجعلهم أحق بالجائزة من نظرائهم الأمريكيين، وبدأت الإشاعات تلعب دورها في تفسير هذا التحيز، وعن سرّ عدم إعلان روسيا لهاته النتائج، وكذلك التشكيك والتقليل من أهمية إختراع الطرفين، خاصة وأن الصراع والسباق نحو التسلح بلغ أشدّه بين القوتين.

ولعبت الإشاعة دورا كبيرا أثناء الحرب الباردة، خاصة في تقزيم الإشتراكية وتضخيم خطرها على الدول والمجتمعات والمصالح الفردية وعلى التطور الفكري والإجتماعي وحرية التعامل .

أمّا هموم وإنشغالات المجتمع ونقائصه، فهي دافع قويّ لتوجيه الإشاعات، لأن الأفراد يتطلعون إلى الجديد والتغير، و ما يقال عن همومهم ومستقبلهم يجد له مكان في حديثهم اليومي، ويسيطر على الإهتمامات والآذان والعقول.

ثم إن كل ما يشكل أهمية في إنشغالات المجتمع هو عرضة لإشاعات إنتهازية تنال من حقيقته أو تحاول صرف الأنظار حوله لأجل مسمى، حتى تستفيد من نسيانه أو إهماله جهة لها مصلحة في ذلك، ومن هذا القبيل ما راج في الثمانينات في كل القطر الجزائري، من أن منظمة اليونيسكو وجهت للجزائر توبيخا على رداءة مستوى التعليم في مدارسها ومعاهدها.

و سبب هذه الإشاعة أن مستوى التعليم و هيكلته آنذاك، كان موضوع أخذ ورد بين إطارات التعليم و دعات التجديد والتغيير، وتطبيق النظم الغربية في هذا المجال، وكذلك بين عامة الناس والشرائح الإجتماعية، لتعلق الموضوع بمصير أبناء الشعب الجزائري و مستقبلهم، فاستغلت جهات خفية ساخطة على دور التعليم في البلاد، و على مستواه هته الفكرة ونشرت هذه الإشاعة التي بلغت رواجا كبيرا في الأوساط الإجتماعية[1].

و حقيقة الأمر أن الخبر لم تنشره أية جهة، و لم تتبناه أية صحيفة أو جهاز إعلامي ولا أساس له من الصحة، ومنظمة اليونيسكو لا تخوّل لها صلاحياتها أن توجّه توبيخا لعضو كامل الحقوق فيها يتمتّع بسيادته وإستقلال قراره وحرّية توجهه[2].

و عندما توفرت شروط ظهورها المتمثلة في الأهمية و التي تعلقت بالتعليم و مستوى تنظيمه، وفي الغموض الذي تعلق بتسييره و هيكلته، و تسطير أهدافه ،و بهدف الدعوة إلى التغيير و توجيه الرأي العام إلى هذا الموضوع، تكونت هذه الأقصوصة بشكل محكم حيث استحوذت على اهتمام شرائح عريضة في المجتمع، سلّمت بها وعملت على نشرها، و ظهر نوع من السخط على الهيئات المسيّرة للقطاع و على كفاءة المؤطرين، و استطاعت أن تصرف نظر الرأي العام عن العديد من المواضيع و المشاكل الإجتماعية الأخرى لفترة من الزمن، والإهتمام بقطاع التسير والتعليم والبرمجة، وقد استغلّتها جهات معينة لإلقاء المسؤولية على خصومها والنيل منهم و جسّدت بذلك صراعات إديو لوجية وإجتماعية مهّدت لظهور صراعات إقتصادية و اجتماعية أخرى بين أطراف مختلفة في السلم الإجتماعي.

و الحياة عبارة عن صراعات متلاحقة داخل المجتمع الواحد، وبين المجتمعات

---

[1] مدخل لعلوم الإعلام والإتصال، ص34.

[2] مدخل لعلوم الإعلام والإتصال، ص35.

المختلفة، و تكون الإشاعة منبعا مغذيا لهاته الصراعات، يصدر عن توتر دافع، يمثل غالبا سلوكات جماعية تتشبع بها، و تتطلع من خلالها إلى الحلول[1].

و البيئة الإجتماعية التي تمتاز بغموض الأحداث و تغليب الشك و التردد في حسم القضايا و فصل الأمور، تتميز بالتفكك الإجتماعي، و القلق و الخوف، و تنتشر فيها الإشاعات السلبية و تنتقل بسرعة حيث يساعد على ذلك التشابك الإجتماعي بين الأفراد و الأسر و الجماعات، من خلال الإتصال الواسع و السريع.

و قام مورينو **Morino** بتجربة أجراها على 300 فتاة في مؤسسة اصلاحية، و نشر إشاعات تجسد مخاوف و طموحات هذه الفئة، فلاحظ أنها تسري في الوسط الإجتماعي المتشابك و المترابط بشكل سريع، و تسري ببطئ في الأوساط المترامية الأطراف و المتباعدة في المكان و في العلاقات الإجتماعية[2].

و من هذا المنطلق تبرز أهمية ترابط المجتمع و بنائه، و العلاقات التي تحكمه داخليا، و تنظم معاملاته و شؤونه مع غيره في نشر الإشاعات و رواجها.

و أقيمت دراسة في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1942 قصد اكتشاف صدى الإشاعة في الأوساط الإجتماعية، و إظهار توجهات و ميول المجتمع، و بيّنت أن ثلثي الإشاعات المنتشرة آنذاك بدول المحور، و 3,9 % منها كان مناهضا لليهود و 3,1 % منها مناهضا للزنوج و 21,4 % منها مناهض للإدارة الحكومية و نحو 19,6 % مناهض للجيش و البحرية الأمريكيين، و لكل صنف أسبابه التي دعت إلى ظهوره[3].

و قام الأمريكيان ريتش و يونغ **Ruch et Young** بدراسة الإشاعات التي أطلقتها دول المحور عبر إذاعاتها، و مؤداها أن 3000 جندي أمريكي من المكلفين، هربوا من قاعدة فورت داكس بنيوجرسي، و أعد جدولا لاحصاء انتشارها و التصديق بها، فوجد أن 8 % فقط ممن تم استجوابهم سمعوا الإشاعة، و معظم الذين انتشرت في أوساطهم فقراء، و معدل التصديق بها كان 9,4 % في نيويورك، 3,8 % في بوستون و كان انتشارها بين من تخطّى

---

[1] سيكولوجية الإشاعة ،ص 8

[2] دراسات في علم النفس الإجتماعي، ص21-30-34.

[3] سيكولوجية الإشاعة، ص28.

سنهم 45 سنة أكثر من الفئات الأخرى، و كانت فئة اليهود أكثر الفئات إيمانا بها، لأن مشاعر الخوف و اللاّأمن هيمنت عليهم، خاصة في الأيام الباكرة للحرب[1].

و أدت تلك الإشاعات إلى توتر في الإستقرار الإجتماعي و ظهور إشاعات التفرقة و العداء و التطرف، مما أدى برئيس الجمهورية آنذاك إلى التدخل، و الدعوة من خلال برنامج (حديث المدفئة) لمحاربة الإشاعات العنصرية و العدائية الداعية إلى التفرقة و التطرف الديني. و خصصت آنذاك إحدى وحدات الإعلام الحربي لمكافحة الإشاعة، و سمّيت بعيادات الإشاعة، و عملت على نشر الأخبار الرسمية، و كسب ثقة الجمهور و فضح دسائس إشاعات دول المحور[2].

و روي أيام الحرب العالمية الثانية أن سيدة من الولايات المتحدة الأمريكية أبلغتها الهيئات العسكرية بقرب قدوم زوجها عائدا من ساحة الحرب، و كان الإستقبال في محطة القطار، و روي أنه سلّم لها في سلة، حيث بترت أطرافه الأربعة، و القصّة نفسها ترددت أيام الحرب العالمية الأولى، و على الرغم من أن حادثة واحدة من هذا القبيل وقعت بالفعل، إلاّ أن الشعور بالخوف و اللاّأمن عمر طويلا خاصة عند عائلات المجنّدين، حيث ساهمت هذه الإشاعة في عملية التخريب النفسي لأفراد الشعب الأمريكي، إلى أن نشرت القصّة سنة 1945 تحت عنوان (ضحية حرب، مبتور الذراعين مبتور الرجلين يتسلم 20000 ألف دولار نقدا)، و بذلك هدأ القلق و هلع الرأي العام[3].

و أثبت الدراسات السيكولوجية أن الإشاعة تنتقل من أسفل إلى أعلى في الهرم الإجتماعي و تعمل الطبقات السفلى في المجتمع على ترويجها، لأنها تعد أقل تحصنا من غيرها ضدها[4].

و كلما تفشت الأمراض و الأوبئة و عمت الكوارث و كثرت الأزمات، وجدت الإشاعة الجو المناسب لتهويل الأمور و تضخيم الأحداث، و فضح المسيرين لتضييعهم الأموال و تعنتهم و إهمالهم لشؤون المجتمع.

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص32.

[2] نفسه، ص33.

[3] سيكولوجية الإشاعة، ص25.

[4] دراسات في علم النفس الإجتماعي، ص34.

و طبيعة الحياة الإجتماعية تفرض ظهور إشاعات مناسبة لها، من خلال حالة المجتمع أثناء فترات السلم أو الحرب و أثناء التقدّم و الرّقي أو الفقر و التخلّف، و كذلك تفاعله مع التغيرات و تعايشه مع بعض المجتمعات، مما يجعله في سيرورة التغيير و التجديد في مختلف مجالات الحياة العامة.

أما تأثيرها الإجتماعي فإنها تستطيع تحقيق ما تعجز عنه وسائل أخرى مثل الخطابة و الإعلام و الدعاية و غيرها من الوسائل الموجهة إلى المجتمع بقصد تحقيق غرض معين، فالإشاعات البنّاءة التي تعمل على توحيد الرأي العام حول قضية أوفكرة تستطيع تحقيق الإجماع الفكري و توحيد الرؤى مما يكفل التماسك الإجتماعي و يوحد صفوف المجتمع، و الإشاعة الهدّامة تعمل على خلق الفتن بين طبقات المجتمع و تفرّق بين أجناسه و تزرع الكراهية و العداء بين أفراده مما يجعل النسيج الإجتماعي هشّا و يجعل مصالح المجتمع في خطر، و تستحيل الوحدة و التلاحم الإجتماعي، و على ذلك تعد مثيرا إجتماعيا فعالا.

و حتى تنجح الإشاعة في بلوغ هدفها فإنّها توجه إلى أكبر عدد من الأشخاص و الذين يشكّلون وحدة متماسكة في المجتمع تقوم بينها علاقات متنوّعة و توحّد بينهم ثوابت اللّغة و الدّين، و يجتمعون في رقعة من الأرض، و بذلك تكون الإشاعة ظاهرة اجتماعية.

و متى تشتّت الأفراد الذين تنشر بينهم، و تقلص عددهم، اندثرت و ماتت.

و في العالم العربي تنتشر إشاعات عديدة تدور حول مشاكله و مصائبه و طموحاته و تخاطب اللاشعور الجماعي قصد التأثير فيه و إرغامه على التخلّي الكلّي عن إرادة الصراع مع أعدائه اليهود و من ورائهم القوى الإمبريالية، و تقوم بتخريب العزيمة و تمزيق الوحدة، و تعمل على انهيار شخصية شعوبه[1].

و الأوضاع التي يعيشها المواطن العربي في كل قطر لا تجعله يتطلع إلى الوحدة حيث استهدفته الإشاعات العدائية، و زرعت البغضاء بين أفراده و عزلت شخصيته و قزمتها إلى حد محاولة خلق هويات متعددة لمواطن عربي واحد، يعيش في مناطق مختلفة و متباعدة، و أغرقته في دوامة التعصب و العنصرية، و قزمت قوته في شكل دويلات ضعيفة و لا زالت

---

[1] الإستخبارات الإسرائيلية، ص112-113.

تزرع الأحقاد و النعرات الطائفية و القبلية حتى ينقسم المجتمع العربي أكثر فأكثر و يصبح منالا سهلا لأعدائه.

و لعل الصراع اليمني و الإنقسام الترابي أحسن دليل على ذلك و كذلك الصراع اللبناني و الصومالي و السوداني و غيرها من الصراعات بين طوائف الأمة الواحدة، التي تتميز بمقومات الوحدة و التلاحم، و اللّغة و الدّين و الإنتماء المشترك و المصير الموحّد و الماضي الأصيل.

و بلغت الإشاعات حدودا بعيدة في إثارة الفتن و الحروب بين المجتمعات العربية حيث تثير الجدل حول الحدود الترابية و تزكي الخلافات السياسية و تنسب إلى العرب كل أنواع الإجرام و الفساد، كما تدفع بالفرد إلى الثورة على مبادئه و ثوابته، و تصور المرأة العربية على أنها ملك للرجل و أداة لخدمته، و تحاول التقليل من حريتها، و قد أصابت عندما طالبت الجمعيات النسوية في العديد من الدول العربية إلغاء أو تعديل قانون الأسرة، و ذلك تحت تأثير وسائل الدعاية الغربية، و لما ترى فيه هذه الجمعيات من إجحاف في حقها.

كما حاولت ضرب البنيات الأساسية في المجتمع مثل الأسرة، حيث روجت عنها أنها بدائية تخضع لسلطة و تسلّط الرجل أو الأب و قيود التقاليد و العادات و كذلك إهمال حرية الفرد و استقلاله بحقوقه.

الإشاعة و الدعاية

إن اصطلاح الدعاية وضع ليدل على سلوكات إعلامية و إشهارية في غالب الأحيان إذ نجد أنها تصاغ لغة من الفعل دعا يدعو دعاء و دعوة و دعاية و ادّعاء، و الإدّعاء هو المطالبة بالشيء حقا أو باطلا، و الدعوة هي المطالبة أو الدعاء إلى شيء مع الإعتقاد أنه حق ثابت، و اقترنت الدعوة عند العرب بالدعوة الإسلامية، و هذا ما جعلهم يطلقون على عملية الإدعاء مصطلح الدعاية تمييزا لها عن الدعوة الإسلامية[1].

[1] مدخل لعلوم الإعلام و الإتصال، ص26-27.

أما المختصون في الإعلام و الإتصال و علم الإجتماع فإنهم يجمعون على أنها محاولة التأثير على الرأي العام، و على المجتمع حتى يعتنق أفراده رأيا أو سلوكا معينا، و تتلخص في نشر مبادئ أو حقائق و كذلك إشاعات و أكاذيب و ترويجها[1].

و الداعية هو الجهة أو الهيئة التي تقف وراء تلك الأفكار و تعمل على نشرها والدعوة إليها و العمل بها.

و لا تعد الإشاعة بأشكالها و أنواعها ضربا من ضروب التعليم، لأن التعليم يدعو إلى إعمال العقل و تحكيم الآراء و تصنيفها و تكوين الرأي، و بذلك يعتبر حزاما واقيا ضد الدعاية التي تجمد استخدام العقل بغية تعليم الفرد آراء جاهزة مصدرها في الغالب غير معروف، خاصة إذا تعلق الأمر بالدعاية المقنة التي تبدو بسيطة في ظاهرها و لكنها تنطوي على أبعاد كثيرة[2].

و أحيانا تكون مكشوفة و واضحة الأهداف بسيطة و أحيانا تكون سوداء خفية الغرض، ترفع شعارات براقة مثل ديمقراطية، عدالة، حرية، زيادة على العرق و اللغة و الجنس، كما تستعمل الشعارات المعادية مثل النازية، المستعمر، الديكتاتورية، الصهيونية، الشيوعية، الخونة، و تلجأ إلى التزييف و التشويه و التهكم، و استخدام الكاريكاتور و الصور بقصد السخرية، و هذا ما اعتمدته النازية أثناء الحرب العاملية الثانية، و خصصت لها أجهزت و هيئات و طاقات هائلة من الوسائل[3].

و تعد الخطابة من أقوى أدوات الدعاية لاعتمادها على الإلقاء المباشر و المواجهة بين الداعي و الجمهور، حيث تستقطب اهتماماتهم و مشاعرهم، و تستخدم أيضا الكتابة في الصحف و المجلات و النشريات، و الصور من خلال الإستعراضات و دور السينما و التلفزيون و غيرها من وسائل الإتصال و الإعلام.

و تضمن الدعاية إستمرارها بفضل ما تدره عليها المؤسسات و الهيئات من أموال و التي تستفيد من خدماتها.

---

[1] المدخل إلى وسائل الإعلام، ص59.

[2] علم النفس الإجتماعي، ص368، انظر الرأي العام و الدعاية، ص30.

[3] علم النفس الإجتماعي، ص363.

و قد عرفها الإنسان منذ القديم فقد إستترت وراء الدعوة الدينية، و الحملات العسكرية، و خصصت لها مساحات و مسارح للقيام بها و من ذلك، أغوارات وساحة التصويت في روما، و المسرح الروماني **Nimes** بفرنسا، و بعلبك بلبنان و سوق عكاض عند العرب في الجاهلية كان مسرحا للدعاية التجارية و الدينية و السياسية و الأدبية، و كان الشعراء و الزجالون و المداحون، دعاة للملوك و الأمراء.

و من آثار الدعاية في القديم ما خلّده القُدامى من رموز و آثار و هياكل، لازالت إلى يومنا هذا تعد منبرا للدعاية للحضارات القديمة، و دليلا على تطورها و ازدهارها، و يتجسّد ذلك في المعالم الأثرية مثل صليب مالطة و اللورين و زنبقة الملكية بفرنسا و هلال الدولة العثمانية و هياكل و معابد اليونان و الرومان و الفراعنة، و تماثيلهم و مقابرهم، و أشعارهم و فلسفاتهم التي لازالت إلى يومنا هذا تدعونا إلى البحث فيها و الرجوع إليها و تدعو لحضارات إندثرت و عمّرت فترة من الزمن[1].

أنواع الدعاية

غزت الدعاية كل ميادين الحياة فانتشرت الدعاية السياسية فيما بين الحربين العالميتين و سميت بحرب الإيديولوجيات، و إدراكا لأهميتها، خصصت الحكومات و الأنظمة وزارات خاصة بالإعلام و الدعاية و الإستعلامات، بهدف حماية وجودها و الدفاع عن مصالحها و الترويج لأبعادها السياسية و الإجتماعية و اكتساب تأييد الجماهير، و هذا فضلا عن الدعاية الخارجية الموجهة ضد أهداف معادية في المجالات السياسية و الإجتماعية والثقافية و الإقتصادية و غيرها.

و الإشاعة من الأركان الأساسية الهامة في الدعاية و من أسلحتها الفعّالة[2]، ففي الميدان التجاري تستعمل الدعاية لجلب المستهلك و لفت انتباهه و توجيه اختياره في انتقاء السلع و المبيعات، و تشيع انتاجا و تشيد به على حساب منتوجات أخرى، و تستخدم الإشاعة في تشكيكها في جودة سلع و منتوجات دول أخرى و تتهمها بعدم مراعات معايير النظافة

[1] الرأي العام و الدعاية، ص32.

[2] علم النفس الإجتماعي، زيدان مصطفى، ص145.

و الجودة و النوعية، و كل ذلك بقصد تحقيق الربح السريع و السهل، و تلجأ إلى إلحاق الخسارة بالخصوم و المنافسين و تشويه سمعتهم التجارية.

الدعاية العسكرية

تحاول استقطاب الرأي العام تجاه قضية أو هدف بقصد إظهار مشروعيته، و تحاول جعل أصحابها في موقف المظلومين، و المكرهين على خيار القوة، و الذين يوصفون أنهم سلبت منهم السيادة و الحرية و المصالح و الأموال.

و تعمل على نشر الخوف من خلال إشهار السلاح و اظهار التفوق بالإستعراضات العسكرية و المناورات و التداريب المستمرة، و توجّه الإشاعة لتحطيم وحدة الرأي العام و تفكيك القدرات و الإستعدادت النفسية و البشرية لدى الأعداء، و تضخم من خطر الخصوم على السّلم و الأمن و تهديد المصالح العامة.

الدعاية الإيديولوجية أو الفكرية

استغلها الإمبرياليون و الألمان و الشيوعيون في الدفاع على إيديولوجياتهم و أفكارهم، و التمكين لها، ثم العمل على حمايتها و نشرها أو تصديرها إلى الخارج، حتى أن العالم اليوم أصبح عبارة عن تكتلات و أحلاف تجمعها إيديولوجية مشتركة، و كان الفلاسفة قديما يدعون لأفكارهم و اعتقاداتهم بفضل الخطابة و المناضرات.

الدعاية الثقافية

تروج للأفكار و السلوكات و التقاليد و العادات، من خلال بثّ البرامج عبر القنوات الإذاعية و السينما و التلفزيون و الصحف و المجلات و الكتب و الأشرطة المسموعة لتحقيق غزو حقيقي، و طمس ثقافة الآخرين، و تستخدم الإشاعة في برامجها و موادها من أجل ضرب شخصية الشعوب و تذويب الهوية الثقافية و زرع بذور الشقاق و الانقسام في هيكل

الثقافة و الأمة الواحدة، و عموما تعد هذه الأنواع أهم ألوان الدعاية في أيامنا، و التي تجد في وسائل الإعلام المتطورة منفذا لها و أداة طيعة لأغراضها، و تسخر الإشاعة لتحقيق مآربها و الدعاية لنفسها و تلميع صورها.

تحليل الدعاية

إن أسلوب الدعاية يرتكز على نشر الأفكار و الآراء عن طريق وسائل الإعلام و الإتصال الشخصي، وتميل إلى التستّر أحيانا وعدم كشف أصحابها.

و أثناء الحرب العالمية الثانية كلّف الحزب النازي في ألمانيا مسؤولين يتولون العمل الدعائي وتضليل الأعداء من خلال نشر الأخبار و الإشاعات عن طريق المذياع، وكان هؤلاء ذوو مقام عال في سلم الحكومة ، وقامو بتضخيم وتهويل الخطر اليهودي على ألمانيا.

و تقوم الدعاية بتضخيم الأحداث والمبالغة فيها والمفاضلة بينها، مثل ما تقوم به الشعوب المستعمرة من تضخيم لخطر الإستعمار و جعله أكبر كارثة نزلت بها.

و الشعوب العربية اليوم تكشف عن الدعاية الغربية والصهيونية ضدها، حيث تصورها على أنها تشكل خطرا على الإستقرار و الأمن و أنها تحاول بكل الوسائل الحصول على الأسلحة الفتاكة والمحضورة، ويكون هذا التضخيم كما شرحه الدكتور زهير إحدادن، بالتبسيط وعدم التعقيد حتى تكون الدعاية في متناول فهم أبسط الناس[1].

و توهم الناس بوجود عدو مفترض يجعلها تعمل على إقناع الرأي العام بمحاربته و إرضاخه، مثلما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية ضد الدول العربية، مثل ليبيا و العراق.

و تعتمد على التكرار و تجديد الصيغة و الأسلوب، و استغلال الأحداث والإيحاء بوجود اتفاق و وحدة في الرأي العام و توظّف الإشاعات عندما تعترضها عراقيل، و توهم الجمهور بوجود جو من التلاحم الوهمي، الذي يتناسى الواقع الحقيقي للشعوب[2].

---

[1] مدخل لعلوم الإعلام و الإتصال ،ص 26-27.

[2] نفسه، ص28.

و تستهوي السامع بالأخبار السارة و الأفكار، و الصور و الشّعارات، و تعتمد على التنويع في البرامج و المواد التي تدعو إليها واستغلال الوقت و الزمان و المكان و الأحداث، و تظهر غالبا في شكل مختصر مثلها مثل الإشاعة[1].

و تستغل حاجات الفرد و المجتمع وتحاول السيطرة على نفسيته في الوقت المناسب، و تراعي الظروف السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و المعايير الثقافية، بغية تحقيق الغاية بأبسط الوسائل.

أهمية الدعاية

قد تختلف الدعاية عن الإشاعة في كون الأولى ذات فوائد وعائدات معتبرة على الإقتصاد بشكل عام، و في ظروف زمنية قياسية، لذلك يتفنّن المختصون بصياغة الشكل الدعائي الموجه للرأي العام بهدف تحقيق أكبر قدر من النجاح، والدعاية قد يعرف من وراءها ومن المستفيد منها، لكن الإشاعة يجهل دوما مصدرها ويتنكر لها أصحابها، وهي ذات نفع بالنسبة لهم، إن وفقت في بلوغ النتائج المرجوة منها، و بعد انقضاء مدة زمنية قد تطول أو تقصر.

وللدعاية أهمية كبيرة في حياة الناس، و الشعوب، إذ تقوم بوضائف متعددة في جميع المجالات منها، الإعلام و الإتصال و تنوير الرأي العام أو تضليله والسيطرة عليه.

و عبّر عنها والتر ليبمان، **walter lippman** بقوله أنها محاولة التأثير في شخصية الأفراد، و السيطرة على سلوكهم، في زمن محدد، و مجتمع معين، دون الكشف عن الهدف المنشود[2].

و قدّرت مساحة الدعاية في صحيفة أمريكية تهتم بالمعاملات و المبادلات بـ: 60 % في صحيفة يزيد سحبها عن مائة ألف نسخة، وحوالي 62 إلى 64 % في الإذاعات و دور النشر الأخرى، و تقدر في الجرائد التي يقل السحب فيها عن مائة ألف نسخة، ما بين 40

---

[1] علم النفس الإجتماعي –عبد السلام زهران، ص367.

[2] علم النفس الإجتماعي –محمد مصطفى زيدان، ص145.

و50 %. و قد تجاوزت مبالغ الإستثمار في الإذاعات من خلال مواجيز الأخبار20 مليون دولار، و هذا ما يفسر قيمة و أهمية الدعاية خاصة في الإقتصاد و التجارة.

كما تحددت نفقات الدعاية السياسية سنة 1970بـ 59مليون دولار.

ثم إن هذه التقديرات دليل قوي على أهمية الدعاية و الإعلام في المجتمعات، ودورها في استمرار الجرائد و توفير المداخيل الازمة لذلك.

غير أن نقص الدعاية مثلا أدى بإدارة تسيير بجلة نيويورك تايمز إلى إلغاء 300 منصب شغل، لقلة العائدات التي كانت تجلبها الدعاية، و ميلاد أو موت صحيفة لا يقرّه القرّاء و لكن تتحكم فيه الإستثمارات الدعائية[1].

و قام دالين **DALLIN** بدراسة لمحتوى الصحافة الروسية فوجد أن 80% من الأخبار في صحيفة البرافدا السوفياتية، تتعلق بالعسكرية الإستعمارية للويالات المتحدة الأمريكية، و أقوال مناصرة للإتحاد السوفياتي و معادية لسياسة الغرب الرأسمالي القائمة على التفرقة العنصرية و الإستغلال، و انتشار الإستبداد و تضمنت أيضا إعلانات عن إضرابات.

و في المقابل قام كريسبيرغ **KREISBERG** بدراسة لمحتوى جريدة نيويورك تايمز الأمريكية فلاحظ أن معظم الأخبار عن الإتحاد السوفياتي تدور حول ظلم و لا أخلاقية الحكام، و التصريحات التي تفيد أن حكومة هذا البلد لن تنجح لأنها لا تمثل الشعب[2].

و يمكن استخلاص أهمية الدعاية في وقائع الصراع العربي الإسرائيلي، حيث تنفق إسرائيل أموالا باهضة من أجل تنضيف العنصر اليهودي من الصّفات الرذيلة التي اتّصف بها منذ القديم و تقديسه و محاولة ربط انتمائه و حضارته بالحضارة الغربية، و الترويج لفكرة اضطهاد اليهود و ظلمهم، و في الجانب الآخر تقوم بالدعاية التي تغذيها الإشاعات، بتصوير العرب على أنهم ظالمون و مخرّبون و تستهين بمقوماتهم و مبادئهم[3].

و استخدمت الدعاية الإسرائيلية الإشاعة باعتبارها أهم سلاح دعائي و أخطره في جعل العقل العربي بعيدا عن المنطق و الوقائع، و عاجزا عن رؤية المستقبل.

---

[1] الصحافة المكتوبة و السمعية البصرية، ص487-490.

[2] علم النفس الإجتماعي -عبد السلام زهران، ص368.

[3] تأمّلات في الصّراع العربي الاسرائيلي، ص184.

أما الألوان الدعائية في الغرب فإنها لا تخلو من التزييف و التلفيق في استعمال الإشاعات قصد الرّبح السريع، و تتقمص الإشاعة الشكل الدعائي لتزييف حقائق الأشياء، و إظهارها بأوجه أخرى لا تدعوا إلى الشكّ و القلق.

ففي سنة 1997 قامت وسائل الدعاية الصهيونية بتدعيم و إشهار شتائم و قذف امرأة فيلبينية للمعتقدات الإسلامية، و دعّمت وسائل الإعلام و الدعاية الغربية إشاعات سلمان رشدي التي قذف بها الديانة الإسلامية و رسولها محمد ﷺ.

و تقوم الولايات المتحدة بنشر الإشاعات عن المنتوجات الألمانية و اليابانية، للتقليل من أهمّية تفوقها التكنولوجي و الإقتصادي، و تضييق الخناق على تجارتهما و الإستحواذ على الأسواق الخارجية في العالم.

و تقوم الدول العربية بالدعاية المضادة لما تنشره إسرائيل و الغرب عنها من خلال فضح الدّسائس و إبطال الإشاعات الكاذبة و نشر الأخبار الصحيحة و فضح نوايا الأعداء.

ميادين الإشاعة

تصبح الحروب و الكوارث و الإضطرابات و الأوبئة التي تعتبر مدمرة بذاتها، أكثر تدميرا عندما تنضاف إليها مضاعفات الإشاعة التي يمكن أن تكون هي التي أحدثت التوتر الإجتماعي، و أشعلت الإضطرابات[1].

و قد أشار الكثير من الباحثين في حقول متنوعة إلى أهميتها و خطرها في شتى الميادين و من ذلك الميدان الإجتماعي.

تتولّد الإشاعة عندما يميل الناس إلى تتبع الأخبار و معرفتها و البحث عن حقيقة الأمور و المشاكل، خاصة أثناء فترات القلق إذ يميل الناس إلى إيجاد الحلول للمعضلات و تخفيف الهموم من خلال الإقبال على الأخبار، كيف ما كان مصدرها و طبيعتها، و بالتالي يكون عرضة لخطرها، باعتبارها خطرا ينطوي على شيء من الحقيقة و كثير من الأكاذيب.

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص211.

و بنيّة التبليغ أو نقل الخبر و إعلام الناس يقوم الفرد بنشر الإشاعة و استكمال النقص الذي تنطوي عليه في استكمال الخبر أو ذكر المصدر و ذلك باعطاء التفسيرات و التأويلات الإرتجالية، حيث تنتشر بسرعة في الوسط الإجتماعي القائم على تبادل المنافع و تشابك العلاقات العامة .

كما تزدهر عندما يسود الفقر و المجاعات، و هيمنة المشاكل الإجتماعية على الحياة العادية مثل البطالة، و غلاء المعيشة، و سوء التسيير، مما يزرع عند الناس أحاسيس التذمر و السخط على الأوضاع المزرية، و يتطلعون إلى الحلول و الخروج من الأزمات، فيكفي مثلا إنتشار أزمة السكن حتى تروج الإشاعات عن مواضيع الرشوة و التحيز و التوزيع غير العادل للمساكن على حساب الطبقات المحرومة.

و تحاول هذه الإشاعات أن تجعل أكثرية أفراد الجماعة على رأي واحد خاصة في حالات السلم و الحرب و اللاستقرار، حيث تشكل هذه الحالات دافعا للفت انتباه الرأي العام حول قضايا مهمة أو صرفه عن قضايا أخرى خارجية، و تضخم الأحداث و المعضلات و تحاول أن تنوب عن الإعلام الرسمي.

و تعتبر أيضا نموذجا للتعبير اللاشعوري عن الحقد و التميز و التطرف و السخرية، فيجد المجتمع أو فئة منه متنفسا لإظهار شعور ما نحو فئات أخرى و الإستهزاء بقيمها و السخرية من المواقف، فنجد كثيرا من الناس يبتكرونها و يلفّقونها لغيرهم لاستصغارهم و تحقير أعمالهم أو فضح تصرفاتهم، و تلفيق التهم لهم و تضخيم الأمور البسيطة قصد لفت الإنتباه حولهم و معاتبتهم.

و المجتمعات التي تعرف تركيبات إثنولوجية (إثنية) متعددة أو معقدة تكون أكثر تعرضا لمثل هذه الأنواع من الإشاعات النابعة من اللاشعور الجماعي الذي يأوي وينطوي على كثير من المواقف والمشاعر التي لم تجد متنفسا لها في الظهور صراحة، فوجدت في الإشاعة منفذا لاستثارة الأحاسيس.

كما تصاغ و تبدأ في وسط اجتماعي ثم تروج فيه أيضا و تموت فيه إذا حققت هدفها أو لم تحققه، و في الحالة الثانية فإنها تسكن في اللاشعور الجماعي، و متى توفرت

الظروف المشابهة للّتي ظهرت فيها فإنها تعاود الظهور بالشكل الذي صيغت فيه أو بشيء من التعديل.

و على ذلك فإنها تعد شكلا من أشكال التعبير، و لونا من ألوان الإعلام، و تخدم الإتصال و تقوي طرق التبليغ حيث تستطيع أن تحمل الإنطباعات، و تقبل الزيادة و النقصان، و يسهل إدخال تعديلات عليها و إضافات.

الميدان الثقافي

تتخذ في هذا الجانب أشكال عديدة حيث تظهر في شكل حكاية أو قصة أو رواية أو خرافة، أو حتى تتجسد في وقائع مسرحية أو فيلم تيلفزيوني، أو أشرطة أو كاريكاتور أو رسم أو صورة أو ترسل عبر قنوات الإتّصال و الإعلام مثل الصحف و المجلات و غيرها.

و تكون أيضا من قيم و أعراف المجتمعات، و لا تسلم المعتقدات و العادات والتقاليد من خطرها، فتكون أخطر سلاح خاصة في غزو الثقافات و الهيمنة الثقافية و الفكرية و الإيديولوجية على الشعوب، و تعد أيضا شكلا فعالا في الثورة على المبادئ و التراث.

و قد انصبّت جهود الدول الإستعمارية الحديثة على دراسة العلاقات الإجتماعية و ثقافات الشعوب و أنظمتها الإجتماعية، و تركيبها الديمغرافي، حتى تسهل القبضة الإستعمارية عليها خاصة عند إلحاقها و إتباعها فكريا و حضاريا، و إيهامها بتقليد المستعمر، حيث تلعب الإشاعة دورا بارزا في طمس الشخصية الوطنية للشعوب، و لنا خير دليل في هذا المجال ما كانت فرنسا تشيعه في أوساط الجزائرين من أن الجزائر فرنسية، و أن الثوار ما هم إلا خونة و مرتزقة و إرهابيين يمثلون أنفسهم، و لا يتعلق الأمر بتاتا بثورة شعبية عارمة.

الميدان التجاري

تروّج الإشاعات للمعاملات بين الأشخاص و الدول، فيميل ناشروها لتحقيق الرّبح السريع و الضخم على حساب الآخرين، إذ لا يكتفوا ببوار سلعهم و إبخاس ثمنها، بل يعملوا على الإنفراد بالصفقات و بالأسواق و فرض شروطهم و أسعارهم في المعاملات[1].

و يلجأ التجار في كل المجالات التجارية إلى نشرها للتعبير عن نفاذ المخزونات من بعض المواد حتى ترتفع الأسعار و يكثر الطلب و تحقق الأرباح، و أيضا تقوم بربط مصير التجارة بالحروب و الكوارث، و تقوم كذلك باتهام جهات معينة بالغش و الحصول على الأموال من تجارة المخدرات و غيرها من الطرق اللامشروعة و كذلك نشر الأخبار الكاذبة حول فساد المبيعات.

و قد أشاعت إسرائيل سيولا من الإشاعات عن سوريا عند محاولتها إبرام صفقة تجارية للأسلحة مع جنوب إفريقيا سنة 1998 حيث روجت لها إعلاميا ، و ادّعت أن تلك الأسلحة تساعد على تطوير أسلحة أخرى تهدد وجود اليهود، و خاضت حربا دعائية ملؤها الإشاعات الكاذبة، مدعمة بوسائل الدعاية الأمريكية، حتى نجحت في إبطال الصفقة التجارية.

أما التجار فإنهم يلجؤون إلى نشر الإشاعات عندما تهدد مصالحهم و تقل أرباحهم و تحتد المنافسة.

الميدان الاقتصادي

إن الحرب الإقتصادية في العالم قائمة على أشدها و من يتحكم في توازن اقتصادياته ضمن البقاء و الإستمرار، و لايخلو هذا المجال من سموم الإشاعات التي ترافق التنافس و السباق نحو التصنّع.

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص202.

و قد عمد اليهود و الأمريكيون إلى نشر الإشاعات عندما أظهر العراق قدرات صناعية معتبرة تهدد باستيلائه على الأسواق في المنطقة و احتكاره للتجارة، فبادرت إلى اتهامه بصنع السلاح النووي و الكيمياوي و سعيه لتدمير إسرائيل، و كان لتلك الإشاعات التي رافقتها حربا إعلامية أثرها في قنبلت مصنع عراقي متطور، كما تكرر العمل نفسه مع ليبيا حيث روجت إشاعات عن قرب صنعها لأسلحة كيماوية، مما خلف عدوانا عسكريا عليها مهدت له الحرب الدعائية التي تغذيها الإشاعات الهدّامة.

و تقوم بعض الهيئات الإقتصادية غير المعروفة باعطاء منتوجاتها علامات تجارية تحملها مواد أخرى رائجة، أو تنسب صنعها إلى دول متطورة حتى تقوم ببيع منتوجاتها أو إفساد منتوجات دولة أخرى، حيث تشوه سمعة بعض المنتجين بإشاعة الغش و الفساد و الكذب.

الميدان السياسي

تلجأ القوى السياسية في العالم إلى المحافظة على كيانها و بقائها فتلجأ إلى تفكيك الإشاعات التي تحاك ضدها و تعمل على إبطالها، و تقوم بخوض حرب أخرى تتمثل في زرع و نشر و بث الإشاعات المضادة، تتعلق بقرب وقوع أحداث تمهيدا لوقوعها و معرفة ردود الشعوب والمجتمعات ومواقفها.

و تقوم الأنظمة السياسية بنشر عملائها في الداخل و الخارج حتى تستطيع معرفة ما سيروج من أخبار عنها و حتى تحافظ على أمنها و زرع الإشاعات في الأوساط المعادية في أوقات التوتر و الظروف المناسبة لذلك.

الميدان العسكري

تهيأ الإشاعة الجو للتدخل العسكري و إعطائه مشروعية و قناعا إنسانيا و طابعا قانونيا، و تقوم بإضعاف الجبهة الداخلية للعدو، و تفرقة الرأي العام الداخلي لديه، و بث الشقاق و الفتن داخل الأوساط الإجتماعية، و تقلل من الإستعدادات للمواجهة و المقاومة، و تنشر روح التخاذل و التراجع و الإستسلام عند الأعداء، و تعلن عن هول الأسلحة

و قوتها في التدمير و الخراب، و تعد من أشد الأسلحة النفسية خطورة على الرأي العام و على التماسك الإجتماعي[1]، فالحرب كيف ما كانت ليست إلا استمرارا لحرب سبقتها تسمى بالحرب الباردة أو حرب الأعصاب أو الحرب الكلامية أو نتيجة لعداء تاريخي.

و قد دعى "بيلو" إلى مفهوم الحرب الإنسانية بالطريقة السلمية، الدبلوماسية و السياسية و الدعائية[2].

في الحرب النفسية

من أهم أسلحتها الإشاعات باعتبارها السلاح الذي يحقق هدفه بدون عنف و لا صراع و أفضل الوسائل لزرع القلق و الخوف، و جعل الشعوب تتطلع إلى الأخبار و تتابعها عن كثب و اهتمام.

و في غياب الأخبار تزرع الإشاعات و تؤدي وظائفها التدميرية على أحسن وجه خاصة في بث روح الإحباط و التدمر و اليأس.

في ميدان العلم و التكنولوجيا

كثيرا ما نسمع عن أخبار غير رسمية، تطلعنا على اكتشاف علمي أو قرب التوصل إليه و يرافق ذلك كثيرا من الإشاعات، تحاول اطلاع الجمهور بحقائق الأمور، التي تعتبر في الحقيقة تقديرات و تنبؤات لا تلزم إلا أصحابها، حيث يجدون فيها متنفّسا لتحاليلهم و مادة لاستعراض اطلاعاتهم و معارفهم.

و تقوم أيضا بتضخيم حجم النتائج و قيمتها و كذلك خطورتها و أثرها على حياة الناس.

---

[1] المرشد في علم النفس الإجتماعي، ص155.

[2] سيكولوجية الإشاعة، ص09.

في الميدان الدّيني

تنسج خيوطها لضرب الأديان و اتهامها بعدم مسايرة التطور الحاصل في الحياة و قصرها في تنظيم شؤون الناس، و يستعملها المبشرون و الرهبان لضرب الأديان الأخرى و نشر دياناتهم، و تحاول كذلك محاربة العاصين و الثائرين على أديانهم فتنسب لعهم شتى التهم و الجرائم و تتهمهم بالخيانة و الزندقة، و يلجأ الناس عادة إلى نسجها حول الأديان التي لا يدينون بها فيشوهون حقيقتها.

و هذا عرض يوجز أهم الميادين التي تؤثر الإشاعة فيها و تغير مجاري الأمور ليس على سبيل الحصر، و إنما يمكن للإشاعة أن توجد و أن تنسج في أي وقت و مكان متى توفرت شروطها، أو لمجرد رغبة شخص في إيجادها، و تكون في كل المجالات و في كل موضوع شابه غموض و يشكل أهمية عند السامع، لأن من ليست له مصلحة و لا منفعة في ترديدها، أو ليست مهمة عنده قد ينبذها و لا يعمل على ترديدها، إلا بدافع الفضول و قضاء الوقت.

و نخلص إلى البحث عن الأسباب الحقيقية التي تجعل من الإشاعة تسري بين الناس، فهل يرجع ذلك أساسا لنقص في الأخبار أم لنقص معرفي بالأمور و المواضيع العامة، أم تسري فضولا، أو لهدف مقصود و مسطر مسبقا.

أسباب سريان الاشاعة

تعود أسباب انتشار الإشاعة إلى أصلها و طبيعتها و بنيتها التركيبية من جهة و إلى طبيعة المجتمع الذي تنتشر فيه، و الأشخاص الذين يعملون على ترديدها و ترويجها، و حتى إلى الظروف و الأزمنة و الأماكن التي تظهر فيها، ثم إلى ما تحمله من مواضيع و اهتمامات و انشغالات تعني الناس، و تعتبر مؤثرة و مهمة في حياتهم، و إذا لصق الغموض و الإهمال بموضوع مهم فإن الإشاعة التي تكوّن حوله تسري بسرعة و على نطاق واسع[1].

[1] نحو تخطيط إستراتيجي للإعلام العربي، ص105، أنظر دراسات في علم النفس الإجتماعي، ص34.

و يزيد من أهميتها معالجتها لجزء من الحقيقة إذ يعطيها شكل الخبر فيؤثر وقعها على الآذان و العقول، و تتداولها الألسن لتصبح حديثا رائجا و متداولا بين الناس، يسعى كل واحد إلى تفسيره خاصة إذا ارتبطت بمصلحة مشتركة بينهم حيث تصبح معضلة عامة.

و كيف لا تسري بينهم و في التجمعات البشرية و المصانع و الجامعات و غيرها من المؤسسات، و بين أفراد القبائل و العشائر التي تتوفر على نظام للإتصال فيما بينها، يكون الفرد العنصر الفعّال فيه الذي يقوم بعملية التبليغ التي تصحبها سلوكات و إشارات و انطباعات و أحاسيس مختلفة أثناء القيام بها.

و تساهم علاقة الصداقة بقسط وافر في رواجها و تزكيتها[1]، و كذلك علاقات العمل و العلاقات العامة بين الناس في الشارع و المقهى و الملاعب و غيرها من أماكن التجمعات، و أثناء التعامل التجاري و القيام بالخدمات.

و السرعة في نقل الإشاعة و الأخبار المحصل عليها، إنما دليل يعني الحاجة التي يبرزها الناس في إبعاد القلق، و ذلك بتفسير الأحداث وفق رؤيتهم و تعابيرهم، حيث تنقل هذه الأقوال و التعابير في أزمنة جد قصيرة إلى أكبر عدد من الناس و باضافات في الدلالة و المحتوى[2].

و من لا يرون الحدث الأصلي الذي انطوت عليه الإشاعة و لا يعرفون طبيعته فإنهم يعتمدون على انطباعاتهم في فهمه، و تأويلاتهم الخاصة التي تترجم مدى اختصاص و ثقافة الراوي.

و تعد المصلحة العامة و المصير المشترك للجماعات و الشعوب و مركبات المجتمع الواحد أوثق رابط و أثقل حافز يقوي سبب انتشار الإشاعات، لاتّساع القاعدة البشرية التي تنتشر فيها. و كذلك الشأن أثناء الحروب و الصراعات و فترات الإضطراب حيث تكون الإشاعة فيها أوفر الأخبار و المعلومات حظّا في الإنتشار لأنها تحمل في طياتها تلخيصا للأحداث و سردا للأخبار، و توقعات للنتائج، و خواتم للأمور، و كذلك تعمل على التقليل

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص200.

[2] Elément et Psychologie Social, p 45-74.

من حدّة التوتر أو تزكيته فتذهب القلق و تهدئ النفوس أو تثير البلابل و تكثر الجدال و تقوي أسباب الشك و القلق.

و غالبا ما تبدأ كرواية للحدث في شكل واقعي، يمكن أن يكون ناتج من تجربة إدراكية عاشها فرد أو مجتمع بأكمله، و رأى الناس من الأهمية في موضوعها ما يستحق أن ينقل للآخرين قصد إبلاغهم و إطلاعهم على ما يهمهم[1]، و تلك التجربة تحمل اهتمامات العديد منهم مما أوجد صدى لها بينهم.

و يميل موضوع الإشاعة إلى الإختصار في الشكل، فترد في شكل كلمات أو عبارات قليلة لا تكلف راويها عناءا كبيرا في إعادة روايتها مرات عديدة، دون ملل، و كذلك السامع لا يجد صعوبة في فهمها، و لا يمل من سماعها لأنها لا تستغرق وقتا طويلا في حكايتها و لا طاقة مكلفة في فهمها لبساطة مفرداتها، و ذلك يساعد كثيرا على استغلال الوقت في انتقالها إلى أكبر عدد من الناس في زمن قياسي.

و من ليست لهم إستعدادات و لا مؤهلات تسمح لهم باكتشاف حقيقة الخبر الرسمي من الإشاعة تجعل منهم عملاء حقيقيين لها، يعملون دوما على نشرها و الدفاع عنها، لأنهم غير محصّنين من خطرها و لا يمكنهم معرفتها.

و كثيرا ما تظهر في شكل حكم أو أمثال[2]، لأنها تكون قد فقدت من التفاصيل و الألفاظ الثانوية ما يجعلها مختصرة بفعل النسيان، و يساعد كذلك على سريانها بسرعة و سهولة.

أما المعلومات و التفسيرات التي أسقطت بفعل النسيان يحاول مستقبلوا الإشاعات إستحضارها طبق رغباتهم الذّاتية دون أن يوجّههم في ذلك الدليل الموضوعي[3]، و كان الإنسان و لا يزال مركز صياغة الإشاعة و ترديلها و نشرها و هو الوسيلة الكبرى و الأولى إضافة إلى الصحافة و الإذاعات و مراكز صناعة الإشاعة[4].

---

1 سيكولوجية الإشاعة، ص137.

2 سيكولوجية الإشاعة، ص96.

3 الإستخبارات الإسرائيلية، ص115.

4 المرشد في علم النفس الإجتماعية، ص155.

و الإشاعة كما عبر عنها أحمد سويلم العمري في كتابه الرأي العام و الدعاية أنها لا تنقل من فم إلى فم فحسب بل تنقل من عقل إلى عقل، و تتحول من مجرد فكرة يتداولها بعض الأفراد إلى قوة تكون رأيا عاما جارفا[1].

و كثيرا ما يكون سبب افتحاش الإشاعة هو الدافع الذي أدى إلى ظهوها، فالحقد و الكراهية التي تدفع بفئة أو شخص بصياغة إشاعة ضد أعدائهم، يجعل من كل الأطراف التي تشاركهم الرأي تتقبلها و تعمل على نشرها خاصة إذا ما وصفت أعداءهم، بالدناءة و اللاإنسانية، و عملت على تحقيرهم و النيل منهم.

فالإنفعالات الدفينة عند الأفراد و الجماعات تثور و تظهر في صور كلامية تجسدها الإشاعات لأن تعتبر أحسن وسيلة لعملية التخريج و الإفتراء و الإتهام، ففي الولايات المتحدة الأمريكية إبان حكم روزفلت، صورت الإشاعة الزنوج على أنهم يبذرون الضغينة و أنهم على حافة الثورة[2]، و منبع ذلك أن البيض يكنون العداء للزنوج فاتهموهم بالهمجية، و صوروهم بأنهم أكبر عدو داخلي للشعب الأمريكي يهدد الإسقرار و الوحدة، و انطلقت إشاعات العنصرية المتعصبة للجنس الأبيض في حرب على السود، محاولين الإبقاء على الإستعباد، و صورت البيض أيضا على أنهم ضحية عنف السود و جرائمهم، و من هذا القبيل ما انتشر من إشاعات عن ألمانيا إبان الحرب العالمية الثانية، حيث صورت بشاعة الألمان و همجيتهم و تعصبهم لجنسهم، و قهرهم للشعوب الضعيفة.

و تلك الدوافع القوية جعلت من سريان الإشاعة سريعا و ذو أثر فعّال و فتاك حيث تحرّض على الفتن و الحروب و الإضطرابات.

و تعد الحاجات البشرية للأمن مثلا أو الغذاء أو الدواء قوة دافعة لصنع الإشاعات حولها عند تهديدها و احتكارها و ندرتها كما يكون القلق هو الدافع إلى إشاعات الكوارث[3]، و الحاجة إلى السلم و الرخاء هي السبب في سريان إشاعات التفاؤل و الأمل في تحقيق الأمن و السلم، و عندما تصب في اتجاه إنفعالات الفرد و مشاعره يعمل على إثرائها

[1] الرأي العام و الدعاية ، ص28.

[2] سيكولوجية الإشاعة، ص189.

[3] سيكولوجية الإشاعة، ص58.

و تزكيتها، فتمثل لديه وعاء لإسقاط الأحاسيس و الإنفعالات الدفينة و التصرفات التي لم يكتب لها التحقق في الواقع في شكل تعبير صريح أو سلوك مدرك.

و عندما تقوى الإستعدادت لدى الرأي العام لتقبل الإشاعة و تلقيها، و عمر جو الترقب و الإستطلاع سرت سيول الإشاعات خاصة في فترات الحروب.

و تزكي وسائل الإعلام الإشاعة إما بتغاضيها عن نشر الأخبار الحقيقة أو إهمالها لمعالجتها، أو لتفنيد الإشاعات لعدم التحقق من صحتها أو خطئها، فتسري بسرعة و تنشر في كل الأوساط و البنيات الإجتماعية.

و الفئة التي تهتم بموضوع ما تكون أكثر استعدادا لتقبل سموم الإشاعات التي تنشر حوله،، فإذا أفشيت أخبار عن إفلاس البورصات و البنوك كانت التطلعات و الإهتمامات و التساؤلات و الأخبار المتضاربة منتشرة لدى المستثمرين و أرباب العمل و أصحاب الأموال.

و يساعد على انتشارها مسايرتها للعرف و العادات و التقاليد، ففي عرف الأمريكيين أن السود عدوانيون، و يستعملون العنف في معاملاتهم لذلك تكون إشاعات التفرقة و العنصرية أكثر رواجا و سريانا، و يرى ليبنيتز أن الإشاعة تذهب إلى تكييف مادة الإدراك و التذكر لتساير العرف و العادات اللغوية[1]، و إذا انطوت الإشاعة على هذا التكيف تجد لها صدى واسعا لدى الجماهير، أما إذا حملت حقيقة معلومة فيكون لها أثر بليغ و صدى عميق، و ترافقها التبريرات و التفسيرات.

كما أن وجود الفراغ النفسي و الإجتماعي يدعو الناس إلى تقبل الأقاويل و يضعف ملكتهم و قوة تحليلهم[2]، مما يجعلهم بمثابة المستهلك الأكبر للشائعات.

في حين نجد أن غياب المصادر الرسمية و الموثوقة التي تعطي الأخبار، و كذلك تضارب المعلومات يترك المجال للإشاعة كي تخلفها، فتصبح المصدر الوحيد للأخبار و يقوى الإعتقاد فيها، و ثمة أسباب أخرى تعود إلى مدى تكوين و ثقافة الجمهور المستقبل للإشاعة

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص123.

[2] المرشد في علم النفس الاجتماعي، ص158.

حيث يعمل إما على فضحها و محاربتها أو تزكيتها و ترويجها حسب ثقافته في التعامل مع الأخبار.

الفصل الثالث

تسخير وسائل الإعلام لخدمة الإشاعة

إنّ مفوم الإعلام يذهب إلى إعطاء الحقائق و المعلومات الصحيحة و الواضحة و الأخبار التي تعتمد على التفاصيل الدقيقة و الوقائع المحددة و كذلك الأفكار المنطقية، و الآراء الراجحة للجماهير[1] مع ذكر مصادرها، حتى لا يترك المجال أمام اللبس و الأقاويل، ويقوم أساسا على الإقناع و الموضوعية، و الأمانة في معالجة و نقل المعلومات و هو بذلك يخاطب العقل و العاطفة و يؤثر على الرأي و يساهم كثيرا في الحفاظ على وحدته و تماسكه و كذلك في حماية الوحدة الثقافية و الإجتماعية، و يساهم بشكل فعال في عملية النّقل الثقافي بين الأجيال[2]. و يلبي الإعلام حاجات الفرد و المجتمع في عصرنة الحياة و المعرفة و التعلم و التطلع إلى حقائق الأمور سارة أو غير سارة، و يعزز أواصل الإنتماء الحضاري و الثقافي بين أفراد المجتمع و طبقاته و يعمل على تقوية التلاحم و التماسك الإجتماعي و التبادل الثقافي بين مختلف بنياتة، و بفضله يختصر الوقت و تقرب المسافات لمخاطبة الجماهير بفضل وسائله الحديثة، و التي تستغل لبناء صرح الحضارة و تعزيز الإنتماء التاريخي و الحفاظ على المعالم الحضارية و الثقافية للمجتمع.

و قد تطورت وسائله منذ القديم فبعد أن كان الفرد هو الوسيلة المثلى للتبليغ و الإعلام و الإشهار الإخبار و نشر الأفكار و الآراء و المذاهب عير المساحات الشاسعة تطورت الأمور و أصبح الجمهور هو الذي يسعى إلى الساحات العمومية و المسارح و الملاعب و المعابد و غيرها من الأماكن لتلقي مستجدات الأمور و الأحداث، و التطلع إلى الأخبار و بعد الإكتشافات التكنولوجية الحديثة اختصر الوقت و المسافات و أصبح الفرد في

---

[1] الإعلام و الدعاية، ص28.

[2] علم النفس الإجتماعي، ص337.

علاقة مع كل العالم بفضل تطلعة لكل ما يجري على كوكبه من أحداث، و غدا الإعلام فنّا تجنّد له الطاقات البشرية و الوسائل الضخمة لإنجاحه و لتبليغ الأخبار إلى أكبر عدد من الناس و بالسرعة القياسية، و أطلق عليه مجازا اسم السلطة الرابعة لما له من أثر في التحكم في توجيه سلوك الناس و التأثير عليهم.

أما الإشاعة فإنها تسعى لأن تكون ذات أهمية عند الرأي العام و تسعى أيضا لانتزاع تلك الثقة التي تحضى بها وسائل الإعلام، و تلتبس معه بمواضيعها فتؤثر على مصداقيته.

و تحاول الإشاعة أن تستغل الإعلام لخدمة أغراضها، و إن استعصى ذلك فإنها تعمل على إضعاف محتواه و التقليل من شأنه، و تهتمه بالتحيز و التغاضي عن الحقائق و خدمة مصالح هيئات و أشخاص، فتهاجمه بسمومها إلى أن يفسح لها المجال لتأدية مهامها في ظل الإعلام و بتسخير وسائله، و كثيرا ما تحل محله في ظل غيابه و تنجح في كسب أنظار الناس و تتقمّص شكل الأخبار الرسمية، و تقوم غالبا الجرائد و الصحف بتفنيدها و إبطال مفعولها بتحليل محتواها و فضح نواياها. و كثيرا ما تعمد وسائل الإعلام لتزكية و نشر إشاعة لمصلحة لها. و لأسباب و أهداف مسطرة يرجى من ورائها تحقيق أغراض معينة.

و قد عرف القدماء في غالب الأحيان الإشاعة على أنها كذبة، و قد تطرق ابن خلدون في مقدمته لأسباب اللجوء إلى الكذب و التزييف، فعبّر عنه بأنه متطرق إليه بطبيعته لمصلحة الناس به، و ذلك يرجعه لأسباب نفسية منها، ولوع الناس بالغرائب و اهتمامهم بكل ما ليس لهم به علم، حيث يلجؤون إلى إنشاء الأقاويل طلبا للمعرفة و تصور الحقيقة و حب التميز و الشهرة، و بسهولة التجاوز على اللسان، لأن ذلك لا يكلف عناءا و جهدا، و هي أسهل طريقة للإدعاء، و يرجع تلفيق الكذب إلى الخبر إلى "التشيعات للآراء و المذاهب" و التعصب و التطرّف الإيديولوجي.

و الغلو في تبنّي المذاهب، و مما يزيد في انتشار الأكاذيب هو الثقة بالناقلين مما يجعل التعامل مع الكذب كالتعامل مع الأخبار الصادقة، و يؤدي إلى تحريف الأخبار و تزييفها، ثم الذهول عن المقاصد خوفا من النتائج أو قصدا لتحقيق أغراض معينة بالزيغ عن الأهداف و الحقائق، و يرى أن دوافع ذلك هي توهم الصدق و تقديره، محاولة لتحليل الأوضاع، و الظهور بمظهر العالم و العارف بكل الأمور و كذلك يرى ابن خلدون أن الجهل بتطبيق

معهد الثقافة الشعبية
تلمسان

بطاقة الاستمارة

التصنيف: ....

الجـرد : ....

العنوان : ATT/491

الإشاعة

الاسم و اللقب : طلحة

الامضاء : ....

التاريخ : ....

الأحوال على الوقائع تدفع بصاحبه إلى الكذب لعدم قدرته على تحليل و معالجة المعضلات، و مما يعد أيضا دافعا للكذب و نشر الإشاعات كما يراه ابن خلدون هو التقرب من أصحاب النّحلة* و المراتب و لو كان ذلك بالكذب و التزييف لنيل رضاهم و التقرب منهم بشتى الطرق[1] و تعد هذه العناصر من أقوى الحجج لنشر الإشاعات و لجوء الناس و وسائل الإعلام و الإشهار لنشرها، و كل فرد له دوافعه في الزيادة و الكذب و التزييف و نشر الأقاويل، و كلما راج الخبر بين عامة الناس كان الإعتقاد فيه قويا و احتمالات صدقه كثيرة، مما جعل من الإشاعة عند رواجها دلالة راسخة ليس من السهل فضحها أو إبطال فاعليتها.

و قد أصاب ابن خلدون في اعطاء تحليل إجتماعي لنشر الإشاعات، و ربط أسبابها ووضع الأسس العامة التي تنظّر للفعل الإجتماعي، و تحلل السلوك الفردي في التعامل مع الجماعة، و أعطي رؤية واضحة عن تسخير الفرد و الجماعة بصفتهما وسيلتين للقيام بالإعلام و باعتبارهما هدفين له يسعى إلى إقناعهما، و هاته الرؤية لا تخلو من احتمالات الكذب في تعامل الناس بالأخبار و التي تبررها أسباب و دوافع عميقة إجتماعية و نفسية و ثقافية.

و على ذلك أفلح ابن خلدون في تصوّره و معالجته لموضوع الكذب و الزيادة في الأخبار و تلفيق الأقاويل محاولة للتأثير في الناس و التحكم في سلوكاتهم.

إنّ وسائل الإتصال بالجماهير و الثقافة الجماهيرية ظواهر مميزة في القرنين الأخيرين، و التطور الحاصل فيهما ناتج عن التطور الصناعي في مجال الترقية الثقافية و التكافل بين الثقافات و توفير الزاد و التبادل الثقافي[2].

إن مفهوم التبادل الحرّ بين الثقافات أصبح له مفهوم واسع، و لا يتبع أي نظام أو قيد، لأن وسائل الإتصال و الإعلام و الدعاية و الإخبار قد تطورت وراجت في كل العالم، و أصبح الخبر ينتقل بسرعة الضوء، و المعلومات تنتشر بكثافة عن كل الأحداث و المستجدات، و غدا العالم كأنه أسرة واحدة صغيرة لا معنى للمسافات التي تفصل بين أفرادها.

---

* النحلة : العطية أو الهبة

[1] المقدمة، ص9.

[2] المقالة الصحفية الجزائرية، ص84.

و هذا لا يعنى كلية أن الإخبار و التبليغ قد وصل إلى مبتغاه و دحض بذلك الإشاعة و قلل من تزييف الحقائق بل لجأ إلى ذلك مستخدمو الإعلام بأنفسهم، فيعمدو إلى نشر البدع و الأكاذيب حتى يحققو هدفا ينالو الشهرة به أو ليرضي جهة أو هيئة معينة، أو سخرية من شيء يدفعها في ذلك شعور بالتعالي و احتقار الخصوم و جعلهم في مراقبة أعين الناس، و التركيز على مهاجمتهم بالإشاعة و تجسيد ذلك بالصور الكاريكاتورية و العناوين البارزة و التعاليق المطولة قصد النيل منهم[1].

و الإشاعة في ظل ذلك تستغل وسائل الإعلام خاصة المكتوبة، حيث تجد متنفسا لها في ضوء تضارب الأخبار و عدم القدرة على استيفاء المواضيع حقها و الإسهاب في معالجتها، أو عند اختصارها و عدم التأكد من حقيقتها و ذكرها على أنها أحداث قد تكون صحيحة، و يزيد من احتمالات وجودها، مراقبة الأجهزة الإدارية و السلطات للصحف و المجلات، مثلما حدث في ألمانيا و اليابان و إيطاليا إبان الحرب العالمية الثانية، حيث أدى ذلك إلى انتشار الإشاعات بشكل واسع .

و استغل هتلر الصحافة المكتوبة و وسائل الإعلام الأخرى لنشر الإشاعات التي تدعم مواقفه و تؤيد قراراته حتى ليكتسب ثقة شعبه و مؤازرة الرأي العام الألماني لمشاريعه الإستعمارية بإظهار و إبراز بشاعة الخصوم و فضح نواياهم[2] و ذلك إدراكا لشأن الصحافة في تغليب و ترجيح كفة المواقف و الآراء على حساب آراء أخرى و تسوية أفكار قائمة بإضعافها بسلاح الإشاعة، و تحقير وجودها من جهة، و إنجاح المخططات و الدسائس من جهة أخرى، و ثقة الناس بها تغني عن الشّك في صدقها و تقلّل من فرضيات تكذيبها و الطعن في أخبارها.

و أثناء الحرب العالمية الأولى و بعد اقتحام القوات الألمانية لمدينة اونفر"Anvers"نشرت صحيفة" Le Colonish Zeitung "خبرا مفاده أن أجراس الكنائس بألمانيا دقت عند سقوط المدينة في أيدي الألمان، و نقلت صحيفة "Le matin "الفرنسية الخبر بالشكل الآتي: حسب ما نشرته جريدة Le Colonish Zeitung فإن رهبان كنائس مدينة Anvers قد أجبروا على

---

[1] المقالة الصحفية الجزائرية، ص193.

[2] سيكولوجية الإشاعة، ص203.

دق الأجراس بعد اقتحام الألمان لمدينتهم . ثم نقلت جريدة "Times" "البريطانية عن جريدة "Le matin "الفرنسية الخبر بالشكل التالي: حسب المعلومات التي نقلتها جريدة Le matin من كلونيا فإن الرهبان البلجيكيين الذين رفضوا دق الأجراس بعد سقوط مدينتهم، قد اعدموا . و نشرت صحيفة "Le Corrière Della sera "الخبر بالشكل الآتي: الرهبان البؤساء حكم عليهم بالأشغال الشاقة . ثم وصلت الحلقة الإعلامية إلى جريدة Le matin فأوردت من جديد الموضوع بالشكل الآتي: حسب الأخبار التي نشرتها صحيفة Le Corrière Della sera و التي وصلت عن طريق لندن و بولونيا، أكدت أن البربر المنتصرين في Anvers أعدموا الرهبان البلجكيين بحبال أجراس الكنائس لرفضهم دقها تعبيرا عن نصر الألمان . و لعل هذه الحلقة من الأخبار التي تداولتها الصحف و الجرائد في دول مختلفة و التي عالجت موضوعا واحدا، قد زكت سيولا من الشائعات إثر نشرها للأخبار المتعلقة بسقوط مدينة Anvers في أيدي الألمان، فمن صحيفة Le Colonish Zeitung نلاحظ الزيادة في الخبر و تزييف الحقائق التي حدثت في ساحة الواقع، و دافع ذلك هو الترقب و الخوف من الألمان إضافة إلى نقص التفاصيل حول المعارك و التعتيم الإعلامي على نشر الأخبار الصحيحة و الحقد على الألمان.

و ساعدت كلها على تلفيق أبشع الأعمال و الممارسات للجيوش الألمانية، و أهمية الحدث جعلته ينتقل من ألمانيا إلى مدينة Anvers و من دق الأجراس إلى معاملة الألمان و ممارستهم في حق الشعوب، من خلال إجبار الرهبان على مشاركة الألمان نشوة النصر بدق الأجراس.

و انتقل الخبر عبر جريدة تايمز التي ارتكزت في إسناد مصدر الخبر على جريدة Le matin ، و ذكرت أن الرهبان قد أعدموا شنقا لرفضهم دق الأجراس، و بذلك أسقطت ميول الرأي العام البريطاني نحو صمود المقاومة و الإستبسال من خلال رفض الرهبان الإمتثال لأوامر الألمان حتى و هم بين أيديهم، ثم تصوير وحشيتهم و بربريتهم قصد إشاعة روح الإنهزامية في صفوفهم و تقوية سبل المقاومة و تثمين مطلبها، فالإشاعة لعبت دورها في هاته الصحف بهدف ضرب الكيان الألماني الذي يسعى إلى زرع الدمار و الإستعمار، و استعباد الشعوب، و حاولت هذه الصحف النيل من الألمان بإفشال عزيمتهم، و إحباط معنويات جنودهم و فضح همجيتهم.

و تحور الخبر عند نشره في جريدة Le Corrière Della sera حيث أوردت أن الرهبان الذين رفضوا دق الجرس حكم عليهم بالأشغال الشاقة جزاء لهم، لأنهم رفضوا الإنصياع لأوامر المحتلين و يظهر كذلك التشويه الذي لحق بإنتقال الخبر من جريدة لأخرى في الصيغة و الشكل حيث تحاول كل جريدة إستقطاب أنظار القراء و الجمهور بخبرها من خلال الإرتكاز على ذكر مصدر الخبر.

ثم تكتمل الحلقة الإخبارية، بوصولها لجريدة Le matin فأعادت الخبر بناءا على ما ورد في جريدة Le Corrière Della sera و Times لكن بالشكل الذي أراده لها أصحاب الجريدة، حيث أضافوا أن الرهبان أعدموا شنقا بحبال الأجراس، و ذلك لمجرد رفضهم دقها و نلاحظ أيضا ما يكنه الرأي العام لدول المواجهة و لألمانيا من حقد و عدوان و خوف، و هذا من جراء الأخبار التي تزيف الحقائق و تزيد في الأخبار و تبتكر الإشاعات و تنشرها من خلال أكثر الوسائل تأثيرا على العقول و العواطف و المواقف.

و هذا نموذج من بين العديد من الأشكال التي تظهر فيها الإشاعة عبر وسائل الإعلام المختلفة بأشكال متنوعة[1].

فكثيرا ما نسمع عن نشر إشاعة تستهدف شخصية أو نظاما سياسيا أو دولا تحاول إتهامهم بخرق الأعراف و القوانين أو بصنع مواد خطيرة أو أسلحة محظورة، فتسارع الهيئات و الحكومات إلى فتح مصانعها للتفتيش الدولي تكذيبا للإدعاءات الموجهة ضدها، وتصور الإشاعة أيضا انتهاك الدول لحقوق الانسان حيث تصورها على أنها تمارس الحكم المطلق بالحرية التامة في التشريع و التنفيذ بعيدا عن كل مراقبة أو محاسبة، فتضطهد رعاياها و شعوبها في نظر الإشاعة مما يستدعي التدخل الأجنبي لإنقاذ الموقف، و بذلك تفلح العين الحاقدة في ضرب استقرار الدول و نصب المكائد.

غير أن الإشاعة جد محنكة و مبنية لتأدية مثل تلك المهام، و تحقيق الأهداف الصعبة لأنها تلج إلى العقول و تستحوذ على الإهتمامات، و تبني انسجامها من أفكار مهمة، تعني غالبية الناس و تتعلق بحياتهم العامة و تجعل مصيرهم غامض على ضوء طرحها للإشكال.

---

[1] CD Rom Universalis encyclopedia S.A.

و خواتم الأمور تبقى في بـاب التـأويل و التقدير، مما يفسح المجال لها في التكـرار و الإستيلاء على الرأي العام، و جعلها موضوع الساعة، الذي يحاول كل شخص إيجاد الحل له، و الظهور بمظهر المحلل و العارف بخبايا الأمور، و االواقعي في تفسيراته و حججه.

و إن ذلك يعطـي الإشـاعة استمرارية تجعلهـا تتكـرر باستمرار و ترسـخ في الذاكـرة الجماعية، و تساعد وسائل الإعلام على الترويج لها و تقوية الإعتقاد فيها.

و لا تكون هذه الوسـائل دومـا في خدمـة الإشـاعة إذ غالبـا مـا تكـون أقـرب طريـق لمحاربتها و فضحهـا، ففـي 98/02/21 إثـر الحمـلات الإعلاميـة و الإشـاعات التـي حاكتهـا الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق، و التي تهول من خطورة البنايات و المواقـع الرئاسـية الحكومية في بغداد و التي يعتقد في إخفاء أسلحة كيماوية بها، و إثر زيارة الأمين العام الأممي كوفي عنان، إفتضح أمر الدسـائس الأمريكيـة و الأسـاطير التـي كـانت تنسـج ضـد حكومـة العراق، و تصويرها على أنها أكبر خطر يهدد مصالح المنطقة و العالم.

حيث أكد هذا المسؤول على أن المساحات التي هـي موضـع الشـك لا تتعـدى 31,5 كلم2 بدل 70 كلم2 التي نشرتها وسائل الإعلام و الدعاية الأمريكيـة، و كذلـك مـا ورد في تقـارير لجنـة التفتيـش و المراقبـة لأسـلحة الدمـار الشـامل العراقيـة، و بذلـك خففـت هـذه التصريحـات مـن خطـورة الأمـر، و فضحـت النوايـا الحقيقيـة التـي تهـدف لضـرب العـراق عسكريا[1].

و قد إعتمدت النازية إستراتيجية حرب قائمة على أساس شـعار "فـرق تسـد" و نشـر الرعب و إغراق الخصم في جو من الإنهزامية حيث وجهت إشاعات متتالية عن طريق الراديو إلى فرنسا و بولونيا و البلاد المنخفضة، مفادهـا أن الحكومـات القائمـة في تلـك البلـدان غـير قادرة على تسيير شؤون مواطنيها وقت المحن، و لاتقدر على تخطي الصعاب، و موازات مـع ذلك أذاعوا أخبارا زائفة تتعلق بانتصارات هائلة حققتها جيوش هاته البلدان لكن سـرعان مـا أثبتت الأنباء الرسمية القادمة ساحة المعارك أن هاته الجيوش تكبدت الخسائر الجسيمة وتوالت

[1] نشرة السابعة صباحا ليوم 98/02/21، إذاعة البحر الأبيض المتوسط.

الإنهزامات، مما خلف الرعب و اليأس، و بثت تلك الإذاعات البلبلة و عدم الثقة في الأوساط الإجتماعية و السياسية[1].

كل ذلك حتى يتسنى للنازية إثبات قوة جيوشها بمبدأ مخادع، ألا و هو التمويه و إظهار جيوشها على أنها ضعيفة و سريعة الإنهزام، لكن في الميدان تظهر القوة و التفوق ثم تنشر الأكاذيب حول انهزام الألمان مما يثير الفرحة و نشوة النصر عند الحلفاء، لكن سرعان ما تنقلب تلك النشوة إلى إحباط و يأس و خراب نفسي في أوساطها بمجرد السماع عن نصر الألمان و استيلائهم على المزيد من المواقع و البلدان.

فعملية التخريب و التمويه الإعلامي بنشر الإشاعات ذات الأهمية في نزع الثقة من المصادر الإعلامية المعادية، و إحداث تضارب في الأخبار ، و ترك المجال للإشاعة في القيام بعملية الإخبار و الإعلام.

و لما أوشكت الحرب العالمية الأولى على وضع أوزارها كثرت الإشاعات التي تتفاءل بالنصر، و تؤكد إنهزام ألمانيا و استسلامها.

فقد أعلن راديو بروكسل عن خبر كاذب مفاده أن الألمان قد استسلموا و الحقيقة أن 9000 جندي فقط استسلموا في مونس Mons و لكن باقي الجيش الألماني لم يستسلم، وهذا ما دعى القيادة العليا إلى تكذيب الخبر و تقديم الإذاعة لاعتذاراتها إلى السامعين و المتتبعين.

و قد لعبت الإشاعة دورا كبيرا في التمهيد لاستسلام الألمان بدون قيد أو شرط حيث توالت في الظهور حتى وقع الإستسلام فعلا.

و ثمة طريقة أخرى تكون فيها وسائل الإعلام الدافع الكبير لنشوء الإشاعات، حيث تميل إلى السكوت عن تغطية الأحداث أو نشر الأخبار عنها، فتترك المجال رحبا لتأويلات الإشاعات التي تحاول البحث عن سبب إهمال تلك المواضيع و عدم تغطيتها إعلاميا، و حتى تفسيرها بالتفسيرات التي تروق لأصحابها و تلائم أذواقهم و توجهاتهم، و أيضا نجد أن عدم استكمال الأخبار أو نقصها أو تركها مبهمة و غامضة يعرضها حتما إلى استغلال الإشاعة لها، و توظيفها حتى تحقق من وراء ذلك جبهة موازية للإعلام، تريد فرض وجودها

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص52.

و إثبات قدرتها على تحليل الأوضاع و الوصول إلى الحقيقة، التي تعتقد في نظرها أن وسائل الإعلام تخفيها عن الجمهور.

و عند غياب وسائل الإعلام عن توضيح أسباب استقالات الشخصيات و المسؤولين فإن الإشاعة جديرة بأن توفر كامل الإحتمالات و الأسباب الخفية التي أدت إلى ذلك، و تحرص على ذكر الشخصيات و تحميلها الأخطاء و الذنوب و تصب جام غضبها عليهم، و هذا مما يؤكد أن الجهة التي تقف وراء نشرها و ترويجها إنما لها ما يدفعها من حسابات و عداء و كره أفرز تلك الإشاعة المنتقمة، التي تشوه الصورة العامة للمسؤولين و رميهم بأرذل الممارسات و تلفيق أبشع الفضائح و الجرائم لهم.

و تتسلل الإشاعة إلى وسائل الاعلام في أشكال مختلفة، كأن ترد على شكل أخبار موجزة مثل أن نسمع عن نكبات راح ضحيتها أعداد مهولة من الناس، و لكن الحقيقة لا تصل إلى تلك الأرقام التي نشرتها.

و نركز ههنا على عنصر الأرقام، الأحجام و المسافات، و عموما التقديرات الكمية و كذلك الطرق و الكيفيات و الأوجه التي تحاول الإشاعة تشخيصها و تقديرها، فإنما يمسها التشويه و التحريف و تكون تقديرية بعيدا عن الكم الحقيقي و الكيفية الصحيحة.

فكثيرا ما تستخدم الأنظمة و الدول وسائل الإعلام لتقوية دعايتها و نشر الشائعات التي تخدم مصالحها و تضرب أهداف أعدائها، مثلما نسمع به غالبا عن الإعتداءات العسكرية بين الدول في المناطق الحدودية حيث تتبادل الإتهامات و الإشاعات في تحديد من يكون البادئ في النزاع و تحديد السبب الأولي لحدوث المواجهة و الإعتداء و بالتالي تحمل المسؤولية في ذلك.

و مما يروج من إشاعات في وسائل الإعلام عن الأوبئة و الأمراض الفتاكة ما تنشره الإذاعات و مراكز البث من أخبار حولها، و عدد الذين يموتون من إثرها فنلاحظ أن الأعداد التي تنشرها إذا ما ضربناها في عدد أيام السنة فإنه خلال سنوات قلائل تفنى أمم و تزول، خصوصا و أن تلك الأوبئة ليس لها علاج و أنها معدية، فقليلا ما تنشر أرقاما معقولة، و كثيرا ما تنشر الرعب و الخوف من جراء نشرها، و التلويح بانتشار المجاعات و غيرها من المصائب.

و خلاصة القول أن وسائل الإعلام بشتى أنواعها، كما تعمل على دحض الإشاعات و الإلتزام بالموضوعية و الجدية فإنها تقوم عن إرادة و قصد أو عن غير قصد بنشر الإشاعات و ترويجها مما يعطي هاته الأخيرة قوة في الوجود و فعالية في الرواج و الإنتشار، و تستعمل الإشاعة أحسن الطرق في الظهور و تراعي المعايير الإعلامية من ايجاز، و نسبة الخبر، وغيرها، حيث تؤثر كثيرا في توجه الرأي العام و على الإستقرار، و الأمن و يمكن لها أن تولد التوتر و الإضطراب، و تحول مجريات الأمور و تؤثر في اتخاذ القرارات.

و مهما كان الأمر فإن الإعلام بوسائله المختلفة يعد شريانا مغذيا للتطور الثقافي و الإعلامي و تحقيق التواصل في شتى المجالات، و قد وجب الحفاظ على فاعليته لجعله بعيدا عن تأثير الدعاية المغرضة و الشائعات الفتاكة و المتحيزة، خاصة و أن المجتمع هو أكبر مستهلك للنتاجات الإعلامية و الإستثمارية، و لا تعدو أن تكون مادة يروج لها الإشهار و الإعلام بكل الوسائل، و يساعد التكرار على الإقبال عليها و التسليم بها مثلما يساعد على الإقبال على المنتوجات بالإشهار لها[1].

الطابع الثقافي للإشاعة

الثقافة هي سلوك الفرد قصد الإستجابة إلى احتياجات محددة تنطوي على العديد من السلوكات الإنسانية و طرق التواصل و التعايش، و باعتبار الإشاعة إحدى هذه السلوكات حيث تعد ظاهرة إنسانية و طريقة للتواصل ،وهي نمط ثقافي يختلف وجوده من مجتمع لآخر وفق العادات و التقاليد و الأعراف التي تطبعه و تحكم المعاملات السائدة بين أفراده، و ما إلى ذلك من أنماط التفكير و التعبير، التي تجعل من الإشاعة إما سلوكا منبوذا عند المجتمع أو عملة رائجة في الكثير من المعاملات و تقنيات الإعلام و المبادلات الثقافية.

كما أن الإشاعة هي شكل من أشكال ردود الأفعال الفردية و الجماعية التي تنطوي على الكثير من الأحاسيس و المواقف التي لم يكن لها أن تظهر إلا في صورة إشاعة، حتى لا ينكشف أصحابها و أيضا تحاول استقطاب المواقف المؤيدة لموضوعها، و القيام بعملية قياس

---

[1] La publicité et son enjeu social p 83.

اجتماعية، تصنف ردود الأفعال و المواقف العامة، و تحاول تكوين رأي عام و استمالته، إذا ما لقيت رواجا و تصديقا من لدن المجتمع الذي تظهر فيه[1].

و تمر الإشاعة في وسط إجتماعي تغلب عليه عادات و تقاليد و أنماط عيش مميزة و تتداول بين طبقاته، مما يجعلها عرضة لتعديلات نفسية وفق إنطباعات كل طبقة و مدى تأثرها، و إستعداداتها في تقبل أو محاربة الإشاعة[2].

و مما تجدر الإشارة إليه، أن الإشاعة هي وسيلة للإتصال ذات ميزات عديدة تسمح لها أن تحتل مكانة مرموقة في الثقافة الشفهية للمجتمع، و تسيطر على اهتمامات الناس وعقولهم بما تعالجه من مواضيع، و تشغل حيزا هاما في حياتهم العامة مثل الأماكن العمومية و داخل الأسرة و في أماكن العمل التي لا تخلو من الحديث عن إشاعة أو خبر مزيف يزيد من حدة أثره ما يحس به الناس من قتل للوقت، و ملئ للفراغ، و كذلك الظهور بمظاهر المهتمين بالمشاكل، محاولة منهم الإسهام في رواج الموضوع إلى أن يصبح مشكلة عامة تهم كل الناس، و بذلك يشاركون في ترسيخ معالم الإشاعة.

و الفرد في معالجته للأخبار سواء كانت رسمية أو غير رسمية يذهب إلى ربطها بمسبباتها و تحليل نتائجها ووصف تفاصيلها التي لم ترد في الخبر الأصلي، و غالبا ما تكون الأخبار مجملة يكتفي ناشروها بذكر العناصر الأساسية من مصدر، و مكان، و زمن وحدث، و لا يميلون إلى الغول في ذكر التفاصيل الثانوية بينما تجد الإشاعة مجالا خصبا في معالجة تفاصيل الخبر حيث تحاول التدقيق و اكتشاف الحقيقة الأخرى التي لم يعالجها الخبر، و هي حقيقة لا واقع لها في صحة الخبر، و لكن في أعين الناس هي سر لم يفصح عنه ربما لخطورته[3]، و تلك الأوصاف لا تخلوا من مشاهد و سلوكات تثير المشاعر و الأحاسيس، ويظهر ذلك جليا في إشاعات الحقد و الكراهية بين طبقات المجتمع الواحد و بين إثنياته المختلفة، و نادرا ما تكتفي طبقة المحرومين بوصف تصرفات الأغنياء دون اللجوء إلى الخيال لاستكمال و تشخيص ما يتخوف منه الفقراء، و على ذلك فإن اللاوعي الجماعي و الثقافة

---

[1] الإعلام و الدعاية، ص29.

[2] المرشد في علم النفس الإجتماعي، ص29.

[3] الإعلام و الدعاية، ص29.

الطبقية لهما دور كبير في تعشيش الإشاعة لتصبح منفذا للأحاسيس و الرغبات المدفونة في صفحات الماضي، و أداة فعالة و سلاح قوي لضرب المصالح الطبقية و النيل من الفئات الإجتماعية و ذلك بالتهجم و الإسقاط و الإتهام و تحويل ما هو متخوف منه إلى حقيقة وقعت، على أن الثقافة الشعبية هي المستفيد من عمليات انتشار الإشاعات و ظهورها حيث تخدمها و تقوي أواصل التعامل و التواصل و الحوار في شكله الواعي أو اللاواعي بين طبقات المجتمع، و تثري ثقافة الفرد في ظل الإستجابة للإشاعة و العمل على ترويجها أو تعديلها وتزكيتها أو تفنيدها و إبطالها، فبأي حال يعد سلوكه استجابة يحدد شكلها و مضمونها، تكوينه و ثقافته، و تؤثر فيها عاداته و تقاليده، ثم إنها شكل من أشكال التغيير الذي يوظف المبررات و التغييرات و يحاول الإستدلال بأساليب و مضامين معقولة تجد لها وقعا على آذان الناس، أما صياغتها فيراعى فيها اهتمام الناس و طابعهم الثقافي و عاداتهم و تقاليدهم وأعرافهم حتى لا تصطدم لأول وهلة باعتبارات ثقافية تبطلها و تفشل فعاليتها.

و توظف الإشاعة كثيرا من المصطلحات المتعارف عليها داخل حيز ثقافي معلوم، إذ نجد مثلا أن مصطلح "الحقرة" و "الرجلة" و "عيب" و غيرها يختص بها المجتمع الجزائري، و لها من الدلالات ما يجسد سلوكات و مفاهيم عديدة تثير في غالبية استعمالها همم السامع فينبذها أو يدافع عنها وفق ما تمليه عليه مصلحته و مواقفه.

و كثيرا ما تطالعنا الصحف و المجلات عن أخبار كاذبة فتفضحها، و ذلك بعد أن أصابت بأذاها كثيرا من الناس و شغلت الرأي العام مدة من الزمن عمّا هو جدير بالإهتمام، و تتخذ تلك الأخبار الأشكال المنمّقة التي توظف الألفاظ الملفتة للإنتباه مثل البيروقراطية، البطالة، الفضائح، المسؤولية، الشرف، التسلّط، الإستبداد، الدكتاتورية و لها وقع على الأذهان أكثر من وقعها على الآذان، و نجد كذلك أن المجال الديني خصب للإشاعات التي تتهم الناس أو الشخصيات بارتكاب المعاصي و الغلو في الملذات و مخالفة أحكام الشريعة إضافة إلى تحريم بعض الأفعال و استباحة أخرى دون الدراية بذلك، مما يجعل القيم و المبادئ الدينية مطية لكل الناس، يفتون بما ليس لهم به علم و يصرون على أفكارهم و لو كانوا مخطئين، و ذلك راجع لأسباب عديدة من بينها دور الإشاعة النفسي و الثقافي في ضرب المبادئ الدينية التي يرى فيها المجتمع و الفرد على حد سواء تكبيلا لحريته أو إجحافا في

حقوقه مثلما يرى في بعض العادات و التقاليد و الأعراف قصورا و عودة إلى الوراء، فيثور عليها و يهاجم بالإشاعة وجودها، و كما أن الثقافة تستمد من المجتمع قوتها و تتجسد صورتها في سلوكات الفرد فإن الإشاعة تترجم كثيرا من العمليات و التصرفات التي يبديها الفرد و المجتمع و التي تنطوي تحت إطار التواصل.

و قد قام بارتلت بتجربة اختار فيها سلسلة من الأشخاص و أطلعهم على إشاعات قصد إستعادتها بعد مدة زمنية محدودة ليفسر نظام الإستعادة، و سبب اختيار تلك السلسلة من الأشخاص هو توفير شروط انتقال الإشاعة، و قد لاحظ اضمحلال الذاكرة الفردية في استعادة الأشكال و الصور التي طلب منهم إعادة رسمها أو وصفها.

و خلص بارتلت إلى ترجيح كفة الذاكرة الجماعية (الذكرى) لاستحضار التصورات القبلية و أنها تقنن الإشاعات و تجعلها أكثر مسايرة للثقافة، و تتميز على ذلك بلون أخلاقي مميز للثقافة[1]. و أدرك بذلك أهمية السلوك الجماعي و الإستعادة الجماعية، كما أن انتقال الإشاعة من شخص لآخر يتطلب عمليات عقلية و سيكولوجية تطبعها المكونات الثقافية، فتعتمد على الإدراك و التذكر و الإدلاء و هو ختام هذه العمليات و يستحيل عزل إحداها عن الأخرى في نظر بارتلت Bartellett و أثر عامل النسيان و العادات و الإنفعالات و المعارف الثقافية يجعل من الإدراك الأصلي صعبا و هذا ما يجعل من التذكر عملية عقلية بدائية أكثر منها عملية نسخية[2]، و تلعب المستويات الثقافية و التعليمية و المهنية للأفراد دورها في الإضافات و التفسيرات التي تلحق الإشاعة أثناء التذكر و الإدلاء.

و تظهر أهمية الإطار المرجعي الذي تتم فيه الإدلاءات، و الطريقة اللاشعورية في ابراز المهنة و المركز الإجتماعي و المستوى التعليمي، من خلال الإضافات و التعديلات التي يقوم بها ناشر الإشاعة على موضوعها، فرجل السياسة يذهب إلى تفسيرها وفق معطيات و تقاليد سياسية، و يربط موضوعها بانشغالاته و اختصاصه، و العسكري يعطيها تفسيرات حربية ورجل الدين يذهب إلى اثبات مدى تعارضها مع القيم الدينية أما رجل العلم فإنه يصبغها بالتأويلات و التحليلات العلمية القائمة على الحجة و البرهان. و لوحظ في تجربة أجريت في

---

[1] سيكولوجية الإشاعة بارتلت عام 1932، ص80.

[2] سيكولوجية الإشاعة، ص76.

و. م. أ. إذ طلب من أشخاص وصف مشهد على الشاشة يتعلق بالشغب و العداء الأجناسي حيث أظهر المشهد صورة زنجي في شجار مع رجل أبيض، و أظهرت التجربة أن البيض يعتقدون أن الزنوج حادو المزاج و مولعون باستخدام الأسلحة، و هذا النمط الثقافي السائد في عرف المجتمع الأمريكي، مما يفسر الإدلاءات الناتجة عن وقع العرف و مجارات الاعتقادات الشعبية[1]. و الدوافع العميقة لانتشار الإشاعة و تكوينها يرجع كثيرا إلى العوامل الإجتماعية و الثقافية التي تزكي موضوعها و تعطيها الصبغة المعقولة و البسيطة التي يمكن لعامة الناس هضم موضوعها و المشاركة في تزكيته و الإسهام في تعميم معرفته فالنظم الإجتماعية و العادات و التقاليد و الأعراف كانت لتهكيل شؤون المجتمع و تنظيم علاقاته و تحدد معنى العمليات الإجتماعية، فالإشاعة إذا لصقت و لحقت إحدى هذه النظم و بينت أنها حادت عن غايتها، فإنها تحدث الجدل و تثير البلبلة.

و استنباط دور الثقافة و معالمها في توجيه الإشاعة و هيكلتها لا يمكن بالملاحظة المباشرة أثناء تنقل الإشاعة و إعادة روايتها، و لكن يظهر من خلال الملاحظة العميقة التي تربط الأسباب بمسبّباتها و تحاول تفسير التعقيد الذي يشوبها، سواء ناحية الموضوع و ارتباطه بشؤون المجتمع أو ناحية الشكل الذي تتخذه في الظهور.

فمن الطبيعي أن تتخذ شكلا لغويا متعارفا عليه لا يبتعد كثيرا عما يتعامل به عامة الناس لكن من الصعب البحث عن سبب معالجتها موضوعا دون آخر، و في زمن معينة لذلك تحاول استغلال الأحداث الإجتماعية و توظيف الأشكال الثقافية للولوج إلى ساحة الشهرة و كثيرا ما تظهر في شكل فكاهي أو قصصي يزيد من أثرها نسيجها الذي لا يخلوا من العقد و المعضلات التي تتطلب الحل و إبداء الرأي، فكلما كبرت الأكذوبة زاد عدد المهتمين بها و كثر عدد المصدقين لها أما إذا انكشف أمرها فإنها تضمحل و تزول بسرعة و الإعتقاد في الإشاعة في ثقافة الناس راسخ لأنها كما يعتقدون، مصدر للأخبار و تغطي حاجات الناس إليها و كثيرا ما تكون حقيقة، لأن وجود الفكرة لم يكن من باب الصدف بل إنها اقترنت بباحث أوجدها لكن لم تفهم كل الحقيقة و بقيت الحلقة المفقودة دافعا لتقرير الحقيقة.

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص134.

و الإشاعة سلوك ثقافي ينتهجه الفرد و المجتمع لبلوغ غاية أو تحقيق هدف وفق المعايير الإجتماعية و الثقافية التي تحدد التعامل و تنظم العلاقات بين الناس، و يقصد أيضا من وراءها تذليل العقبات، و تحميل المسؤوليات و تحديد الخطر و تفنيد الإتّهامات و تتخذ شكل القصّة القصيرة أو النكتة و تشابه أحيانا المثل أو اللغز في اقتضابها و توفر للمتعاملين بها فرصة التلاحم و التواصل و تبادل وجهات النظر، و تشترط عند تداولها القيام بعملية الإستدلال و تقديم الحجج، و تظهر عند التعامل بها ثقافة الفرد في التواصل و اتخاذ المواقف، و مدى وعيه و تحصنه منها، و تظهر أيضا ثقافة المجتمع و مستوى التفكير الجماعي و تظهر فاعليتها في التأثير على الرأي العام مما يشكل معيارا للوعي الجماعي و مدى التلاحم بين طبقات المجتمع.

و ثمّة سلوك ثقافي يقاوم الإشاعة و يقلل من الإعتقاد فيها و يتجسد في مقولة الناس عند سماع أكذوبة أو إشاعة من أحد ناقليها" أنه ما زال يؤمن بالغولة "و معنى ذلك أن الراوي هو متأخر في فطنته للكذبة و إن مثلها قد تكرر كثيرا و أبطلت الأيام مدلولها، إضافة إلى أن مصطلح إشاعة أصبح متداولا أكثر منه فيما مضى حيث استبدلت مصطلحات كذبة و مدلولاتها اللهجية و الأخبار غير الرسمية و الأسطورة التي أفادت غالبا معنى الإشاعة في فهم الناس بكلمة إشاعة، التي تستعمل لإبطال مفعول أكذوبة، و هي في اعتقادهم مقولة موجهة خصيصا لتحقيق أغراض خاصة أو لتحقيق قياس إجتماعي حول ردود أفعال الناس اتجاه قضية مصيرية.

و ذلك لا يعني حتما تداول و انتشار الإشاعات بتاتا بل يدل خصوصا على التحول الذي طرأ على صياغتها و تشعب مواضيعها لقياس ثقافة المروج في نشرها ثم ثقافة المستهلكين لها في التعامل معها و مدى نضج ثقافتهم لاكتشاف سمومها.

و الوسط الثقافي له من الخصوصيات ما يجعله يثري الإشاعة أو ينبذها كما تتحدد النتائج المرجوة منها في ظل المعايير الثقافية التي تحكم المجتمع و تنظر لشؤونه و تنظم معاملاته، و تتجسد معالم الثقافة في ترجمة الإشاعة حيث تختلف من فئة لأخرى و من جنس إلى آخر و بين طبقات المجتمع، فالنساء لهم قابلية أكثر من الرجال في التعامل مع الإشاعة

خاصة التي تتعلق بالرعب و الخوف و الكوارث، و أما الرجال فإنهم أقل تقبلا و تعاملا معها مقارنة مع النساء.

و نجد كذلك الشيوخ و المسنين يقابلون الإشاعات بشتى من التحفظ، لتجربتهم الطويلة في الحياة. و داخل التركيب الإجتماعي نجد أن كل طبقة تترجم الإشاعات و تقابلها وفق الطابع الثقافي الذي يميزها عن غيرها من الطبقات.

فالمثقفون و رجال العلم هم أقل تأثرا بالإشاعة و تعاملا بها عن غيرهم من طبقات التجار و العمال و يرجع ذلك للطابع الثقافي الذي تختص به كل طبقة.

الإشاعة في الجزائر

إن معالم الثقافة الجزائرية التي تتجسد في العادات و التقاليد و السلوكات و أنماط التفكير و الأعراق تعطي للمجتمع الجزائري خصوصيات تميزه عن باقي المجتمعات العربية و يزكي هذا الطرح اللهجات المنتشرة في أوساطه و موروثه الثقافي الذي يتغذى من الأصول التاريخية المميزة و الثرية.

و في الوقت المعاصر تنتشر الصراعات الفكرية و السياسية و تكثر الأحداث المتعلقة بشؤون المجتمع و مصير أفراده و تحاول السلطة الرابعة " الإعلام " تغطية تلك الأحداث و شرحها و جعل الناس على علم بكل المستجدات و المتغيرات.

غير أن السلوك الإجتماعي متلهف للمعرفة و الإكتشاف و التطلع خاصة في الفترات العصيبة لذلك يحاول الأفراد في جو من القلق و الترقب إكتشاف الحقيقة التي تنطوي عليها الأخبار، و تلعب الإشاعة دورها في استكمال و توضيح المعلومات وفق ما يعطيه لها أصحابها من توجهات و تحويل محتواها لخدمة مصالحهم، و تلعب الصحف اليومية دورها في فضح الإشاعات و نشرها إلى جانب وسائل الإعلام الأخرى، فمن بين الإشاعات التي أثارت جدلا حادا في الأوساط الرياضية الإفريقية، الإشاعة التي روجت عن تنازل دولة زمبابوي عن تنظيم مهرجان كان لسنة 2000 و التي نشرتها جريدة الوطن باللغة الفرنسية بعنوان كان 2000 من وراء الإشاعة ؟ و نصها كما يلي :

« CAN 2000 / QUI EST DERRIERE LA RUMEUR » ?.

Ainsi le Zimbabwe ne s'est pas désisté pour l'organisation en l'an 2000 de la coupe d'afrique des nations. Certains ont parlé de rumeur.

Mais qui a donc propagé cette fausse nouvelle qui a donc du certainement faire rire et les responsables Zimbabwéens et le staff de la caff, surpris partant de reception?.

و شغلت بال المسؤولين للهيئات الإدارية الإفريقية للرياضة حيث أفادت أن زمبابوي تنوي التنازل على تنظيم دورة 2000 لبطولة إفريقيا للأمم و ذلك ما يمس بسمعة المسؤولين الزمبابوين و مصداقيتهم في الالتزام بتعهّداتهم، و ما دافع إنتشار الإشاعة إلاّ تحويل تنظيم الدورة إلى بلد آخر و ذلك لما تدرّه مثل هاته التظاهرات و عدم توفر المعايير العالمية في الملاعب، و قلة الغلاف المالي المخصص لها.

و مروجوا هذه الإشاعة يعلمون جيدا هذه النقائص، و يحاولون لفت الرأي العام الإفريقي حولها[1]، و حظوظ الجزائر في احتضان الدورة قوية، مما جعل الإشاعة تسري وتروج على ألسنة الجزائريين بسرعة خاصة المهتمين بشؤون الرياضة، و هذا لتوفر المصلحة وراء نشرها.

و مما نشرته صحيفة الوطن عن الإشاعات المتداولة في الوطن و التي أحدثت توترا و حركة شعبية غير عادية، و ذلك بتاريخ 17 جانفي 1998 في الصفحة الثانية الخاصة بالأحداث الوطنية، حيث وصفت أحداث جرت بوهران في ليلة الأربعاء تحت عنوان "وهران إشاعة خاطئة و توتر حقيقي" و نصها كما يلي :

ORAN : Fausse rumeur et vraie panique.

Tout commence en ce mercredi soir par une information faisant état d'une tuerie à douar et tlartla, immence agglomérat de tôles ondulées, de rues tortueuse non asphaltées et de mépris de tout ce qui représente la puissance publique[2].

و ذكرت أن إشاعة مفادها أن مجموعة مسلحة تقوم بارتكاب مجازر و إبادات جماعية بمنطقة الحاسي الواقعة غرب وهران، حيث تعالت صرخات النساء و الأطفال و كثر الهلع و الخوف و خرجت الجماهير إلى الشوارع متوجهة إلى وسط المدينة للهروب من الموت، و تضخمت الأقاويل و الأكاذيب، حيث بلغ سكان الأحياء الأخرى المجاورة أن 160 عائلة

El-Watan, 14 décembre 1997, p19. sports. [1]

B. BENACHOUR, EL WATAN VENDREDI 16 SAMEDI 17 JANVIER 1998, Page 02 [2]

من حي بوعقل و بوعمامة أبيدت و أن سكان هذه الأحياء هم بين أيدي سفاكين لا يرحمون، و أصبح الخبر بمثابة القنبلة التي فجرت الأوضاع حيث ترك الناس كل ممتلكاتهم و منازلهم و خرجوا من ديارهم حفاة لأن لا يلقو مصيرا مثل سكان الأحياء التي تم الإعتداء عليهم، و على الساعة العاشرة ليلا كان موعد سكان حي الحمام في الهروب و إخلاء مساكنهم، الخوف كان يعطي القوة على الهروب، و غصت المدارس بالناس و الساحات العمومية و الشوارع الرئيسية و هم الناس و تساؤلاتهم كلها تصب في اتجاه واحد : أين هم و إلى أي مكان وصلوا.

و بعد ذلك وصلت الإشاعات إلى حي راس العين ثم إلى شارع أرزيو و كذلك سيد الهواري، و جو القلق و التوتر جعل الأمر يصعب للتحقق من صحة الأمر، بل غفل حتى الناس عن التفكير في ذلك و عاش الكثير منهم ليلة من الخوف و الذعر في الشوارع، كان دافعها الأساسي، بمجرد احتمال و شك، و تسليم بإشاعة رعب استغلت الأحداث في الوطن و الفترات المناسبة التي تجعل الناس يتطلعون إلى الأخبار و لا يميزون مصادرها و يحالون التأكد من صحتها.

كما نشرت جريدة الخبر مقالا بعنوان "الحركة التجارية في مدينة ورقلة إشاعات تؤدي إلى غلق شامل للمحلات التجارية"، و شخصت دور الخوف من الرقابة و التفتيش لمصالح الضرائب و التنظيم التجاري في بعث إشاعات الخوف من الإجراءات الجزائية[1].

و نستخلص من ذلك أن التطلع إلى الأخبار من جهة و جو الترقب السائد عند الناس و الشعور بالخوف هما الدافعان الأساسيين لتقبل الإشاعة التي حركت الجماهير بقوة وسرعة لا نجدها حتى في التحرك المنتظم الهادف، الذي تدعو إليه بعض الأحزاب أو الشخصيات أو المنظمات و النقابات.

و لكل إشاعة دافع يلهم أصحابها لتشكيلها و نشرها ففي سنة 1979 انتشر مرض حمى المخ بمدينة البليدة و سجلت بعض الوفيات مما دفع إلى انتشار إشاعات كثيرة هولت من خطورة المرض و ادرجته في مراتب الطاعون الذي يعجز عن إيجاد دواء له، و زاد من حدتها تغاضي وسائل الإعلام عن تغطية الحدث إلى أن أعلنت وزارة الصحة بعد أسابيع عن

[1] جريدة الخبر 19 ماي 98، ص6.

مضمون الأحـداث، و حقيقتهـا و حـددت مضمونهـا، و عـدد الضحايـا و نـوع الإصابـات و وضعت بذلك حدا للإشاعات الحاقدة على القطاع الصحي و النابعة من الخوف و القلق.

كما انتشرت إشاعات متعددة رافقت الأحـداث التـي مـرت بهـا الجزائـر سنة 1988 خاصة تلك التي افضت إلى أحداث أليمة أو مميزة مثل أحداث الخامس من أكتوبر 1988.

و قبيـل تلـك السـنة سـادت إشـاعات في مختلـف المجـالات السياسية و الإجتماعيـة و الإقتصادية، أدت إلى تعكر الأمور و توتر الجو و تهيئته لتلك الأحداث، و مما انتشر آنـذاك أن هناك حزب يدعى حزب فرنسا، يشكله ويقوده جزائريون ينادون لتقوية مصالح فرنسـا الثقافية و الإقتصادية و غيرها داخل الـتراب الوطنـي، و الدعـوة إلى إنشـاء مـدارس لغتهـا في التعليم هي الفرنسية على منوال ثانوية ديكارت Lycée Descartes [1] بالجزائر، و هذا الحـزب له وزن في ميدان التنفيذ و التخطيط، و هو مدعم من قبل هيئات خارجية، و ذهبت إلى حـد اتّهام شخصيات كبيرة في هرم السلطة مثل الرئيس الشاذلي بن جديـد، وادعـت بأنـه يـتزعم هذا الحزب و الوقوف على رأس قيادته[2]، و كذلك اتهام بعـض الصحـف الناطقـة بالفرنسـية على أنها لسان حال ذلك الحـزب مثـل : صحيفـة Hebdomadaire, Algérie Actualités، وزاد من الإعتقاد في تلك الإشاعات تصريـح السيد بـن عـامر بـن عـودة و هـو عضـو مـن مجموعة 22 التاريخية، إذ قال : " عندما آتلقى صحيفة Hebdomadaire, Algérie Actualités أقول لنفسي هذه جريدة حزب فرنسا و أضعها جانبا " و انتشرت إشاعات أخرى مفادها أن مزارع بوشـاي رمـز الهيمنـة الإسـتعمارية ستوزع بـين العديـد مـن الشـخصيات و الـوزراء و المسؤولين و الذريعة القانونية في ذلك هي إفـلاس القطـاع الفلاحـي و سـوء تسـييره و لـم تُكذّب هذه الإشاعات حتى نشرت صحيفة Horizon (آفـاق) مقـالا توضـح فيـه أن مزرعـة بوشاي ستحول إلى متحف فلاحي و أعطت كثيرا من الدلائـل، و لكـن الإعتقـاد القـوي في تلك الإشاعات و تذمر الطبقات المحرومة جعل من الخبر يقـوي و يزكـي مزاعـم الإشـاعات المنتشرة بإستبعاده و التقليل من صدقه. و خلقت هذه الإشـاعات جـوا مـن الخـوف و القلـق و التساؤلات في أوساط الفلاحين و الغيورين على مصالح الوطن.

---

[1] Octobre, p57.

[2] Octobre 88, p57.

و أثناء إعادة هيكلة القطاع الزراعي و تحويل المزارع إلى مستثمرات فلاحية، ظهرت إشاعة في خريف سنة 1988 مفادها أن الآلاف من الهكتارات من أفضل الأراضي و أخصبها في العديد من المناطق، ألحقت بملكية مسؤولين سامين في الجيش و الحكومة، و هذا ما أكده رئيس الحكومة في تدخل له أمام المجلس الشعبي الوطني في نوفمبر 1988 و صرح بأن المستفيدين من هذه العملية هم قدامى العاملين في القطاع و أبناء الشهداء و المجاهدين و في شهر ديسمبر قامت وزارة الفلاحة بتحقيق في الموضوع بطلب من رئيس الحكومة[1].

و عندما اختلست أموال من خزينة البنك الخارجي حيث قدرتها المصادر الرسمية بـ 170 مليون دج، و بعد القبض على المختلسين و استعادة قسم من تلك الأموال، ظهرت إشاعات تقيم الأموال المختلسة، حيث أفادت أنها أكثر مما أعلنته الصحافة، و أن قسما كبيرا حوّل إلى عملات صعبة، و أحد المختلسين لجأ إلى سويسرا و حوّل الأموال إلى بنوكها، مما اضطر الخزينة الوطنية إلى إعادة شراء العملة الوطنية من البنوك السويسرية، و ذهبت إلى حد اتهام أحد أبناء الرئيس الشاذلي بن جديد بالضلوع في العملية و استغلال نفوذه في حماية بعض المختلسين، و جاء تأكيد هذه الإشاعة في صحيفة France Soir في 11 نوفمبر 1988 بإضافات أخرى تؤكد أن ابن رئيس الجمهورية قد ضبطته مصالح الأمن و هو بصدد تحويل مبالغ هامة من العملة الصعبة إلى الخارج مما أثار غضب أبيه، و أشارت إلى أنه سمعت طلقات نارية بالمكتب الرئاسي أثناء المناقشات التي دارت بين الرئيس و ابنه، و أشارت جريدة Le monde أن الرئيس الشاذلي بن جديد أعطى أمر لوزير العدل بتاريخ 21 سبتمبر من السنة نفسّها بأن يطبق القانون على كل الجزائريين بدون استثناء و بدون ضغوط، في إشارة منها إلى قضية الإختلاس و التي تؤكد بدورها مزاعم الإشاعات. و قبل إندلاع أحداث الخامس أكتوبر عام 1988 بأسبوعين انتشر في كل القطر الجزائري إشاعات تفيد إضراب العمال عبر كل أرجاء الوطن، و في الرابع من أكتوبر بدأت الأحداث الساخنة في حي باب الواد[2].

---

[1] Octobre 88, p60.

[2] Octobre 88, p69.

و نشير إلى أنه قد سبق أن انتشر في جانفي من 1987 إشاعة مفادهـا أنـه سيتم تغيير العطلة الأسبوعية مـن يـوم الخميـس و الجمعـة إلى يومـي السبت و الأحـد و ذلـك لأسباب إقتصادية و تجارية، و هذا مما أدى ببعض الذين كانوا خارج الوطن إلى العـودة بنيـة استئناف العمل ابتداء من يوم الخميس و الجمعة[1].

و مما لا شـك فيـه أن حالـة المجتمـع الجزائـري في تلـك الأيـام لـم تكـن تبعـث علـى الإطمئنان و الرخاء، حيث انتشرت البطالة و كثرت الطوابير و ندرت بعـض المـواد الغذائيـة الأساسـية، و انغمسـت بعـض الطبقـات الميسـورة في الملـذات و الرفاهيـة و إهمـال حقـوق المواطن، إضافة إلى توتر العلاقة بين فئـات المجتمـع و طبقاتـه و فقـدان المصداقيـة في الإعـلام ونقص الثقة في الأجهزة الإداريـة و الحكوميـة في حـل المشـاكل، أدى كثيرا إلى الإعتقـاد في الإشاعة و التسليم بمضمونها و عـدم التفكير في البحـث عـن الحقيقـة، خاصـة و أن وسـائل الإعلام أخذت حصتها في معالجة و نشر الإشاعات، مما جعل المجتمـع الجزائـري يعتقـد فيهـا ويجعلها تشكل نظاما للمعلومات مـوازي للإعـلام الرسـمي، حيـث ظهـر تأثيرهـا الفعّـال في اتّخاذ القرار و توجيه الرأي العام و اقتياده لاتّخاذ المواقف.

إضافة إلى كل ذلك تعد فترات القلق و اللاأمن و عدم الإطمئنان، و تدهور الأوضـاع الإجتماعية و الإقتصادية و الركود الثقافي من أكثر الأسباب التي دعـت إلى انتشـار الأقـاويل و زكت تضارب الأخبار و غمـوض الأمـور، ممـا تـرك المجـال رحبـا للإشـاعة للقيـام بمهمـة السلطة الرابعة.

و لعل الفرد بحاجته الطبيعية و الإجتماعية في التواصل و التعايش مع الآخرين يميـل إلى التدخل في كل الأمور و يناقش كل المعضلات عن علـم أو بغير علـم و هـو بمواقفـه و آرائـه يحاول إقحام نفسه في المواضيع التي لا تهمه و لا تعنيه.

و الإشاعة في الجزائر أصبحت وسيلة يستقطب بها الأفراد الأنظار تجاههم و أداة لنشر ما يحلو لبعض الناس من أخبار، و مطية لفضح تصرفـات الشـخصيات و المسؤولين و قـذف الناس و تهويل الأمور و تضخيمها لما يخدم مصالحهم، و ملأ أوقـات الفـراغ، و متـى انشـغل

[1] Octobre 88, p70.

الرأي العام بأمر في المجال الإقتصادي أو الإجتماعي أو الزراعي إلا و صاحب ذلك إشاعات موجهة تستغلها جهات معينة للتأثير على الرأي العام و ضرب مصالح فئات أخرى.

و ليس ثمة تكوين أو إستعدادات يتحصن بفضلها المواطن من أثر الإشاعة لأنه يتفاعل مع الأحداث و يساهم فيها فيكون طرفا في نشرها حينا و هدفا لسمومها حيان آخر، و في ظل انتشار التواصل الشفهي و قوة انتشاره و الإعتقاد فيه و نقص الثقة فيما ينشر من أخبار رسمية، فإن انتشار و رواجها أصبح كفيلا بتغطية النقص في الأخبار و توضيح الغموض الذي يلحق بها، و التحصن ضدها كفيل بقتلها في مهدها و لا يتحقق ذلك إلا بنشر الأخبار الرسمية عن كل صغيرة و كبيرة و بكل التفاصيل و بدون تحيز.

الفصل الرابع

الطابع النفسي للإشاعة

إن تكوين إشاعة أو إنتشارها و تداولها هو في الحقيقة مشكلة سيكولوجية واجتماعية عظيمة الأهمية خاصة في قوة فعاليتها لاستثارة الإنفعالات و التأثيرات على السلوكات و حتى تغيير التصورات و توجيه الرأي العام.

و علم النفس يطّلع باستجلاء الدوافع العميقة وراء الإشاعة، بدءا بالعمليات العقلية العليا من إدراك و تصور و تذكر، إلى الكشف عن المثيرات النفسية و الدوافع الإجتماعية التي أدت إلى ابتكار الإشاعة[1].

فبينما تعد مفاهيم الصراع و التنافس و ظهور الإيديولوجيات و القوميات، دوافع حقيقية لنشوء النزاعات و بث الإشاعات، تظهر أهمية الدوافع النفسية الحقيقية المؤدية إلى ذلك و التي تغذي استمرار الأوضاع و تتحكم في إخمادها أو توجيهها إلى مقاصد و أهداف غير مرغوب فيها.

و لعل الإشاعة تبرر و تفسر العلة و الدوافع التي تدفع الشخص إلى الإنفعال و الإحساس بالمشاعر المختلفة، فتسبغ المعقولية عليه، و تحاول تبرير تلك الإنفعالات، فإيجاد سبب معقول لموقف غامض هو دافع لإحداث إشاعة و يعد الغموض أيضا دافعا لطلب المعرفة[2].

و تفسر إشاعات الحقد و الكراهية و التعصب على أنها استجلاء و استحضار لمشاعر دفنت في مخادع اللاشعور، و التي يحتفظ بها و لا تجد سبيلا إلى الظهور إما للخجل من إشهارها أو لإعتبارات و مبادئ و قيم تنظم و تتحكم في وجودها، و لذلك نجد أن كثيرا من الإشاعات ما هي في الحقيقة إلا اتهامات ترمي وتنسب إلى أشخاص أو جهات معينة بقصد إسقاط أفعال و مشاعر عليهم، حتى ينقص من أهمية و خطورة تلك الأفعال و استباحتها،

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص59.

أو بهدف تبيين استفحال المشكلة و انتشارها و التقليل من مخاوفنا اتجاهها و حتى إصباغها بلون من المعقولية و البساطة و الإستهانة بالأمر على الرغم من خطورته في الواقع[1].

و هذا ما يفضي إلى أنه ليست الوقائع الخارجية هي التي تدفعنا إلى إتهام غيرنا و التأثير عليهم، و لكن المكنونات المكبوتة في اللاشعور هي الدافع إلى إسقاط أفعالنا على غيرنا، إما للتقليل من أخطائنا أو مواراة النقائص التي نتميز بها.

و استجلاء الدوافع و الأسباب التي أحدثت الإشاعة يجعلنا نربط بين ما هو نفسي و ما هو إجتماعي، حيث لا تبتعد الإشاعة عن التأثيرات الإجتماعية و النفسية. و دور الأحداث و المعاملات و الأثر النفسي، في التأثير على مبتكري الإشاعة، في كونها مثيرات اجتماعية و نفسية جلية و ذات تأثير قوي في السلوك الفردي، و تأثيره في محيطه الإجتماعي، و قيمة مواقفه و آرائه، و وجوده بين أفراد مجتمعه، و عمله على تلبية و تحقيق مصالحه و أهدافه التي يدافع عنها و يسخر لذلك طاقته بما فيها الفكرية و المادية.

و مما تجدر الإشارة إليه هو أن استحداث إشاعة له أسبابه الدافعة و المثيرة، لكن كيف لناشر الإشاعة و مروجها أن تكون له الحماسة في نشرها و ترويجها، فذلك إما لأحاسيس و مشاعر زكتها تلك الإشاعة و سخرتها لخدمتها، أو لسوكات لا شعورية لا واعية.

فالقصد إلى تزكية خبر و تدعيمه له من الحجج و الأسباب الدافعة إليه، أما العفوية في التعامل مع الأخبار، إنما يرجع التعامل معها إلى محاولة إظهار نوع من القدرة على التحليل و الفهم و معالجة القضايا.

هناك أسباب لظهور الإشاعات لا تنحصر أساسا في تلك التي تنبعث من أول لحظة في شكل إشاعة، و إنما تتعدى لأن تفسر الأسباب التي تجعل من الخبر الرسمي أو الفكرة تتشوه و يلحقها كثير من التحريف و التزيف سواء بإسقاط تفاصيل و معلومات يراها أصحابها إضافية أو غير ملائمة، و ذلك يعود بالتأكيد لدوافع أدت إلى ذلك، أو زيادة تفاصيل و إضافات أخرى رأى و اعتقد أصحابها في صلاحياتها أو نجاعتها، لذلك يرى الباحثون في الحقول الإجتماعية و النفسية أن ذلك راجع إلى مثيرات اجتماعية و نفسية دافعة إلى إلحاق التحريف بالخبر و من بينها الميل إلى التسوية و الإبراز، فالتسوية تعود إلى نقص النضج في

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص40.

القدرة على التذكر، و حتى حذف التفاصل من الخبر الأصلي بنية فعل ذلك، أو لصعوبة التذكر الخاصة بالأرقام و أسماء الأماكن و الأشخاص و غيرها، و تختلف نسبتها من شخص لآخر، حيث يميل العسكريون مثلا إلى تذكر المسافات و الأعداد الدقيقة لأهميتها في المجال العسكري، بينما يميل الصحفيون إلى تذكر الأسماء و الأماكن، لما يشكلونه من أهمية في مهنتهم بينما العناصر الأخرى تكون عرضة للتسوية و النسيان[1].

و إبراز بعض التفاصيل على حساب أخرى يرجع كذلك إلى القدرة على التذكر، و أهمية التفاصيل عند ناقل الإشاعة، و يتعلق غالبا بالأحداث الغريبة و يمس الألفاظ و العبارات المهمة.

و بينما فسر ألبورت و ليوبوستمان النقص و الزيادة في تفاصيل الإشاعة على هذا الأساس، و أرجعا ذلك إلى عوامل التسوية و الإبراز و الإساغة * فإن باساغانا أرجع ذلك إلى عوامل أخرى هي : النسيان، الترابط، الرفض، إعادة البناء، إعادة الإدماج، توفير الطاقة.

النسيان : يعود إلى صعوبة التذكر و الإحتفاظ بما ليس مهما، و يمس الأرقام والتواريخ و الأسماء.

الترابط : يكون بدافع الحفاظ على قيمة الأحداث الموضوعية من جهة، و إبراز الاستجابات النفسية التي تغزو مجال الشعور إلى حين تجسيدها في الخطاب أو الإدلاءات، فيحدث تنافس بين المعلومات الموضوعية و العناصر الوجدانية التي تغير الأولى أو تمحوها تمام، و ذلك دليل على التفاعل بين الدوافع و الإستجابات.

الرفض : يتم بفعل الكبت و اللاشعور و ذلك لما تسببه بعض التفاصيل من قلق و توتر حيث تلغى بعض العناصر المثيرة إما للتخفيف من حدة القلق أو لعدم انسجام الحكاية مع الخبر، و لتفادي التنافر بين التفاصيل.

إعادة البناء : ينجم عن عملية الرفض إعادة بناء الرسالة و إغنائها بعناصر جديدة بتعديل في الدلالات المجاورة.

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص145-104.

* الإساغة : هي إضافة تفسيرات بحكم الموقف و المعطيات و الإستشعار في تلك الآونة و هذه العملية الثلاثية تعكس عملية السعي وراء معنى وفق الأفكار المبنية من قبل، و بنية المشاعر (أنظر سيكولوجية الإشاعة، ص157)، و التعديل الذي يكون دافعه غاية أو حاجة يعرف بالتمثيل.

إعادة الإدماج : بعد إعادة بناء الخبر يصبح أكثر ذاتية إن يحمل اهتمامات الفرد و تجاربه و قلقه، فيكون الأثر الوجداني حاضرا و واضحا في الإدلاءات.

توفير الطاقة : و يتم بتبسيط الرسالة و إلغاء العناصر الثانوية مع الإبقاء على ما هو أساسي قصد توفير الطاقة النفسية و التبسيط الذي يلحق الإشاعات يسهل من عملية نقلها[1].

و النتائج الذي خلص إليها رامون باساغانا كانت نتيجة تجارب قام بها فيما بين سنتي 1970 و 1974 بالجزائر العاصمة، و جرت ثمانية منها في وسط طلابي بالمدرسة العليا للتجارة و مركز الدراسات و الأبحاث في الإعلام الآلي، و معهد علم النفس التطبيقي، والتاسعة أجريت في إحدى مصالح الخطوط الجوية الجزائرية، و اختار جماعات تتكون من ستة (06) أشخاص، و اختار طريقة إعادة الإنتاج المسلسل و ذلك بقراءة الخبر على المفحوص الأول الذي يقوم بدوره بنقل الخبر إل الشخص الثاني بأكبر قدر من الأمانة، وهكذا إلى حين رواية الشخص الخامس الخبر إلى السادس، و روي الخبر على أنه ورد في صفحة المنوعات في جريدة المجاهد و نصه كالآتي :

" رجل نمساوي يحمل معه مبالغ مالية هامة، و يسكن فيلا، كان في باريس، امتطى الميترو للذهاب إلى موعد، و نزل في محطة الأوبرا، سرقت منه محفظة بما تحتويه من نقود و صكوك و تذاكر، قيمة كل ذلك (90 ألف فرنك فرنسي) كانت في جيبه، قدم شكوى قبل أن يمتطي الطائرة ".

- و حصر عناصر الموضوع في " الإسم، المهنة، الجنسية، الإقامة، يحمل معه مبالغا هامة، عندما سافر إلى باريس، يوم السبت، الذهاب إلى موعد، ركب الميترو، نزل من محطة الأوبرا، تفطن إلى محفظة نقوده، كانت المحفظة في جيب المسدس الذي اختفى، فكرة الإزدحام في الميترو و الضجيج، نشّال، مبلغ من المال، تقديم شكوى للشرطة، ركوب الطائرة و العودة.

و ذلك بما يساوي (18) ثمانية عشر عنصر أعطاها أرقاما رمزية ليتتبع تحولها أو نبذها في كل مجموعة، و عزل العناصر الجديدة في كل مستوى و ميز أهميتها و التشوهات التي طرأت على بعض المعلومات.

---

[1] مبادئ في علم النفس الإجتماعي- رامون باساغانا، ص78-79-80.

و قام بإحصاء ورود هذه العناصر عند الأوائل من كل مجموعة و المقدرة بـ : 9 مجموعات، ثم إحصاء ورود نفس العناصر عند الثاني من كل مجموعة فالثالث و الرابع ثم الخامس و السادس و هذا مع كل العناصر الإخبارية الثمانية عشر[1].

و خلص إلى أن النص تعرض إلى ضياع يقدر بـ : 97,5% خلال سيره عبر الوسائط الست، و أكبر ضياع يحصل في المراحل الأولى بنسبة 65% في حين أن المراحل الثلاث لا يضيع فيها كثيرا إلا بنسبة 14,5%.

و استنتج أنه كلما كان لدينا عدد كبير من الأشخاص كلما زاد خطر النسيان، و النسيان يمثل دورا ثانويا في آليات الإشاعة حيث تلغى التفاصيل غير الواضحة عمدا، و لاحظ أن التفاصيل المتعلقة بالأسئلة التالية: كم، أين، متى، كيف، قد أهملها المستعيدون، و لاحظ أيضا أن التأثير الإنفعالي للأسماء مثل إمرأة، يهودي، قسّ، له أثره في نقل الأسماء بينما غالبا ما عوض اسم نشال ببناء الفعل للمجهول (يُسرق) و في استعادات بعض الأفراد لاحظ أن الحدث إنتقل إلى الجزائر، حيث تحولت الأحداث إلى " أن شخصا نمساويا في جيبه 250 دج و هو سائح انتقل بواسطة القطار، و في إدلاءات أخرى بواسطة الحافلة، و لانتشار ظاهرة السرقة في مثل هذه الأماكن فإن السائح سرق منه المبلغ و قام بإبلاغ الشرطة، و تبين أن بعض الأشخاص كانوا يعتادون ركوب القطار و آخرون يعتادون ركوب الحافلة في التنقل بين المدرسة و الجامعة والبيت ". وفكرة النشال راسخة في استعاداتهم لانتشار هذه السلوكات في الأماكن المزدحمة و العامة.

و قد اعتمد باساغانا على التجريب و تتبع تحول المعلومات في كل مجموعة قصد تتبع سير الإشاعة و اكتشاف التحولات التي تصيبها.

– و في ما يرى موهي MUHYI أن الإشاعة تقع في ملتقى ما هو سيكولوجي و اجتماعي نجد أن باساغانا يشير إلى هذا بقوله : " أنه إذا كانت الإشاعة لا توجد إلا خلال تبادل المعلومات فمن المنطق أن ننظر إلى هذه الآليات من زاوية سيكولوجية الجماعة "[2].

---

[1] مبادئ في علم النفس الإجتماعي- رامون باساغانا، ص68.

[2] مبادئ في علم النفس الإجتماعي- رامون باساغانا، ص50.

و الأبحاث التي قام بها كل من R.H. Knapp و H. Jidouard توصلت إلى أن الجماعة التي تتحلى بروح معنوية منخفضة تسهل انتشار الإشاعات السوداء و المتشائمة بخلاف الجماعة ذات الروح المعنوية المرتفعة تسهل إنتشار الإشاعة المتفائلة، و الصنف الأول تغيب لديه الروح النقدية و يتم قبول الإشاعات بكل ما يترتب عليها من نتائج، و يحاول أصحابها في ظل القلق و التوتر استنتاج المجهول على ضوء أقل قدر من المعلومات، تخفيفا للتوتر، و ما التسرع في نقل الإشاعات إلا دليل على حاجتهم إلى إبعاد القلق و تحرير التوتر السيكولوجي.

وجعلت ماري بونابرت الإشاعة انكشافا للدوافع الفردية أو الجمعية الاشعورية وتتخذ من المناسبات والتواصل وسيلة للظهور.

و مما يعد مثيرا ودافعا في الوقت نفسه لإحداث الإشاعات هو ميل ناقل الإشاعة إلى إظهار اعتقاداته و انطباعاته ونبذه لكل ما يعد غير مهم في حياته، ويعمل على المشاركة في المناقشات والخروج بالآراء والنتائج واتخاذ المواقف.

و إذا تركنا الدوافع والمثيرات التي تدفع بصانعي الإشاعات إلى افتعالها و اقتياد الناس وراء أهدافها فإن استعدادات الفرد و المجتمع لها دورها الراسخ في تعميق العمل بالإشاعة و تقبلها وعدم مقاومتها ، وتزكية الدوافع والمثيرات النفسية و الإجتماعية و الثقافية لانتشارها.

إن افتقار المجتمع الى تنوير إعلامي و تكامل في نشر الأخبار وتوزيعها وتوجيهها يزيد من قدرة الإشاعة على تخطي حاجز الصمت و القيام بعمل الإعلام، خاصة وأن الرأي العام يتطلع إلى الجديد من الأخبار و استعداده لتقبلها قوي، تزكيه انشغالات الناس و اهتمامهم.

و أثناء الأزمات و الحروب والكوارث تقوى إستعدادات الناس لتقبل الأخبارمهما كان مصدرها ، خاصة اذا حملت انشغالاتهم ولبت حاجاتهم في الشعور بالأمن و الإطمئنان والإجابة عن تساؤلاتهم، والإشاعة باعتبارها حدث يستغل أصحابه الظروف الملائمة لنشره وتحقيقه يسعى إلى الإستحواذ على مسامع و ألسنة الناس و عقولهم في ظل إستعدادهم لتصديق محتواها، والإنقياد وراء مراميها، وتطلعات الشعوب و الأفراد إلى الحلول و النتائج لمختلف الأزمات و المشاكل تدفع بهم إلى الإنسياق وراء أثر الإشاعة وكذلك إستعمالها

و نشرها، محاولة لتحقيق الأهداف التي يروا أنها ناجعة، عملا على توجيه الرأي العام وحل المعضلات و تحقيق الطموحات.

وتعد الأفكار و السلوكات المكبوتة و أثر الاشعور الجمعي في توجيه الإشاعة و تزكيتها عاملا قويا في استمرار الإشاعة و الدفاع عنها و نقلها بين الناس: لما يجده الفرد و المجتمع فيها من وسائل ناجعة للتنفيس عن الكرب و التخفيف من حدة تأثير ضغط الاشعور، فكلما كانت تتفق مع حياتنا و أمكن اسقاط ما نكنه من إنفعالات و نصبغها بما نريد من أفكار قمنا بنقلها و تصديقها و العمل على ترويجها، أما إذا بعدت عن مشاغلنا و انفعالاتنا فإننا لا نعيرها أي اهتمام.

و يلجأ الشخص إلى إلصاق مشاعره الإنفعالية بالآخرين بغية إيجاد تفسير لما يشعر به تحت تأثير الضمير أو المجتمع أو القيم و المبادئ التي يتمسك بها و لا يرجو أن يثور عليها، كما لا يستطيع أن يواجه أخطاءه و آثامه فتكون الإشاعة أداة تخفيف، تمثل السبيل الوسط في الترويح عن النفس.

و تحاول الإشاعة التأثير على عقول الناس و سلوكاتهم و أ فكارهم بالمبالغة في الأمور و تضخيم الأحداث بغرض استمالة انشغالات الناس بها.

و في ضوء ما سبق نكتشف أن الإشاعة بآليات حدوثها و ا نتشارها و مسبّباتها و أغراضها ما هي إلا تلبية لحاجات مختلفة في حياة الناس، يجدون فيها السبيل الأمثل للتعبير و التواصل و مخاطبة الرأي العام و تبليغ المقاصد و هذه العمليات غنية بالمشاعر النفسية و الدوافع و المثيرات السيكولوجية تدل في غالبها على طبائع الناس و ميولهم و أحوال الأفراد و انشغالاتهم.

و يبين لنا علم النفس الأغراض المتوخاة من الإشاعة و سلوكات الناس في التعامل بها و ترويجها ، والخضوع لتأثيرها، و دواعي الإنقياد وراءها و كذلك أسباب تزكيتها أو محاربتها، كذلك وفق المصالح التي يريد أصحابها تحقيقها بفضلها، و مواقفهم من المضمون الذي تحمله ،وقيمته عندهم ، و أثر الحياة الإجتماعية و الثقافية و الإقتصادية و الأعراف و العادات و التقاليد و غيرها في توجيهها و تعديلها .

و علم النفس الإجتماعي يدرس الإشاعة كعينة إعلامية و إخبارية بعيدا عن التأثيرات الإجتماعية ، بل يقوم على أساس الربط بين طبائع و سلوكات الناس أفرادا وجماعات : و وقع المشاكل و الأحوال العامة في حياة الناس عليها ، مما يتطلب دراستها في المحيط الإجتماعي و الثقافي دون اهمال الأثر النفسي في بعثها و تكوينها.

و من المؤكد أن أي إشاعة يكون منبعها الرئيسي انشغالات فرد أو جماعة ، تعيش أحوالا خاصة و تريد من خلالها التغيير في أسلوب الحياة أو التأثير في جوانبها بقصد بلوغ غاية مرغوب فيها.

و ثمة مثال حيّ عن قيمة الإشاعة في حياة الناس ، و ذلك أثناء الحروب بعامة وخلال الحرب النفسيّة بخاصة ، حيث تظهر الظواهر النفسية مثل القلق و الخوف و الرعب و تظهر معها الإشاعات المخيفة و السوداء المعبرة عن الحالة النفسية للفرد و المجتمع.

الإشاعة أثناء الحرب النفسية

قبل الولوج إلى صلب الموضوع نفضل تعريف الحرب النفسية و تحديد زمانها وأسبابها و دوافعها .

تعريف الحرب النفسية

تعرف الحرب النفسية بأسماء متقاربة هي حرب الأعصاب، حرب سياسية، حرب باردة، حرب دعائية ، حرب الإعلام ، حرب الإذاعات ، حرب الكلمة و كلها تجسد وتصف سلوكات إعلامية ، تحاول التأثير على إرادة شعب أو جماعة ، وعواطفهم واتجاهاتهم و عقائدهم وسلوكاتهم و إدراكاتهم و دوافعهم و انفعالاتهم.

و من دوافعها الحقد و الصراعات الطاحنة و الحروب و القلق، و يعد الدافع الاشعوري الإطار الذي يجمع كل هته الدوافع ،حيث يحتوي على الغرائز الفطرية و على الميول و الذكريات المنسية المنضوية في ذاكرة الشعوب و التي وجدت في ظروف إجتماعية

و سياسية وثقافية و عسكرية السبيل المعقول و المبرر القوي للظهور و تزكية الخلافات وتحقيق المآرب.

وهي ليست قاصرة على وقت الحرب أو الطوارئ و لكنها سلاح يستخدم في السلم و الحرب معا، و لاتخضع لرقابة القانون أو التقاليد الحربية، و لكنها تخمد عند بلوغ الأهداف المسطرة، أو تحقيق النتائج المرجوة.

أهدافها

– إثارة عوامل التفرقة بين الأعداء، وتشتيت التماسك و الوحدة الإجتماعية: فتثير النعرات و التعصب للدين، و التقاليد و الأعراف، واللغة والعرق و اللون و الجنس و الطائفة، قصد اضعاف الخصم.

– الإغراء بالوعود الكاذبة و اقتياد الأعداء لتقبل الهزيمة و الإستسلام و بث اليأس وتهويل الخسائر و تعظيم و تثمين الإنتصارات و تعتمد في ذلك على كل ما يؤثر على احساس الإنسان و مشاعره و تفكيره.

أسلحتها

الكلمات، الأفكار الدعاية الإشاعات، الخداع، الحيل، والتظاهر بالعجز عند القوة و بالفوضى و عدم الرغبة في المواجهة، وتستعمل الإشاعات و تغذيها لخدمة أغراضها و تستغل الثغرات و الخلافات و تقوم بالتضليل الإعلامي و الدعائي، و تقوم بتزكية الإرهاب الدولي و الإفتراء و تعد لذلك الخبراء النفسيين المختصين في مجال الإعلام و الدعاية والحروب[1].

و قد اعتمدت الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية على إشاعة جو الإضطراب و القلق و عدم الإستقرار في الدول العربية بغية خلق النزاعات فيما بينها و أشاعت الذعر و الإرهاب في صفوف شعوبها، و اعتمدت على خطوات في ذلك، منها اعتماد :

[1] علم النفس الإجتماعي، ص337-338.

- الحرب النفسية الإستراتيجية بعيدة المدى : و تهدف إلى إحداث تغييرات في الأوضاع و القوى.

- الحرب النفسية التكتيكية الموجهة ضد القوات المسلحة قبيل و أثناء الحرب، و كذلك ضد الخطوط الخلفية و مصادر الدعم قصد عزل القوى المواجهة و هزمها، والقيام بعملية الردع*.

و كلا النوعين يستهدف سيطرة الإرادة و التأثير على المواقف بالهجوم على ثوابت الأمة و المعتقدات و تمزيق الإستقرار النفسي لدى الأفراد، و تقوم هذه الحرب في إطار فكري أثناء فترات اللاسلم و اللاحرب[1].

و تحاول تحقيق الإنهيار في صفوف الخصم و التخلي عن إرادة الصراع و ذلك بنشر الإشاعات و إشعال فتيل الإضطرابات و بث الذعر و الفوضى.

و تحاول الإشاعات النيل من الروح المعنوية القوية و العالية عند الخصوم و التقليل من الإستعدادات النفسية للحروب و إضعاف الإصرار و الحماس و العزيمة عن طريق إستخدام الدعاية السرية، و تقوم بعمليات التنبؤ بخواتم الأمور، فتؤكد على انتصار الجيوش، و تنشر روح الهزيمة و عدم جدوى المقاومة في صفوف القوى المواجهة، و تشيع روح الإستسلام و التواطئ و التخاذل.

و تستعمل الإشاعات في الحروب النفسية بكثرة للحط من شأن مصادر الأخبار، و أيضا بمثابة طعم لاستدراج الخصوم و الأعداء على إظهار الحقيقة، و تبدأ بنشر أخبار لا أساس لها من الصحة، و تلفيق خبر فيه شيء من الحقيقة دون توفرها و وجود دلائل حولها، و تقوم الجهات المسؤولة على بث الشائعات لاسغلال الفترات المناسبة و انشغالات الخصوم، و اهتماماتهم، للهجوم بالإشاعة، و القيام بالتشكيك في حقيقة الأخبار أو قيمة الإستعدادات النفسية و المادية، و بث الكراهية و العداء و إشاعة الخوف و الضغائن، و هدفها الرئيسي كسب ثقة الرأي العام و الداخلي، و تشتيت صفوف المواجهة لدى العدو و التقليل من شأن قوته في شتى المجالات و محاولة عزله[2].

* الردع: له مفهوم نفسي، و هو حمل الخصم بالضغط السياسي و الإكراه النفسي وبالتسلّط بوسائل القسر و القهر العنيفة و بأدوات الحرب النفسية، على تغيير مواقفه السياسية و العقائدية و العسكرية، أو تغيير قناعاته و الإذعان و الإنصياع لعمليات الردع النفسية و الفكرية و العسكرية.

[1] العسكرية الإسرائيلية، ص111.

[2] علم النفس الإجتماعي، ص341، حامد عبد السلام زهران.

و في فترات السلم تقوم الإشاعة بفضح الخصوم و تزكية الحرب النفسية. و تقوّي من حدة التوتر، و كثيرا ما تكاد تشعل فتيل الحروب و النزاعات، و تهاجم النواحي الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية و تفضح النوايا و التدابير، و تحاول إيجاد المصوّغ أو الذريعة لضرب برنامج سياسي أو تعليمي أو اقتصادي، و تقوم بعمل دعائي للبرامج و النتاجات الفكرية، و تروّج لها، فتزكي الغزو الثقافي و الهيمنة الإقتصادية و التبعية الفكرية و الإيديولوجية، و هي أقوى سلاح يحقق النتائج الباهرة دون اللجوء إلى الحروب و العنف عامة.

و تقوم الحرب النفسية الدفاعية على مقوّمات، تحاول بفضلها إفشال الدسائس و التأثير على الرأي العام و هذا بفضح الإشاعات الهجومية و العدائية و مقاومتها و كشف الجواسيس، و تقوية الإعلام الداخلي و نشر الحقائق و استعمال الدعاية المضادة لضرب الخصوم و الحد من تأثيراتهم النفسية على المجتمع.

و مقاومة الحرب النفسية تتطلب تعبئة إجتماعية و ثقافية، و تسخير الطاقات البشرية و المادية من أجل توحيد الرأي العام حول التعامل مع الأخبار و الإشاعات و الدعايات، و تكثيف برامج التوعية و التنشئة الإجتماعية في مختلف الميادين الإقتصادية و التكنولوجية و العلمية و السياسية و غيرها من المجالات قصد تقوية عوامل التماسك، و التقليل من أسباب الإختلاف و التفرقة، و تعزيز الوحدة و البناء الإجتماعي بالتلاحم، و العمل على فضح النوايا البعيدة للأكاذيب، و اعتماد استراتيجية إعلامية قوية، تعتمد على تحصين المعلومات و منع تسربها إلى العدو، و الوصول إلى جذور الإشاعات و توعية العقول وتنويرها لكشف الأخبار الصحيحة من الزائفة.

و العمل النفسي يقوم بدوره في تقوية الإستعدادات لاستنباط الإشاعات و التقليل من الحساسية التي تولدها الحروب النفسية و الإحباط المعنوي و التخريب النفسي، و تكوين الفرد و المجتمع و تهيئتهم لمقاومة أسباب الإنهيار و الفشل.

و تزيد حدة الإشاعات و فعاليتها و أثرها في الحروب النفسية مما يقتضي تكافل الجهود و وحدتها في مجالات الإعلام و التنشئة النفسية و الإجتماعية للحد أو التقليل من تأثيراتها[1].

---

[1] أزمة الإعلام العربي، ص 66.

تحليل الإشاعة

تعتبر الإشاعة عنصر جامعا لعمليات متعددة في مجالات مختلفة، فهي مزيج بين شعور نفسي، و انفعال، و تأثر بواقع إجتماعي و ثقافي، و تجسيد لآمال و آلام و انشغالات الناس في نواحي الحياة المختلفة، و تعد أيضا نموذجا من التركيب اللغوي الذي لا يثبت على صيغة نهائية، بل يتجدد و يتغير وفق ما يبتغيه له ناشروه، و تحمل معان و دلالات بسيطة أو معقدة تقوم بوظيفة رمزية، تكمن فعاليتها في قوّة الإستمالة، و استدراج الأذهان للإهتمام بها و التأثير على الرأي العام[1].

و هي وعاء تصب فيه حالات عدم الرضى على تصرفات أشخاص أو هيئات، و مأوى لأماني المجتمعات، و مخاوفها، و قلقها إزاء القضايا المصيرية، و طموحاتها إلى المستقبل.

و مع أن الشكل اللغوي للإشاعة بسيط و غير متكلف إلا أنها ذات مضامين و دلالات عميقة، تجسد حالات الكذب و الإفتراء، و عمليات الإسقاط و الكبت، و إخراج الأحاسيس من اللاشعور لتجسيدها و تلفيقها للإشاعة بصفتها الوسيلة المثلى لحملها دون التعرض لسخط المجتمع ومعارضة القيم و العادات الإجتماعية لها.

مقاربة دلالية للإشاعة

إن التحليل اللغوي يكشف عن تناقص عدد ألفاظ الإشاعة أو زيادتها و دورها الدلالي داخلها، و يرى بارتلت Bartellett أن الناس يهيكلون ذكرياتهم أكثر مما يثرونها، وهذا ما ينطبق مع الحادث الأصلي، و أحيانا يركز الفرد الذي يدلي بالإشاعة على عنصر واحد يبرزه، و ذلك تبعا لمجرى الإهتمامات الشخصية و قوة استعادته و أثر عامل النسيان، و صعوبة التذكر الذي يقصي فعالية الإثراء في الإستعادة.

---

[1] دراسات في علم الإجتماع السياسي، ص199 .

و التصور المركزي عنده هو تصور قائم على السعي وراء معنى[1]، و نظام الإستعادة يقوم على هيكلة الذكريات و الخلوص إلى نتيجة تحتفظ بالموضوع الرئيسي و بعض التفاصيل، و تستعاد العبارات القصيرة غالبا بأمانة، و يغلب على بعض الأشخاص الإستعادة الحرفية أو الصمّاء بأكبر دقة ممكنة، و ذلك إما بدافع الرغبة في ذلك و نشر الإشاعة كما هي، أو عند بلوغ الإشاعة صورة مقتضبة حتى تصبح مشابهة للشعارات، إذ لا يبذل ناشرها جهدا في حفظها بالصورة التي سمعها بها و بذلك تبدو الذاكرة الحرفية فعالة و هذا مثل "ستستبدل العطلة الأسبوعية من يومي الخميس و الجمعة إلى يومي السبت و الأحد".

و تتميز الإستعادة الحرفية بخاصية حفظ الموضوع الأساسي في الإشاعة و نقل التفاصيل كما هي مع قلة التفسيرات و التبريرات، لأن الموضوع البسيط و الموجز الذي يسهل تذكره لا يكلف جهدا في إعادة روايته، و يكون جد بسيط و سهل مما لا يتطلب دواعي التغير فيه أو الزيادة حتى لا يتغير الشكل المقتضب إلى شكل طويل يولد الملل لدى الراوي، و حتى عند السامع وقد أشار أحد الدارسين إلى فعالية الإتصال الشفهي في نقل الأخبار و إثرائها وأشار أيضا إلى أنه من أكثر المركبات في الثقافة الشعبية بإفريقيا و آسيا[2].

مقاربة إجتماعية

و يتناقص عدد ألفاظ الإشاعة و تفاصيلها كلما إنتقلت من شخص لآخر، و في التجربة التي قام بها بارتلت على أشخاص يمثلون مجموعات متكونة من ستة أشخاص في الولايات المتحدة الأمريكية لاحظ أن 70% التفاصيل تسقط خلال خمسة أو ستة انتقالات، من فم إلى فم حتى و إن لم تكن هناك فترة زمنية فاصلة بين هذه الإنتقالات، و ذلك راجع في نظره إلى أن معظم القائمين على الإدلاء لم يرو المثير الأصلي الذي من شأنه أن يؤخر سرعة سقوط التفاصيل، و الميل إلى التسوية و إسقاط بعض التفاصيل إنما يرجع في اعتقاده إلى الأثر الإجتماعي، و ذلك لشعور القائم بالإدلاء أنه أمام جمهور من الناقدين، فيعمد إلى

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص77.

[2] Introduction aux études interculturelles p, 76.

الإختصار و تجنب التفاصيل و العناصر التي لا يثق منها تمام الثقة، فأثر الجمهور كبير حيث يجعل من انتباه الشخص متشتت، و يحس بيقضة الجمهور لأخطائه، لذلك يقدمون إدلاءات أكثر إيجاز و بتسوية سريعة، و بعمومية في التحليل، و التجربة كانت تتعلق بوصف منظر لمعركة حربية تتخلله مشاهد مختلفة.

أما في غيبة الجمهور استنتج أن الأشخاص قدموا إدلاءات أفضل[1]، بينما النتائج التي توصل إليها رامون باساغانا من خلال التجربة التي قام بها في الجزائر مع طلبة الجامعات، أين حدد نموذج التجربة المتمثل في نص أوردته إحدى الصحف اليومية، و الذي يصف حادث سرقة وقع لرجل نمساوي عند ركوبه الميترو بباريس، حيث حدد الأسماء و الأماكن و المبالغ الضائعة، و بعد القيام بالتجربة لاحظ أن تأثر الإشاعة بالبيئة و اصباغها بالطابع الثقافي و الإجتماعي كان حاضرا، و ذلك في إنتقال الحادث من فرنسا إلى الجزائر و استبدال المعالم الثقافية و الإجتماعية التي وردت في النص بمعالم ثقافية و اجتماعية مستمدة من البيئة الجزائرية، مثل: دار الأوبرا فإنها استبدلت بالسنما، و الميترو بالقطار.

مقاربة نفسية

لاحظ باساغانا أن عناصر واضحة فرضت تأثيرها على نص الإشاعة مثل النسيان، و تأثير الصراع بين العناصر الوجدانية العاطفية و الإدلاءات الموضوعية[2].

و الفرد في نقله للإشاعة يقوم بعملية الرفض لبعض العناصر و التفاصيل، وفق ما تمليه حالته النفسية و أحاسيسه النابعة من اللاشعور، حيث تهيكل تعامله مع نص الإشاعة و هو ما يعرف عند باساغانا بـ « Le Rejet »، ثم يقوم بإعادة هيكلة ذلك النص للخلوص إلى نص جديد بمعلومات و عناصر أخرى تسمح باستبدال ما تم تسويته، و تعرف العملية بـ " La Restructuration "، و العناصر التي تم إدخالها في النص يستلزم القيام بعملية ترابط و تواصل بينها و إعطائها معاني توافق نص الإشاعة و هو ما إصطلح عليه بإسم

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص97.

[2] Elément de Psychologie Sociale, p 73.

" L'association "و تلك العناصر الجديدة تدمج " Réintégration " في نص الإشاعة بشكل من الإيجاز و توفير للطاقة و استعمال الرموز الفيزيائية و الإشارات بقصد إستبدال بعض العناصر الرمزية وفق ما هو متعارف عليه و متداول بين أفراد المجتمع و ما تتميز به الثقافة الشفهية، و هو ما اصطلح عليه بـ " Epargne d'Energie ".

مقاربة نفسية إجتماعية

و حاول باساغانا تحليل النتائج التي توصل إليها من خلال المقارنة بين التحولات التي طرأت على موضوع الإشاعة، و اكتشاف العلاقة بين النص الأصلي و النص الذي خلص إليه في آخر التحولات الطارئة أثناء انتقال و تداول الإشاعة، و تبرير أسباب تسوية العناصر المكونة للإشاعة مثل الأرقام و الأسماء و الأماكن و غيرها، و علة ظهور تفاصيل جديدة التي لم تكن موجودة في النص الأصلي، و التي أرجعها إلى دور التبريرات و التوضيحات، والأثر الإجتماعي و الثقافي و دور المهن و الأعمار في الإضافات و التعديلات[1].

بينما ذهب Knapp إلى دراسة حوالي (1000) ألف إشاعة سنة 1932 في الولايات المتحدة الأمريكية قصد اكتشاف أثر الحالة الإجتماعية و النفسية للمجتمع في ظهور الإشاعات فيما ذهب Smith إلى القيام بتجارب في الحقل الإجتماعي و النفسي قصد معرفة الطريقة التي يصدق بها الناس الإشاعة، حيث قدم الإشاعات إلى مجموعات من الأفراد في ثلاثة صيغ، الأولى على شكل أنباء بدون تعليق و الثانية في شكل إشاعات و الثالثة في شكل وقائع حدثت، و خلص إلى أن النوع الثالث هو الذي يزكي تصديق الإشاعة و العمل على نقلها وأظهر دور الفروق الإجتماعية في تقبلها، [2] وأثر العلاقات الإجتماعية و الوسط السكاني المتناسق على إنتشارها[3] .

---

[1] Elément de Psychologie Sociale, p 66.

[2] دراسات في علم النفس الإجتماعي، ص32.

[3] راجع المعجم النقدي لعلم الإجتماع، ص72.

الموقف الديني من الإشاعة

إن الإشاعة منبوذة بطبيعتها خاصة الهدامة و المرعبة، و تثير القلق و المخاوف و تدفع بالمجتمع إلى أخذ موقف منها، و مهما أحب الناس الإشاعات المتفائلة و الحالمة بالمستقبل الأفضل و خواتم الأمور الحسنة، إلا أن المعروف عن الإشاعة عند عامة الناس، أنها مجرد أكذوبة و أسطورة مرعبة وجب محاربتها بكل الأساليب و الوسائل، لذلك نجد أن الناس ينفرون من الأخبار غير الموثوقة و الأكيدة خاصة المبالغ فيها.

ثم إن الأديان السماوية كلها أدانت الكذب بكل أشكاله، و الزيادة في الأخبار و حرمت القذف و اتهام الناس بما ليس فيهم، و ديننا الحنيف قد أرشدنا إلى الطريق القويم لتجنب الإشاعة و الوقوف تحت تأثيرها.

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ الحجرات الآية 6. و قد حددت الآية المعايير الصارمة لقتل الكذب و ذلك بمحاربته في المهد بالتحقق من صحة الأخبار و صدقها و نسبتها إلى أهلها، و التأكد من صدق الناقل، حتى لا يرمى الناس بما ليس فيهم، و نتيجة ذلك هي الندم على تلفيق الإشاعات و الأكاذيب للناس.

و أشار الله عز و جل بكل وضوح إلى جانب ابتكار الإشاعات الإتهامية التي ترمي النساء بالفسق و الخيانة، و ذلك في سورة النور الآية 4 و 5 بقوله تعالى : ﴿ **و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، و لا تقبلوا شهادة لهم أبدا و أولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا بعد ذلك و أصلحوا فإن الله غفور رحيم** ﴾، و بين كذلك جزاء من يحاول إشاعة الفساد و الفتنة و ذلك في قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا و الآخرة و الله يعلم و أنتم لا تعلمون** ﴾ سورة النور الآية 19 و قوله تعالى أيضا في رمي المحصنات في سورة النور الآية 23-24 : ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا و الآخرة و لهم عذاب عظيم** ﴾،

و كذلك في نشر الإشاعات و تلفيقها إلى الناس، نهى الله عنها بقوله : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾، الحجرات، الآية 12 .

محاربتها والحد من تأثيرها

و إذا كان موقف الدين صارما تجاه ناشري الإشاعات و الأخبار الزائفة فإن القوانين الوضعية تنبذ الإشاعة وتصنفها على أنها جنحة تتطلب اجراءات تأديبية وكذلك جزائية، وذلك حتى يسلم الناس من خطرها وخطر الإعتقاد فيها .

أما في العرف الشعبي فإن الإشاعة منبوذة تماما، و يتجسد ذلك من خلال المثل الذي يضرب عن الإنسان الذي اعتاد الكذب فيقال عنه : إنه سيأتي اليوم الذي يقول فيه الحقيقة دون قصد الإشاعة و الزيادة في الأخبار لكن لا يجد من يصدق أخباره، لأن الناس إعتادوا سماع الأكاذيب منه، ويقال أيضا "الكذب ما يزيد في الرحلة "، دلالة على نبذ الكذب و احتقار الكاذب.

و طبائع الناس تميل إلى افتعال الإشاعات، و يمتهنون بذلك الكذب لأن الوقوف عن الكلام دون إتمامه، و فقدان الكلمة، والحاجة الى التفاصيل، تشعر صاحبها بضرورة تغطية النقص الحاصل، ولو بافتعال أخبار لا أساس لها من الصحة، أو الزيادة و النقصان في أخبار أخرى دون مراعاة معايير الصدق والكذب والتواصل، ودون الإنتباه الى مواقف الناس والمستمعين و تحاليلهم الموضوعية للإدلاءات، مما يجعل انتقادات الملاحظين لاذعة و صارمة، إذ توحي بعدم استعداد الفرد والجماعة للتطرق الى الكذب و لو لسد الفراغ في الكلام.

ومحاربة الإشاعة تتطلب تظافر الجهود الفردية و الجماعية وفق الوسائل المتاحة والأساليب الممكنة و المسموح بها، وبخطوات مرتبة وموازية لمراحل انتشارها وتكوينها.

فالفرد مسؤول عن دوره في محاربة الإشاعة داخل محيطه الإجتماعي وذلك بتقوية استعداداته النفسية وقدراته العقلية في عدم الرضوخ لتأثير الإشاعة و التسليم بها، وذلك بالتحصن ضدها وإدراك آليات حدوثها وولادتها وتأثيرها، و تبصيره لكشفها و إزالة القناع

عنها ، وكذلك العمل على فضحها و عدم التعامل بها و نقلها، و إضعاف تأثيرها على الناس وتكذيبها، ثم تنوير عقول الناس بالحقيقة الازمة.

والمجتمع يقوم بدوره الفعال في قطع الطريق أمام حدة انتشار الإشاعات و ذلك بالتلاحم الطبقي و التنشئة الإجتماعية وتقوية التماسك بين فئاته، و تنوير الرأي العام بالحقيقة و الأخبار الصحيحة، و الرفع من معنويات الأفراد، وعزل السلوكات التي تؤيد انتشار الإشاعات و تحقيرها، و تقليل الإعتقاد في فعالية الإشاعة لبلوغ الحقيقة.

وأسلوب الصمت تجاه الإشاعة والسكوت عنها يخدم مصلحتها و يقوي وجودها، وقلة وسائل الإعلام و انعدامها يفسح المجال الواسع لاستفحالها، و عدم مصداقية الإعلام وتلاعبه بالأخبار دون مراعاة المعايير المنطقية والأسس الصحيحة للتعامل مع الأخبار و مخاطبة الجمهور من شأنه أيضا تزكية جبهتها.

وهي من أقوى الأسلحة النفسية تأثيرا على عقول الناس خاصة أثناء الحروب وكذلك في مجال الغزو الفكري، وتستولي على توقعات الناس و تفسيراتهم للأخبار[1].

وعرض الحقائق في وقتها و بأساليب لا تترك مجالات الشك والنقص و الغموض وتعزيز الثقة في وسائل الإعلام، و الإبلاغ عن الإشاعات و تكذيبها و عدم تبريرها و البحث عن جذورها، عوامل من شأنها أن تضعف وتقتل الإشاعة منذ ولادتها، خاصة إذا تعزز ذلك بإدراك الناس لخطورتها على تفكيرهم و اتخاذ موقف تجاهها، والإهتمام بموضوع الإشاعة يدفع الى الإعتقاد فيها و انتشارها إذا لم يتفطنوا لسمومها[2].

و المعرفة في شتى المجالات و العلم هما سلاحان قويان يدحضان الإشاعة و يقللان من قيمتها، ونشر المعرفة، بما فيها المعرفة بأسباب نشوء الإشاعات و استفحالها و تأثيرها، كفيل بالتقليل من وجودها و خطرها.

و هناك أساليب فردية تساعد على محاربة الإشاعة كأن تكذب الإشاعة من قبل شخصية معروفة و ذات مسؤولية في المجتمع، و عدم تكرار الإشاعة بالصيغة التي سمعت بها، لأن ذلك يؤدي إلى اختلال الصلة بين النص الأصلي لها و الأقاويل الناتجة عن تداوله

---

[1] المرشد في علم النفس، ص167.

[2] علم النفس الإجتماعي حامد عبد السلام زهران، ص342.

بين الناس، و هو ما من شأنه أن يولد أقاويل ثانوية يمكن أن يتغير الموضوع فيها و يصبح أكثر خطورة في تأثيره على الرأي العام، و صرفها عن حمل اهتمامات الناس و انشغالاتهم، يؤدي بها إلى الإندثار بسرعة، و استبدال الألفاظ، و الإكثار من الإضافات الفردية يشعب من تفسيرات الإشاعة و لا تخلق وحدة في الرأي العام حولها مما يقلل من أثرها.

و انتهجت الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحربين العالميتين، طريقة تهدف إلى تقوية القدرات العقلية للمواطنين لمكافحة الإشاعات، و أوكلت لمركز الإعلام الحربي مهمة الإشهار و نشر الحقائق حول الجيوش و ما يدور في ساحة المعارك، و من جهة أخرى حرصت على سرية المعلومات العسكرية، و أنشأت مختبرات للإشاعة قصد محاربتها و القيام بالحملات الدعائية المضادة و نشر الإشاعات التي من شأنها أن تُهَدأً من قلق الرأي العام، و توحد صفوفه[1].

و في بريطانيا أيام الحرب العالمية الأولى نشر تقرير يفيد عدم إنبعاث إشاعات الخوف و القلق، و ذلك مرده إلى أن الحكومة آنذاك كانت قد اكتسبت اقتناع الشعب بأنها كانت تنشر أخبار كاملة و دقيقة عن الدمار، و اقتناع الناس بأنهم كانوا يعملون أسوأ الأمور و بكل التفاصيل[2]، وقد نشطت المؤتمرات فيما بين الحربين العالميتين قصد إيجاد نصوص قانونية تعاقب ناشري الإشاعات.

و خير طريقة للدفاع ضد خطر الإشاعة إذا ما اشتد وقعها على عقول الناس، هو المهاجمة بإشاعة أخرى بغرض إفشال تأثير إشاعة معادية، و استدراج الناس للإعتقاد فيها و جرهم للإنشغال بموضوع آخر يهمهم، و هذه الطريقة مربحة للوقت و مفيدة في اختصار الطرق للدفاع ضد سموم الإشاعات، و يتطلب ذلك خبرة في مجال افتعال الإشاعات و ترويجها بفضل العملاء.

و التكذيب و فضح الإشاعات المتداولة بين أفراد الأوساط الإجتماعية المغلقة مثل الأسرة، مكان للعمل، دور الترفيه، هو وسيلة ناجحة لإفشالها و تلقين الحقيقة، و لكن الإشاعات التي تصاغ في مختبرات خاصة و الموجهة ضد مصالح عامة، تتطلب تقنيات وخبرة

---

[1] سيكولوجية الإشاعة، ص33.

[2] نفسه، ص19.

مميزة لافتعالها، لذلك وجب مراعات المعايير نفسها لمحاربتها و استعمال التقنيات الإعلامية الناجحة، و الرد عليها بالأساليب المناسبة و اللازمة، و تكلف عملية محاربة الإشاعة و التعبئة ضدها تسخير وسائل كبيرة و مكلفة، من طاقات بشرية متخصصة، و وسائل إعلامية، و نفقات معتبرة، لتكذيبها و فضحها، أو محاربة آثارها المادية، و كذلك التقليل من حجم تأثيرها على الناس.

و يبقى تفادي أثرها المادي و المعنوي موقوفا على علم الناس بماهية الإشاعة و تميزها عن غيرها من الأخبار، و إدراكهم للحقائق الرسمية التي يتعطشون لمعرفتها عبر الإعلام ودوره في تبليغ رسالته إلى المجتمع.

الأثر المادي و المعنوي للإشاعة

لقد تضاعفت آثار الإشاعات على الحياة العامة للناس، خاصة بعد تحول ميكانيزمات حدوثها من العفوية إلى القصد و النية المسبقة في نشرها و تحديد الهدف من استخدامها.

و تتفاوت مخلفات الإشاعات باختلاف الجمهور الذي توجه إليه و بتباين المواضيع التي تعالجها و الأفكار التي تحملها، فنميز بذلك نوع الإشاعة وفق موضوعها، و نجد من ذلك الإشاعات التي تثير الفتن و التفرقة و العداء و الرعب و القلق، و التعصب و الكراهية وهي إشاعات حاقدة تستغل الأحداث و الظروف الحرجة لتحقيق أغراضها الهدامة، و هي بذلك ذات تأثير كبير على التماسك الإجتماعي و الوحدة و التلاحم الشعبي، و تصل إلى حد تزكية النزاعات و الإضطرابات و الفتن و حتى التورط في إحداثها، و تؤثر على مجريات الأمور حتى تتحقق مراميها.

و هته الأنواع يكون أثرها المادي جسيما لما يمكن أن تحدثه من خسائر في الأموال و الممتلكات و الأرواح و العتاد خاصة أثناء الحروب و حالات الشغب و الفوضى، و تبلغ إلى حد استنزاف خيرات و طاقات الشعوب إذا ما رسّخت العداء و سبيل الحرب و المقاومة بين فئات المجتمع الواحد أو بين الشعوب المختلفة، و يمكنها أن تبلغ بمن يؤمن بها و يعمل وفق أهدافها إلى حد الإستبسال في ترويجها و الدفاع عن أفكارها بكل ما يملك من قوة، و تدفع بالجيوش إما إلى الهزيمة الشنعاء من خلال تدمير استعداداتهم و عزمهم، أو تحقيق

الإنتصارات علـى حسـاب الدمـار و الخسـائر التي تلحق بـالخصوم، مـن خـلال الرفـع مـن معنويات المقاتلين و تقوية إستعداداتهم و عزمهم على النصر.

و تلعب إشاعات الحرب التجارية و الإقتصادية و التصنع و التطور التكنولوجي، التـي تحدث بين البلدان المتنافسة على الأسواق العالمية و استقطاب المتعاملين الإقتصـادين و السـعي إلى السبق في الإبتكار و التطور، دورا كبيرا في إلحاق الخسائر الفادحة، و الجسـيمة في السـلع و الأموال، و ذلك بالعمل على عزل الدول المنافسـة تجاريـا و اقتصاديـا و حجـب الثقـة عـن صلاحيات تجارتها و سلعها، و معاملاتها، و التشكيك في إنتاجها و صلاحية سلعها و فعاليـة مبادلاتها، مما يحدث عدم التوازن و الإستقرار في التجارة و إلحاق الخسـائر بكسـاد السـلع أو تكدسها و عدم وجود الزبائن للتعامل معهم، و بذلك تحقق الإشاعات في هذا الميـدان دعايـة مغرضة لتجارة و اقتصاد دول معينة على حساب دول أخرى.

و تلك بصفة مجملة آثـار الإشـاعة في حيـاة النـاس و مـا يمكنهـا أن تبلغـه مـن مراتـب تستدعي خسارة في شتى المجالات، لمجرد أكاذيب مصطنعـة، تزكيهـا أمثلـة أو استشـهادات من حياة الناس و أحوالهم في الواقع، و أحداث يمكن أن تكون صحيحة.

أما عن الأثر المعنوي، فإنه لا يقل خطورة عن الأول، و ذلك لما يمكن لها أن تحققه من اطمئنان و رخاء و تطلع و آمال و أحلام، أو من دمار و تخريب نفسي و فشـل و استسـلام، حيث تولد الإشـاعات العدائيـة الحقـد و تـزرع سـلوك الإنتقـام و العنـف في صفـوف النـاس و تشعرهم بالخطر، و تطمح الإشاعات الحالمة إلى الحلول العاجلة للمشاكل و إلى الإستقرار.

و تؤثر الإشاعة على توجهات الناس الفكرية، و عاداتهم العقلية في التفكير، و تحليـل الأمور، فتقودهم إلى مواضيع و أفكار بقصد صرف أنظارهم عن مواضيع أخرى، و تشعرهـم بإدراك الحقائق و الإستدلال عليها، لكنها في الحقيقة تجمد قدراتهم العقلية في التعامل مع كـل قضيـة، و تنمّي لديهـم الأحاسـيس العاطفيـة، و التقديـرات الجزافيـة، و تهيؤهـم لهضمهـا، و الخضوع لسيطرتها المطلقة، دون التأكد من صحتها أو خطئها.

كما تنمّي لدى الناس، أحاسيس الخوف و القلـق و الـترقب، و تخلـق حـالات اليـأس و الإحباط و الدمار و التخريب النفسي، و الشعور بالفشل و الخيبة و الهزيمة، و هي حـالات نفسية لها آثارها العميقة و البليغة على حياة الفـرد و الجماعـة و علـى توجهـاتهم و مسـتقبل

اهتماماتهم، خاصة إذا ما رسخ الإعتقاد في الإشاعة، و بلغت ذروة انتشارها عند عامة النـاس و استطاعت التأثير على الرأي العام و توجيهـه، و أصبـح مرجعا مؤقتـا في سـجل الأحـداث و الأخبار يستدل بها و يستشهد بوجودها.

إن من لهم قابلية للتسليم بالإشـاعات هـم في الحقيقـة أكثر النـاس تـأثرا بهـا، حيـث يصبحون عملاء لها من دون تفكير أو تردد، و هؤلاء الناس أضعف من أن يميزوا بـين الخطإ و الصواب في حياتهم أو أن يطرحوا التساؤلات حولها.

و تفرق الإشاعة جمهورها إلى مؤيدين و معارضين، يقضون الأوقات الطائلة في الجـدل و محاولة اقناع الطرف الآخر دون الوصول إلى نتيجة أو حل نهـائي، و كـل مـا في الأمـر هـو مجرد إشاعة حملت إنشغالات الناس و استولت على إهتماماتهم.

الفصل الخامس

أهم الدراسات السابقة حول الإشاعة

أ- الدراسات المعملية

1. دراسة سميث Smith : قام سميث بدراسة الإشاعة للكشف عن إتّجاهات الناس نحو مضمونها، و اكتشف أن الصورة الأكثر تصديقا لها هي تقديمها على أنها أحداث قد وقعت، و استطاع بذلك تمييز سلوك الناس تجاهها.

2. دراسة ألبورت و معاونيه : قام ألبورت و ليو بوستمان بدراسة الإشاعة بهدف الكشف عن دوافع انتشارها و تعامل الناس بها، و وجد أن هناك تفسيرات حول تصديق الناس لها وفق ما تمليه عليهم ميولهم و مخاوفهم و رغباتهم و مصالحهم، و وفق ترديد الإشاعة و تكرار مضمونها، و لاحظ أن الذين يقرؤون التحاليل الصحفية حول الإشاعات في الجرائد، هم أكثر مناعة من غيرهم في تقبلها، و حققا بذلك تقدما كبيرا في استنباط الدوافع العميقة وراء انتشار الإشاعة و ارتباطها بالسلوك الإجتماعي[1].

3. دراسة روش و يونغ Ruch and Young : قاما بتتبع انتشار الإشاعة و مدى الإعتقاد فيها بين طبقات المجتمع و أثر الجنس و السن في تصديقها.

4. دراسة ناب Knapp : قام بتحليل ألف إشاعة بهدف تتبع دوافع نشرها و سريانها، و قدم تحاليل نفسية عن إصباغ الإشاعة بالأحاسيس[2].

5. دراسة باساغانا Ramon Basagana ، حول انتقال الإشاعة و تحريفها و الخصائص النفسية التي تتميز بها هاته العمليات، و أعطى توضيحات هامة عن دور الإسقاط في تلوينها و تأثير المحيط الإجتماعي في توجيهها[3].

---

[1] علم النفس و الشائعات، ص34.

[2] نفسه، ص35.

[3] مبادئ في علم النفس الإجتماعي - رامون باساغانا، ص80.

6. **دراسة محمود شتات** لسوسيولوجية الإشاعات سنة 1976، قام بها في قرية مصرية (البحيرة) بهدف اكتشاف الجوانب الإجتماعية للإشاعات و أثرها على العلاقات الإجتماعية في القرية و مقارنتها مع المدينة، و دورها في تحقيق التماسك و التوافق الإجتماعي[1].

7. **دراسة محمود السيد أبو النيل** بعد حرب العاشر من رمضان سنة 1973 للإشاعة في المجتمع المصري، و اكتشاف دواعي نقلها و نشرها[2].

8. **دراسة دي فلير De fleur عام 1962**: و فيها أكد تجارب ألبورت و بوستمان و النتائج التي توصلا إليها.

9. **دراسة دود Dodd 1955** : أعطى تفسيرا رياضيا لانتشار الإشاعة و رواجها و التغيرات التي تلحق بهما و فسر الإنتشار بالقانون التالي :

– الانتشار = قوة اللوغاريتم × عدد الأشخاص الذين نشرت الإشاعات في وسطهم

حيث D= الإنتشار ، و $D = a \log P$ و P هي عدد الأشخاص الذين نشرت في أوساطهم الإشاعة و a هي قوة تختلف نسبتها من حالة لأخرى.

و فسّر الرّواج على النحو الآتي :

D = الرّواج و Δ هي نسبة الرّواج و S هو قوة الإنتباه و b هي قوة و أس تختلف نسبته من حالة لأخرى. و الرواج هو :

$$\frac{\Delta D}{D} = b \log S$$

و فسّر علاقة الرّواج بالمسافة التي يرمز لها بالرمز L و هي بين مصدر الخبر و مكان إستقبالها، حيث نشخص الرّواج في هذه الحالة بالرمز I الذي يمثل التغيرات الناتجة أثناء التناقل، حيث :

$$I = \frac{C}{L\,m}$$

و كل من m و c قوتان تتعلقان بالحالة المدروسة، و هنا هما قوتا الرّواج و كل هذه القوى المشار إليها سابقا (a,b,c,m) تتعلق بالقدرة K التي تحدد الإنتشار في الوسط الإجتماعي، وبين

---

[1] علم النفس و الشائعات، ص64.

[2] نفسه، ص21.

دود الزمن في الإنتشار حيث أفاد أنه (K) يساوي عدد الإدلاءات T على الإنتشار K في وحدة زمنية يرمز لها بـ t حيث :

$$K = \frac{T}{Kt}$$

أما سرعة الإنتشار فقد فسرها على المنوال التالي : لتكن N مجتمع حيث تشكل p نسبة الأشخاص الذين تمّ إعلامهم و q نسبة الأشخاص الذين لم يتم بعد إعلامهم حيث :

$$.N = q + p$$

و تشكل K كما سبق عدد الإدلاءات و الإنتقالات بين p و q و t هي وحدة زمنية و d هي الإنتشار، و سرعة الإنتشار تمثّل بالنسبة التالية [1]:

$$\frac{dp}{dt} = Kpq \quad \frac{\text{الإنتشار في وسط من تم إعلامهم}}{\text{الإنتشار في وحدة زمنية معينة}} = \text{عدد الإدلاءات الحاصلة بين من تم إعلامهم و من لم يتم إعلامهم}$$

و في حالة ثبوت عدد الإدلاءات (K ثابت) فإننا نحصل على المساوات التالية :

$$pt = \frac{po}{po + qoe^{-kt}}$$ ، حيث p_0 هو عدد الذين تم إخبارهم في الزمن 0،

و K_0 هو عدد الذين لم يتم إخبارهم في الزمن 0،

و pt هو عدد الذين تم إخبارهم في الزمن t، الذي يمثل قيمة معينة

و K هو قوة الإنتشار الممثلة لعدد الإدلاءات.

و إذا تناقصت القيمة K تناقصا خطيا بالتوازي مع الزمن فإننا نحصل على تزايد توافقي خطي للقيمة K حيث :

$$pt = \frac{1}{1 + \frac{qo}{po}(t+1)^{-ko}}$$

و علق jean stoetzel على تفسيرات دود قائلا : لا يستدعي القلق إذا ما لاحظنا دخول الرياضيات لمجال علم النفس و ظواهر الإتصال، لأننا في الحقيقة بحضرة سلوكات عديدة، و كوّن دود نظرية علمية تفسر و تسمح بالتنبؤ.

---

[1] La psychologie Sociale, Jean Stoetzel, p 290.

و لكننا من جهة أخرى نتحفظ للنتائج التي توصل إليها دود حيث تبقى بعيدة عن تفسير إجتماعي و نفسي و ثقافي لسلوك نشر الإشاعات، و نتائجه تلغي دور الفرد في محاربته أو نشره للإشاعة، وأثر الحالات الوجدانية والنفسية والإجتماعية في توجيهها، و تجعل النسب و القيم الرياضية معيارا لتفسير رواجها، بينما تهمل القيم الإجتماعية و الإعلامية التي تخدمها، و مهما يكن فإن تفسيرات دود تبقى نسبية رغم اعتمادها على الأرقام فإنها لا تعكس حتما الحقيقة في الواقع بالدقّة التي تمثلها الأرقام[1].

التجارب الميدانية

1. ***تجربة ألبورت و بوستمان*** : أرادا من خلالها تفحص الأسس النفسية التي تعمل على تحوير و تشويه الإشاعة، و عيوب هذه التجربة تتلخص في استشعار الأشخاص بأنهم تحت المراقبة و الملاحظة مما يولّد لديهم نوعا من الحذر و التحفظ[2].

2. ***تجربة مورينو*** : أكد سرعة انتشار الإشاعة في الوسط المتشابك و بطئها في الوسط المفتوح، كما بيّن أن ناقلها هو شخص مهمّش بعيد عن أفراد الجماعة.

3. ***تجربة فستنجر Festinger 1948*** : ركز على دور الصداقة و الإهتمام في نقل الإشاعة، و استنبط أنها في غالبيتها تنتقل من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى في السلم الإجتماعي.

تجربة شاكتر و بوردك : أثبتا في دراستهما للإشاعة في وسط مغلق (إعدادية للبنات) أثر عدم الوضوح و عدم الوضوح المعرفي في انتقالها و تحريف محتواها، و نفس العوامل التي تعمل على نشرها تعمل على إثارة الإحتمالات و التخيلات التي تظهر إشاعات جديدة.

كما ميّزا أنها تسمع أكثر من مرة، و تنقل أكثر من مرة من قبل فرد واحد في شبكة الإتصالات الإجتماعية، و هذا يعزل التحريف، و هذا ما اختلفا فيه عن ألبورت و بوستمان، أمّا في تجربتهما التي قاما فيها ببث إشاعة خالية من التعقيد، قام الناقلون بنقلها لاهتمامهم بها و قلّة التسوية فيها مقابل كثرتها في الإشاعات المعقدة المنشورة، في حين نجد أن الناقلين في

---

[1] la psychologie social . jean stoetzel. p 292.

[2] علم النفس و الشائعات، ص36.

تجارب ألبورت و بوستمان يقومون بنقلها نتيجة لتعليمات المجرب، و قد ذكر هايام (Higham 1951) في تجربته على نحو ألبورت و بوتسمان أن التحريف يكون أقل عندما يكون المفحوصون مهتمين بالإشاعة[1]، كما يتيح الإنتشار العادي للإشاعة إلى الناس طرح التساؤلات لبعضهم البعض، بينما التجارب المعملية على نحو ألبورت لا تعطي الفرصة إلى المفحوصين لطرح التساؤلات و يكون الوقت ضئيلا بين سماع الإشاعة و نقلها، بينما يكون كبيرا في الحالات العادية، و تلعب الدوافع و التلقائية دورها في الحالة العادية بينما تلتزم الدقة و الإلتزام بنقل الوقائع كما هي في التجارب المعملية، و هذا ما يجعل منها لا تلم بالجوانب الحقيقية و الفعّالة في نشر الشائعة.

تجربة باساغانا : قام بها في الجزائر العاصمة، اختار عينة من الطلبة و قام بتجربته في وسط مغلوق تحت أعين الجمهور و توجيهاته، لكن رغم ذلك فإنه استطاع أن يستنبط و يخلص إلى نتائج مهمّة تتعلق بالتسوية و التحريف و الإساغة و تأثيرات المهن و المحيط الإجتماعي على انتقال الإشاعات و انتشارها.

و نحن أمام كل هذه الدراسات و التجارب نلاحظ نزوع كل باحث إلى تفسير علاقات الإشاعة بالسلوك الفردي و الإجتماعي، و تأثيرات النواحي العامة في الحياة على صياغتها، و نكتشف كذلك أهمية الموضوع الذي استدعى كل هاته الطاقات لتفسيره، و محاولة استثماره و التحكم في آلياته، إدراكا لخطورته في ميادين الحياة.

و ظهر توجه جديد للباحثين العرب خاصة بعد إدراك فاعلية الإشاعة و أثرها العميق على حياة الناس، فحاولوا تفسير النتائج و الأبحاث و الدراسات الغربية ثم القيام بالتجارب الميدانية و المعملية على منوالها، و دراسة الإشاعة في الوسط العربي و ربطها بالسلوك الإجتماعي و الثقافي و النفسي.

و ذهب باساغانا إلى تحليل ميداني للإشاعة من خلال تجاربه، لكن النقض الذي يشوب الدراسة كونها أجريت بلغة أجنبية، و ما لهاته الأخيرة من أثر على إدلاءات الأفراد حيث يجدون من الصعوبة التعبير عن كل الأحاسيس و الميول و الأوضاع و إيصالها إلى المجرب إضافة إلى قصور المجرب في فهم كل السلوكات المرتبطة بالعادات و التقاليد وطرائق

---

[1] علم النفس و الشائعات، ص63.

التفكير لدى الجزائريين، و بصفته أجنبي عن سلوكات حياة المجتمع الجزائري، وقصر اللغة الفرنسية في تجسيد الطابع الثقافي والإجتماعي والنفسي لدى الجزائريين، دعاني هذا الحافز إلى القيام و لو بتجربة بسيطة تماثل التجرب التي قام بها باساغانا محاولة لفهم سلوك فئة أو عينة من المجتمع، حول الإشاعة، و مع قلة الوسائل، إلا أنّ هذا النقص قابله حافز قوي هو توفر الأجواء و الظروف المناسبة لانتشار الإشاعات و سريانها.

دراسة إشاعة في وسط مغلق (ثانوية مختلطة)

اقتضى الموضوع محورا يوظف الأنماط التفسيرية للإشاعة و إظهار فعاليتها في اكتشاف آليات حدوثها وانتشارها.

و مهما حاولنا تفسير الظاهرة بكل محاورها، و في ظل المحيط الإجتماعي و النفسي و الثقافي، فإنها تبقى غامضة غموض التفكير البشري و يظل عالم الأحاسيس و اللاشعور يؤثر في مجرى حدوثها، مما يجعل تفسيرها بعيدا عن الدقة و الصرامة لاستخلاص النتائج، و التجربة التي قمت بها مع التحاليل المعنوية للنتائج التي تحصلت عليها بعد التجربة تحاول في مجملها اختبار ما توصل إليها بعض الباحثين في هذا الميدان.

و قد اختير لهذا الغرض موضوع روعي في انتقائه جوانب مهمة، تساعد على تقبله و هضمه عند السامعين زيادة على أهمية في حياتهم و وزنه عند فئة الشباب، و يتعلق الأمر بموضوع الخدمة الوطنية التي يرى فيها كثير من الشباب عقبة رئيسية يجب تخطيها لبناء المستقبل، و تحسب لها الحسابات خاصة عند تقدم سن أدائها، و إدراك أهمية الوقت في الحياة و في تحقيق الإستقرار و الطموح الذي يحلم به كل الناس.

و الأهمية بالغة في موضوع الإشاعة المختارة، فالشباب يطمح إلى منصب عمل و بيت سعيد و استقرار في الأحوال الإجتماعية و النفسية و المادية، و يرى في أداء الخدمة الوطنية حاجزا يجب تأديته و إزالة تأثيره على مجريات الأمور في الحياة الإجتماعية.

و الغموض الذي يشوب الموضوع هو أنه يوجد أخبار و حكايات تفيد أن الهيئات المسؤولة تريد التخفيض من مدة الخدمة الوطنية، و تنسب هذه الإرادة أحيانا إلى هيئات رسمية، و أحيانا إلى أحزاب و شخصيات، و أحيان تنسب إلى أقاويل الناس و افتراءاتهم،

كما أن المدة المخفضة تحدد من قبل ناشري هاته الأخبار، و حتى نؤكد صورة النص و ننطلق من الملموس عرضنا الإشاعة في شكل مكتوب و على أنها خبر رسمي يتداول دراسته مسؤولون في الدولة، و نصّ الموضوع وشكله كما يلي :

تطبيق :

"نشرت جريدة الجمهورية في عددها الصادر يوم 97/11/24 في صفحة الأحداث الوطنية خبرا نصه كالآتي :

بمبادرة من بعض النواب المجلس الشعبي الوطني الذين ينتمون إلى كتلة المعارضة تم تقديم مشروع قانون للمناقشة، يتعلق بتخفيض مدة الخدمة الوطنية مع إعفاء بعض الفئات من أدائها، و ذلك ابتداء من الفاتح جانفي من سنة 1998.

غير أن مشروع القانون قوبل بالرفض من مجموعة كبيرة من النواب يمثلون كتلة سياسية أخرى، و برّر أحد النواب الذين رفضوا المشروع ذلك بأن مشروع القانون لم يكن مسطرا في برنامج الحملة الإنتخابية الرئاسية.

و ختمت الجريدة المقال معتبرة أن هذا الموضوع يمكن أن يكون هو المفاجأة التي وعد بها الرئيس زروال الشبيبة".

و علة تقديم الخبر على صيغة رسمية تستند إلى مرجع هو جريدة الجمهورية و بتاريخ محدد و صفحة معينة، هو إيهام القارئ بأنه يجب التعامل مع الخبر بشيء من الواقعية والتأكيد على ضرورة اتخاذ النّص مرجعا و قاعدة لتحليل المحتوى، في حين عرض على القارئ في شكل تطبيق، و العينة التي تم التطبيق معها هي عبارة عن مجموعة أشخاص من أقسام السنة الثالثة ثانوي، و برمج هذا النص في حصة الحقوق و الواجبات في برنامج الفلسفة، حتى لا يحس الأشخاص بنوع من التخوف و الحذر في التعامل مع التفاصيل، و تركت لهم الحرية في إبداء الرأي و نقل المعلومات باستعمال الإشارات و الرموز أو التعبير بالفصحى أو الدارجة.

و المجموعات متكونة من خمسة عناصر يقوم الشخص الأول بقراءة النص مكتوبا، ثم يسحب منه بعد القراءة، و يطلب منه نقل المعلومات و التفاصيل شفهيا إلى الشخص الذي يليه مباشرة، في شكل سلسلة حتى يصل الخبر إلى الشخص الخامس، و الشيء نفسه مع المجموعات الخمسة التي تشكل العينة التي يتمّ التجريب معها، و بما أن الأشخاص المعنيين

بهذا الخبر هم الذكور خصصت مجموعتان للذكور و مجموعتان تتشكلان من ذكور و إناث، و مجموعة أخرى تتكون من الإناث فقط، و ذلك للتمييز بين الأثر الذي يتركه الخبر في نفس الناقل و مدى تفاعله معه وفق ما يشكله الجنس من أهمية.

و طلب في الأخير من كل شخص بما فيهم الذين قرؤوا الخبر إعادة كتابته و تدوين ما تم إخبارهم بـه في أوراق، دون اللجوء إلى طرح التساؤلات إلى الآخرين، و دون التعامل معهم في إعادة كتابة النص.

و هذه الطريقة هي التي اعتمدها رامون باساغانا في استنباط التشويه الذي يلحق الخبر أثناء تناقله، و الكشف عن كيفيات حدوث الزيادات و الحذف و إعادة الصياغة و الإسقاط، و غيرها من العمليات و المفاهيم التي من شأنها أن تحدث الإشاعات و تزكي انتشارها و استفحالها.

و كيفية التعامل مع النتائج المتحصل عليها تقوم على إثبات مدى فعالية النتائج التي توصل إليها الباحثون في علم النفس الإجتماعي، في تفسير حدوث الإشاعات، خاصة ما خلص إليه باساغانا في تفسيره لميكانزمات تكوينها، و دور الذاكرة و السلوكات الإنسانية و الملامح الفيزيولوجية و اللاشعور في اصباغها بلون من المعقولية و طابع يحمل آلام و آمال الأفراد و الجماعات، ثم أثر النسيان و الدوافع و المثيرات و التطلع و غيرها من العوامل في توجيهها و تحويل مجراها أثناء تناقل الخبر.

و من جهة ثانية حاولت تجسيد ملامح البحث النظرية و إظهار الطابع الثقافي الذي تمتاز به الإشاعة في المجتمع الجزائري و أثرها عليه و مكانتها فيه، و دور الفرد في التأثير بها و تسخيرها لتحقيق أغراضه النفسية و أهدافه و ضرب مصالح الآخرين، و توجيهها ضدهم.

و بعد ذلك، البحث عن قيمة الإشاعة في الأوساط الإجتماعية من خلال العينة المتمثلة في الطلبة و الذين يمثلون نماذج حية من شرائح المجتمع، خاصة و أن حقيقة الخبر هي أنه مجرد إشاعة لها صفاتها المميزة عن غيرها من الإشاعات، و الأمثلة و العينات التي نستشهد ونجرب بها هي للتمثيل و القياس فقط.

و موضوع الإشاعة المدروسة يهم شرائح عريضة من المجتمع، و قد انتشرت إشاعات موازية تفيد مضمونها، و السبيل من تكرارها على آذان الطلبة هو إعطاؤها صبغة رسمية، أي

تأخذ شكل خبر أكيد و وقائع قد حدثت، حتى يسلم الناقلون بصحتها و يعملون على نقل تفاصيلها دونما تردد أو شك في حقيقتها، لأجل توضيح التعامل معها و الموقف الذي يتخذوه تجاهها إما معارضتها أو يصبحوا عملاء لها.

و تم تقسيم موضوعها إلى جملة من التفاصيل تتكون من عشرة عبارات تحمل الدلالات و الخطوط العريضة التي تنطوي عليها، و تستقل كل عبارة بدلالتها عن غيرها، و هي في شكل عناصر إخبارية.

عناصر الاشاعة

العنصر الأول : يضم مصدر الخبر و هو جريدة الجمهورية.

العنصر الثاني : هو صفحة الأحداث الوطنية.

العنصر الثالث : يتمثل في التواريخ و تضم تاريخ صدور الجريدة (97/11/24)، و تاريخ فعالية الإقتراح وهو الفاتح من جانفي1998.

العنصر الرابع : مبادرة نواب المجلس الشعبي الوطني.

العنصر الخامس : ينتمون إلى كتلة المعارضة.

العنصر السادس : تقديم مشروع قانون.

العنصر السابع : يتعلق بتخفيض مدة الخدمة الوطنية مع إعفاء بعض الفئات منها.

العنصر الثامن : قوبل المشروع بالرفض من قبل مجموعة نواب.

العنصر التاسع : برّر أحد النواب الرفض، بأن المشروع لم يكن مبرمج في الحملة الإنتخابية الرئاسية.

العنصر العاشر : خاتمة الجريدة التي أشارت إلى أن المشروع،" يمكن أن يكون المفاجأة التي وعد بها الرئيس زروال الشبيبة".

و هذه العناصر إنّما تشكل المضامين الأساسية التي تكوّن الخبر، و التي من شأنها أن تتعرض للتأثير بفعل انتقالها من شخص لآخر، لذلك تم ترتيبها و ترقيمها حتى يسهل تمييزها و اثبات موقعها في الإدلاءات و الأجوبة واستكشاف ما يطرأ عليها من تعديل أو تغيير،

إضافة إلى تفادي التكرار للعنصر و الإكتفاء بذكر الرقم الذي يمثله، أما الأشخاص الذين تداولوا الخبر و تناقلوه، ثم دونوا ما سمعوه أو قرءوه على الأوراق فإنه تم الإشارة إليهم بحروف، حتى يتميّزوا عن العناصر الإخبارية التي تشكل النص، و قد انتقيت العناصر اللازمة للقيام بالتجربة و التي أشار إليها كل من ألبورت و ليو بوستمان و باساغانا و جدوارد و غيرهم في تجاربهم، من أرقام و أسماء شخصيات و هيئات، و التي خلص معظمهم إلى إثبات فعاليتها في تناقل الخبر و قوة تأثيرها في الإستعادات و التذكر، و كذلك أهمية الموضوع بالنسبة للشباب التي تمثل مثيرا حقيقيا للعواطف و الأحاسيس و الأفكار.

و في بادئ الأمر تم قراءة النّص قراءة سريعة و طلب من الحاضرين بعد تمرير النّص شفهيا في شكل سلاسل، استعادة التفاصيل و الأفكار التي انتقلت إليهم، و بعد ذلك تم التعامل مع الأجوبة و الإستعادات الكتابية على منوال رامون باساغانا، إلا أنه كان من الضروري تشكيل مجموعات متباينة في الجنس حتى يظهر تأثير عنصر الأهمية في الإستعادات و الإنتقالات و اختبار التباين في نقل الخبر عند الذكور و الاناث.

و قد شخصت الإستعادات و مُثّل لها بجدول يعتبر اختصارا لخمسة جداول تمثل كل مجموعة من الأشخاص، و قد أعطيت أرقام من 01 إلى 10 لمجموعة العناصر التي انطوى عليها موضوع الإشاعة، و مُثّل الأشخاص الأوائل في كل مجموعة بالعنصر (أ)، و الأشخاص الذين يتموقعون في الرتبة الثانية في كل مجموعة أعطي لهم العنصر (ب)، و الموجودون في المرتبة الثالثة العنصر (جـ) و الرابع في كل مجموعة العنصر (د) و أواخر العناصر في المجموعات الخمس العنصر (هـ).

و بعد ذلك تم إحصاء العبارة أو الدلالة الأولى الممثلة برقم 01 عند العنصر (أ)، و كتابة عدد الإستعادات التي ظهرت في الردود الكتابية، أي أن العبارة 01 استعادها مثلا شخص واحد من بين كل العناصر أو الأشخاص الخمسة الممثلين بالحرف (أ)، الذين هم في مقدمة المجموعات، و بعد ذلك تمّ احصاء العبارة 02 عند الأشخاص الموجودين كذلك في المركز الأول و الممثلين أيضا بالحرف (أ)، و هكذا إلى أن يتم إحصاء جميع العبارات العشر مع الأشخاص الممثلين بالحرف (أ)، ثم إحصاء العبارة 01 مع الحرف (ب) الممثل لمجموع الأشخاص الموجودين في المركز الثاني من كل مجموعة، و الشيء نفسه مع العبارات الأخرى،

و هكذا إلى أن يتم إحصاء كل العبارات مع كل العناصر التي تمثل المجموعات الخمسة، وفق ترتيبها في كل مجموعة.

و فائدة ذلك هي استنباط أهمية العناصر و وقعها على العقول و ثبوتها أو زوالها، و قيمتها بالنسبة إلى الموضوع و عند الأشخاص، و تم في الأخير التحصل على الجدول الآتي:

التفاصيل الأشخاص	I	II	III	IV	V	VI	VII	VIII	IX	X
أ	1	2	0	2	1	3	5	4	5	5
ب	1	1	0	1	0	2	5	3	0	4
جـ	1	2	0	0	0	0	5	5	0	3
د	0	0	0	0	0	0	5	2	0	1
هـ	0	0	0	0	0	0	5	2	0	0
المجموع	03	05	00	03	01	05	25	16	05	13

الشكل "1" : إستعادة تفاصيل الموضوع الممثلة بالأرقام الرومانية

من قبل الأشخاص المشار إليهم بالحروف.

و تمثيل العناصر لا يخضع لترتيبها في النص بل يكفي ظهورها عند القائم بالإدلاء الكتابي حتى يتم إحصاؤها، و الجدول يساعد كثيرا على تتبع مسار المعلومات و تحولها في المراحل الخمسة، كما يُظهر أهمية العناصر من خلال بقائها أو اختفائها و تحولها.

و من خلال الجدول البياني الذي يلخص مجرى التحولات التي خضعت لها العناصر الإعلامية المقدرة بعشرة، نميز أن عناصر قد اختفت كلية في الإدلاءات الأخيرة و أخرى إختفت منذ الوهلة الأولى، و لا يرجع ذلك إلى كثرة العناصر الإعلامية، بل إلى الأثر الإعلامي و النفسي الذي يمكن أن تتركه هذه العناصر في ناقليها وفق أهميتها، هو الذي يحدد لزومها و ضرورتها أو الإستغناء عنها.

فالعنصر الأول و هو مصدر الخبر المشار إليه بجريدة الجمهورية قد اقتصر ذكره ثلاث مرات في خمس مجموعات، أي عند ثلاثة أشخاص فقط، ربما يرجع ذلك إلى قلة الإهتمام بالجرائد، و انتشار وسائل الإعلام السمعية البصرية في المجتمع و تلبيتها لمتطلبات الإخبار، مما يجعل الإهتمام بالجرائد يقل، و ربما يرجع ذلك إلى قلة رواج الجريدة و ضيق مجال انتشارها

و محدودية قرائها، أو ربما يكون ذلك لغلاء ثمنها و عدم استحواذها على اهتمام الرأي العام، لكن هناك تفسيرات أخرى من شأنها أن توضح الإجابة عن سبب إهمال إسم الجريدة، خاصة و أن ذكره ورد في إدلاء بنتين و ولد واحد.

و ذلك يرجع في نظري إلى الميل إلى الإختصار من جهة و الإكتفاء بما هو مهم في نظر القائم على الإدلاء، أو ما يشكل نقطة اهتمام عامة الناس، و لذلك لا مكان لأهمية الجريدة أو المصدر أمام أهمية الموضوع، فالتسليم بالإشاعة و العمل على نقلها و شرح فحواها يستلزم الدخول في تفاصيلها دون الإطناب في ذكر التفاصيل الثانوية التي لا تؤثر في افتقار أو إثراء الموضوع.

و ليس كثرة الجرائد مبررا لنسيان ذكر الجريدة، لأن الحدث لو تعلق بالجريدة نفسها و دار موضوع الإشاعة حولها، لكانت إحتمالات ضياع إسم الجريدة قليلة، لأن الذاكرة تستعيد ما رسخ عليها من ذكريات و صور، وفق قوة المؤثر الذي يؤثر فيها و مدى الإهتمام بتلك الصور و الأحداث.

و الملاحظ أيضا في النص أن التواريخ لها موقعها المهم في تحديد الأحداث و تخصيص زمن وقوعها، و لعل اتجاه النص إلى الإفتقار قي ذكر التواريخ و تحديد الزمان، إنما يرجع أساسا إلى لغة الأرقام التي يصعب حفظها في مدة زمنية وجيزة، و ما ظهورها في بعض الإدلاءات خاصة في أوائل السلاسل الإخبارية، إنما مرده إلى محاولة الناقلين الإلمام بجوانب النّص و ذكر التواريخ تحديدا لأزمنة وقوع الحدث أو قرب وقوعه، و مما يميز كذلك أن الأيام و الأشهر لم ترد إلا مرة واحدة في الإسترجاعات و لم يظهر لها أثر عند باقي الأشخاص، و هذا يرجع لدور المهنة و الإختصاص في التركيز على نوع من التفاصيل و محاولة إظهارها، فالتجربة أقيمت في قسم العلوم الإنسانية و مقاييس الدراسة تخلو غالبا من الأرقام و التعامل بالنسب و الأعداد، بينما من لهم دراية و ميل إلى التعامل بالنسب ركزوا على الأعداد و فيما بعد ظهر أن الشخص الذي أدلى بالتاريخ الذي يفترض تطبيق مشروع قانون التخفيظ فيه، إنما ركز على ذلك لمستواه الجيد في الرياضيات فيما سبق، و أيضا لأن والده يشتغل تاجرا.

في حين لوحظ إهمال تاريخ صدور الجريدة كلية، و الإستعادات الأخرى التي ظهرت فيها التواريخ، كلها تتعلق بتاريخ بداية تنفيذ القرار مع إهمال اليوم و الشهر إلا في حالة

واحدة، و اقتصر الأشخاص على ذكر السنة فقط و هي سنة 1998، و علة ذلك أن السنة المشار إليها قريبة من تاريخ إجراء التجربة، لذلك لم يجد بعض الناقلين عناء في استعادتها، و ربما يكون الدافع إلى ذلك هو الرغبة في تأكيد الإشاعة و الدفاع عنها و العمل على ترويجها حتى يتم الإعتقاد فيها، لتوفر شرط المصلحة المهمة عند التأثير بها.

لكن ربما لم يكن الحال كذلك إذا ما كان التاريخ بعيدا عن زمننا، و من منا لا يدرك أهمية الأحداث التاريخ بالنسبة لتغيير مجرى الأحداث الإنسانية، فمثلا كلنا يعلم بمعركة نافارين التي منيت فيها الدولة العثمانية بالهزيمة، و من منا لا يعرف غزوة الخندق ؟، لكن القليل و القليل من يركز على تاريخ وقوعها، لأثر عامل النسيان من جهة و اكتفاء الناس بذكر الحادثة لشهرتها، مما يغني عن تحديد الزمن و حتى المكان أحيانا.

و من ذلك نستنتج أن أهمية الموضوع ليست هي وحدها التي أوجبت المحافظة على زمن الحدث، و لكن أثر الذاكرة قوي هنا، لقرب الإستعادة من زمن نشر التفاصيل و كذلك لمعاصرتنا الحقبة الزمنية التي تجري فيها الأحداث، و لم يرد باساغانا ذلك إلى عجز الوسائط الناقلين للخبر بل إلى ضعف الذاكرة و التفاعل الحاصل أثناء عملية التواصل، و تسوية ما ليس له أثر على النص[1].

و قيمة صفحة الأحداث الوطنية في جريدة الجمهورية لم تنل أدنى اهتمام أو أثر لدى الناقلين، حيث أهملت كلية منذ الإستعادات الأولى، و هذا طبعا ليس بفعل النسيان وحده و إنما يدخل هنا فعل التسوية للتفاصيل التي ليست أساسية، و قد ركز معظم الناقلين على الحدث الذي ينطوي عليه الموضوع مع إهمال كلي لمثل هاته التفاصيل التي تعمل على تخصيص المصدر، لكن عدم التأكيد عليه و قلة استعادته أصلا، يعود كذلك إلى الإهتمام بالموضوع الذي يلفت الإنتباه. و يعمل عملاء الإشاعة على تعديل النّص بإهمال أجزاء منه خاصة المصدر حيث تصاغ في شكل يوهم السامع بأنها خبر أكيد و متداول لدى معظم الناس و ليس بحاجة إلى توثيق، و قد توصل باساغانا في هذا الجانب إلى تفسير هذا التغيير في استعادة التفاصيل إلى نفس النتائج التي توصل إليها كل من ألبورت و بوستمان، و تتمثل في

[1] مبادئ في علم النفس الإجتماعي، ص49.

رد تلك التغيرات إلى اعتبارات التسوية و الإبراز و التمثيل، و تسوية عنصر الصفحة يدخل في اعتبار التسوية للتفاصيل غير الأساسية.

و الشيء الملاحظ أيضا أن العنصر الرابع المتمثل في مبادرة نواب المجلس الشعبي الوطني، و العنصر الخامس المتعلق بإنتماء بمجموعة النواب الذين عارضوا المشروع إلى كتلة المعارضة، تعرضا لتسوية كبيرة منذ الاستعادات الأولى، و غالبا ما تحول هذين العنصرين إلى معلومات أخرى تنسب الأول إما إلى المجلس نفسه، أو تنسبه إلى رئيس الجمهورية، أما عن انتماء النواب إلى كتلة المعارضة فإنها تحولت إلى رجال سياسيين و إلى وزراء في الحكومة، و أحيان نسب المشروع إلى رئيس الحكومة دون ذكر اسمه على غرار رئيس الجمهورية.

و هذا التعديل الذي طرأ على هذه التفاصيل إنما مرده إلى غايات و حاجات عند الناقلين أهمها إصباغ المشروع بصبغة رسمية، و نسبته إلى رجال السياسة و الدولة، إنما يدل على الأمل الذي تعقده فئة الشباب في هؤلاء الناس لتحقيق هذا المشروع، فمعظم الأشخاص الذين جرت معهم التجربة معنيون بالخدمة الوطنية، و في ظل المرحة التي تمر بها البلاد من تغيرات و بناء لصرح القانون و الدولة، يأمل هؤلاء الشباب في الإلتفات إليهم و مساعدتهم لتسوية مشاكلهم، و لعل التأثيرات الإجتماعية و الظروف التي تمر بها الشبيبة لعبت دورها في التمثيل الذي أشار إليه ألبورت و بوستمان و التي يحول فيها ناقلوا الإشاعة التفاصيل إلى ما يطمحون أو يميلون إليه، و ينسبون الأحداث إلى من يحبهم أو ينبذهم وفق معيار المصلحة، و الميول النفسية، و التأثيرات الإجتماعية.

و قد أشار كتاب R.H. Knapp إلى أهمية الحالة الوجدانية للفرد و الجماعة في دينامية الإشاعة و حركيتها[1].

و لعل الإنتقال من القاعدة إلى القمة في نسبة المشروع دليل على التأكيد الذي حاول الناقلون إظهاره، و هو أن المشروع أكيد و ضروري، و ما إهمال العنصرين الرابع و الخامس تدريجيا و تحولهما إلى هيئات أخرى و شخصيات كفيل بفهم نية الناقلين بإصباغ الموضوع بشيء من المعقولية و تطلعهم إلى السمو به إلى درجة كبيرة من الأهمية.

[1] مبادئ في علم النفس الاجتماعي، ص50.

و نجد كذلك أن اعتبارات التسوية للعنصر السادس نالت قسطا كبيرا منه حيث تكرر مرات قليلة في بداية سلسلة الإنتقالات و تم تسويته نهائيا في آخر المطاف، وقد تعلق بتقديم مشروع قانون، و أصبح هذا المشروع في بعض الإدلاءات قانونا، و بعضها الآخر قرارا رئاسيا، و أحيانا اقتراح، لكن الغالب في الإستعادات هو مصطلح قرار، لما ينظر فيه الناقلون و سيلة للبت في الموضوع، لأن تجسده في شكل قرار قابل للتنفيذ أحسن من أن يكون مشروعا يفتقد للفعالية في الوقت العاجل، أو قانونا يمكن تجميد تطبيقه أو التماطل في ذلك، و القرار الرئاسي له وزنه الخاص في نظر المستعيدين.

و الملاحظ في كل الإدلاءات أن الموضوع الرئيسي للإشاعة بقي، و تم الحفاظ عليه في كل الإدلاءات لأهميته في النص، و اعتباره المحور الذي تصب فيه كل التفاصيل الأخرى، و قد طرأت تعديلات مهمة عليه حيث تم في بعض الحالات تحديد مدة الخدمة الوطنية بسنة أحيانا، و أحيانا خمسة عشرة شهرا و أحيانا ثمانية عشرة شهرا، و تحول الإعفاء لبعض الفئات من أدائها إلى المنع من أدائها، و ربما يرجع ذلك إلى الفقر اللغوي في التعبير عن عملية الإعفاء، و على العموم لم ترد إلا حالتين من هذا القبيل، و حالة أخرى تشير إلى تخيير الشباب لأداء الخدمة الوطنية أو الإعفاء منها.

و هذا العنصر هو أوفر العناصر و أكثرها ثبوتا في الإستعادات، و حقق وجوده في كل الإدلاءات، و ذلك راجع لأهميته من جهة و غموض الوضعية التي يوجد عليها، و بذلك حاول كل الأشخاص توضيح العنصر و اعطاء تفسير واقعي له يثبت وجوده و يشرح كيفية وجوده، و تحت أي نطاق يطبق، في شكل مشروع قانون أو اقتراح أو قرار، لذلك اهتم الأشخاص به و اكتفوا أحيانا بذكره وحده في شكل صدور قرار رئاسي يوجب التطبيق الصارم و السريع، و يدل ذلك على الأهمية التي لا توجد في العناصر الأخرى و التي حضي بها في موضوع الإشاعة هذا العنصر دون غيره، و حتى التفسيرات و التبريرات الأخرى إنما صيغت و حددت أهميتها في ضوئه.

أما العنصر الثامن المتعلق بالرفض الذي قوبل به المشروع داخل البرلمان، فإنه غالبا ما ظهر في الإدلاءات بصيغ مختلفة، تطبعها الزيادات و التبريرات التي لم ترد أصلا في النص، و من ذلك أن المشروع رفض لأنه لم يرد في الدستور أو أنه رفضه البرلمان أو رفضه رئيس

الحكومة أو المجلس الوزاري أو حتى شخصيات سياسية لم يشر إليها ناقلوا الإشاعة بالأسماء.

و ترجم هذا العنصر جليا عملية الإسقاط التي أفرغ فيها أصحابها جام سخطهم على الهيئات و الأشخاص و المجالس التي رفضت المشروع و تحميلها المسؤولية، خاصة و أنهم في الغالب أشاروا إلى أن المشروع هو قرار رئاسي، و في هذا العنصر أكدوا أيضا الهيئة التي عارضته، و أعطوا تبريرات في العنصر التاسع جد قليلة، حيث اختصرت في الغالب على العناصر الأولى في كل سلسلة ممثلة في العنصر (أ) بينما أهملت في باقي الإستعادات مع العناصر (ب) و (جـ) و (د) و (هـ)، و ربما علة ذلك هو الميل إلى الإختصار و عدم الدخول في التفاصيل الزائدة أو أن الغرض من ذكر المعارضين دون إيجاد حجج لمعارضتهم، يضعهم في موقع اتهام خاصة و أن فئة عريضة من الشباب تستفيد من القرار أو المشروع في نظرهم.

و عن قصد أو غير قصد تحاول فئة من الشباب التي أقيمت التجربة معهم الهجوم بالإشاعة على المعارضين لتطبيق المشروع، و كل طرف يحاول اتهام الخصم مباشرة بذكره، و أحيانا كانت الحكومة هي المعارضة و أحيانا المجلس الشعبي الوطني و أحيانا شخصيات سياسية، و غالبا مع ابتعد الناقلون عن التبريرات التي لم تظهر أصلا، فيما عدا العناصر الأولى القائمة على الادلاء، و هذا ربما لأنهم قرؤوا نص الإشاعة و كانت حظوظ الحفاظ على التفاصيل كبيرة، مقارنة مع الذين لم يقرؤوا النص، و تعاملوا مع ما سمعوه من تفاصيل.

و عموما فإن القراءة الأفقية للشكل تثبت أننا كلما تفحصنا الإستعادات من العنصر (أ إلى هـ) فإننا نلاحظ النقص التدريجي للتفاصيل، و هذا يرجع إلى أن قراءة النص و سماعه عند العناصر (أ) ساعدت كثيرا على الحفاظ عليه بأكبر قدر من التفاصيل إلا في حالات قليلة، مع ما اعتقده القائمون بالإدلاء أنه يشكل تفاصيل ثانوية مثل العبارات رقم 1، 2، 3، 4 و 5، التي تعطي معلومات عن مصدر المشروع و الهيئة التي تدرسه و تعالجه.

و العنصر العاشر في مجموعة التفاصيل تم الحفاظ عليه بنسبة كبيرة لأنه تضمن اسم شخصية رئيس الجمهورية، و مصطلح المفاجأة الذين ركزا عليهما الأشخاص القائمون بالإستعادات، و نادرا ما تم إهمالهم إلا في الحالات الأخيرة مع الأشخاص (د و هـ) الذين يشكلون مؤخرة سلسلة الإنتقالات.

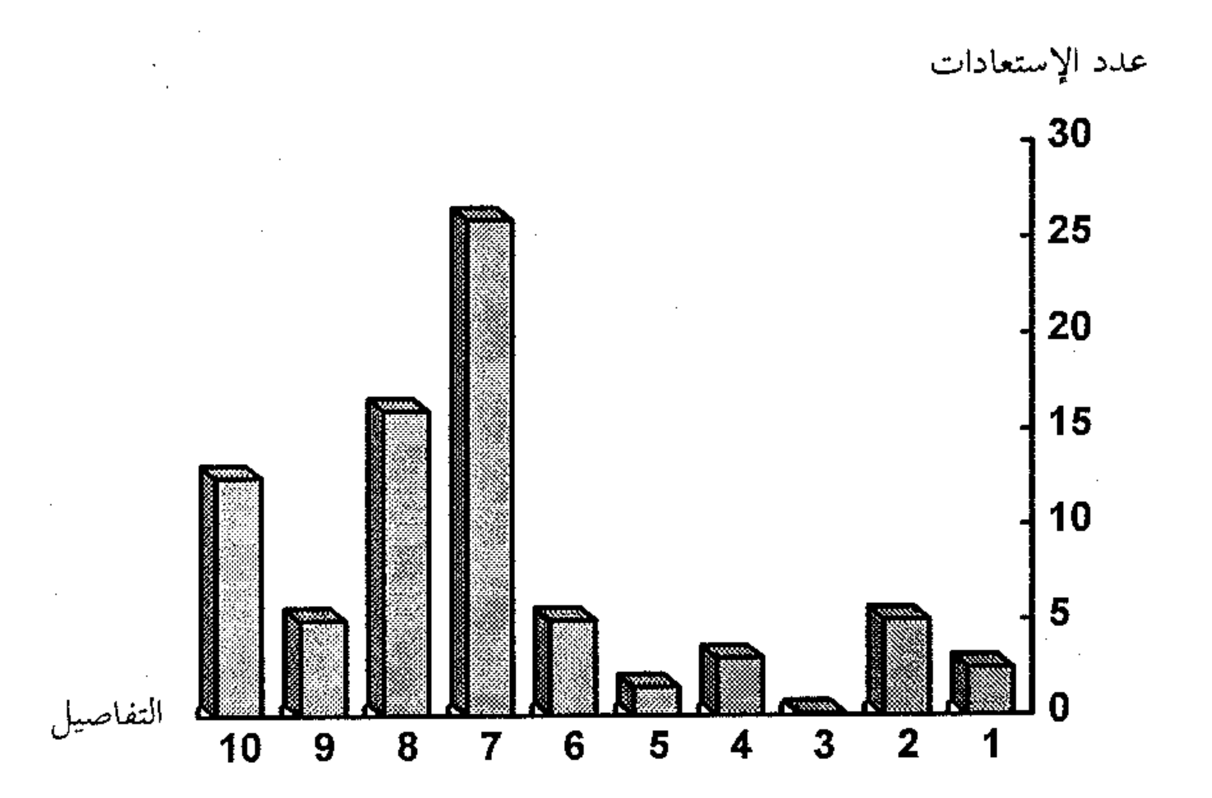
و هذا ما أكده كل من ألبورت و بوستمان و باساغانا في نتائج تجاربهم حيث أكدوا أن حظوظ أسماء الأعلام المعروفة و المشهورة، في الظهور و الإستعادات قوية، لأنها لاصقة في ذهن المستعيدين و يقترن وزنها بالمنصب الذي تشغله في الحياة العامة و بالإسم الذي تعرف به.

لكن لم يسلم شخص رئيس الجمهورية من التسوية و استبداله برئيس الحكومة، خاصة في أواخر الإنتقالات، و ربما كان ذلك لتأثر هؤلاء بشخص رئيس الحكومة و شهرته أكثر من شخص رئيس الحكومة، أو اعتقادا منهم في إسناد صلاحيات هذه المشاريع وتنفيذها له و لحكومته.

و قد أصبحت كلمة مفاجأة في كثير من الإدلاءات حقيقة، حيث أشار إليها أغلب المستعيدين بأن المشروع هو مفاجأة رئيس الجمهورية، و أصبحت كلمة وعد في قائمة الكلمات التي تم تسويتها، و انتقل العنصر العاشر من منزلة الإحتمالات التي عبر عنها بلفظة ربما إلى منزلة الحقيقة، و التأكيد عليها بالفعل (أصدر) رئيس الجمهورية قرارا يعتبر مفاجأة للشباب، و هنا يظهر الميل و الرغبة في تأكيد الخبر و جعله حقيقة و إلغاء كل الإحتمالات التي تثير الشك حوله.

و تأكد بذلك رأي مويهي Muhy الذي يعتبر فيه الإشاعة ملتقى لما هو سيكولوجي و إجتماعي[1]، و ذلك لإبراز ميول و رغبات الأشخاص الذين أعادوا صياغة النص في تأكيد القرار في نظرهم و إبعاد كل إحتمالات الشك في عدم وجوده، و دافعهم في ذلك مصالحهم الخاصة و محاولة جمع الرأي العام حول الموضوع، و تظهر أهمية التفاصيل عند الأشخاص في الشكل رقم 02 الذي يجسد مدى الإحتفاظ بها أو ضياعها لعلة دفعت إلى ذلك وفق عدد الإستعادات.

[1] مبادئ في علم النفس الإجتماعي، ص54.



الشكل رقم : 2 نسبة استعادة التفاصيل و مدى ضياعها.

و القراءة الرقمية للمخطط البياني تثبت ما توصل إليه باساغانا في تجربته مع طلاب المدرسة العليا للتجارة و معاهد أخرى، من أن 79,5 % من التفاصيل تضيع خاصة في المراحل الأولى للإستعادات مع العناصر الثلاثة الأولى، و قد شكلت نسبة التفاصيل الضائعة في هذه التجربة وفق نتائج الشكلين (1 و 2) 69,6 % من مجموع التفاصيل و لم يبق إلا نسبة 30,4 % و قد ضاعت نسبة كبيرة منها في الإدلاء الأول و الثاني و الثالث و لم تصل إلى العناصر الأخيرة في المجموعات القائمة بالإدلاء إلا نسبة قليلة منها تدخل في تركيب قصة قصيرة كما أشار إلى ذلك باساغانا[1]، يحتفظ فيها بما هو أساسي في نظر الناقلين، و هذا ما تحصلنا عليه أيضا في هذه التجربة من أن أكثرية الأشخاص الموجودين في مؤخرة السلسلة صاغوا حكاية قصيرة لا يبتعد كثيرا محتواها عن الصيغة التالية :

أصدر رئيس الجمهورية اليمين زروال قرار يتعلق بـ :

- التخفيض من مدة الخدمة الوطنية.
- اعفاء بعض الفئات منها.

و قليلا ما تضاف عبارة -و هي المفاجأة التي وعد بها الشباب-.

و ضياع التفاصيل مس العناصر الإخبارية التي تعد تنميقا أو تفاصيل غير أساسية لا تؤثر في تغيير الموضوع أو النقص من أهميته مثل اسم الجريدة، الصفحة التواريخ و الهيئات، السبب المقترح لتلك المعارضة، ثم مس بعض التفاصيل الأساسية مثل المجلس الشعبي الوطني، رفض المشروع، حيث تم التركيز عليهما في الإدلاءات الأولى بينما ضاعت نهائيا عند الأشخاص في الموقع الرابع و الخامس من كل مجموعة، و من هنا -أي إدلاء الشخص الرابع في كل سلسلة- بدأت الحكاية تتقلص و تصاغ في شكل قصير إحتفظ فيه بالموضوع الأساسي للإشاعة و باسم اليمين زروال و وظيفته (رئيس الجمهورية) و هذا لإيحاء الاسم و الوظيفة، و أهمية الشخص التي اقترن بها موضوعها، و كذلك لأن منصب رئيس الجمهورية يعد رمزا دلاليا لكثيرا من التأويلات و له وزنه في الموضوع، خاصة إذا تعلق الأمر باتّخاذ القرارات و البت في القضايا المهمة.

[1] مدخل إلى علم النفس الإجتماعي، ص70.

و سبب إختفاء العناصر التي بقيت في المراحل الأولى ولم تبقى في المراحل الأخيرة هو عدم وضوح التفاصيل المنقولة و عدم تكاملها مع الموضوع ،لأن الناقلين قصًرو بفعل النسيان أو بفعل محاولة صياغة موضوع جديد لنقلها بدقة، و أدى ذلك إلى إلغائها لعدم وضوحها.

و شخصية رئيس الجمهورية و مركزه ذو تأثير انفعالي على الأشخاص و ذو بعد رمزي بالنسبة إليه، و بذلك قل إحتمال ضياع الإسم و الوظيفة و كثيرا ما أعطي لقب رئيس الجمهورية، في حين نص الإشاعة لا يحمل إلا اسمه، و حالات استبدال رئيس الجمهورية برئيس الحكومة إنما يعود إلى تأثير شخصية هذا الأخير و وزنه في صنع القرارات حسب نظرهم، و كذلك لعدم توفيق الناقلين في توضيح الرؤية و تحديد و نسبة السلوكات لأصحابها مما أدى بهؤلاء إلى الإجتهاد و الإرتجال في نسبتها، محاولين تغطية العجز أو استكمال النقص الحاصل في المعلومات حتى يصاغ موضوع المتكامل يحمل على الأقل مصدرا للفعل و حدثا مميزا.

و تعلقت الإشاعة التي بين يدينا بأفراد معنيين بالحدث، و جماعات تهتم به و تحمل أماني الشباب و طموحاتهم، و نابعة من محيط اجتماعي يتطلع إلى التجديد، و واقع سياسي و اقتصادي ينحو إلى الإصلاح و البناء مما يجعل الموضوع جد مهم في مختلف جوانب الحياة و يتفاعل الناس مع تفاصيله و يحاولون إيجاد التبريرات اللازمة للتغيرات الحاصلة في صياغته.

و قد تميزت الإستعادات من مجموعة لأخرى، رغم أن هذا التمييز طفيف بين المجموعات الأربعة المتكونة من مجموعتين من الذكور و مجموعتين من إناث و ذكور و المجموعة الخامسة المتكونة من الإناث فقط، حيث سقوط كبير للتفاصيل منذ الإستعادة الأولى للإناث، و شكلت حكاية تميل إلى الإقتضاب تحمل في مضامينها، إسم رئيس الجمهورية و وعده الذي يعد مفاجأة للشباب، بالتخفيظ من مدة الخدمة الوطنية و إعفاء البعض منها، و تحول مضمون الوعد أحيانا إلى إيقاف أو منع، و هذا الجزم الصارم إنما ظهر في المرحلة الثالثة و الرابعة من الإستعادة، في حين تميزت الإستعادة الخامسة بالتعليق على الحكاية المفتعلة بالتخوف من نتائج تطبيقها، و ربط ذلك بالمرحلة التي تمر بها البلاد.

و التعليق على الحكاية أو الإشاعة في صورتها الجديدة وقع للإعتقاد فيها، و تصديق الأخبار المنقولة لأول وهلة، و التعامل معها على أنها حقيقة مطروحة للنقاش، و أظهرت

الإستعادة الخامسة التخوفات و التساؤلات النابعة من تأثير الواقع الإجتماعي و النفسي و الثقافي على تفكير الناس حيث تم إصباغ الإشاعة بها و تحميلها مخاوف المجتمع، و تخوف على الأقل مجموعة من الناس من تطبيق قرار منع أو إيقاف تأدية الخدمة الوطنية على فئة من الشباب و انعكاس ذلك على الحياة العامة.

و السقوط المبكر للتفاصيل في المجموعة الخامسة المتكونة من الإناث لا يرجع أساسا إلى ميل الاناث إلى الإستغناء عن التفاصيل الثانوية فقط، بل يعود أيضا إلى عدم اهتمامهم بالموضوع مباشرة، و اقتصار إستعاداتهم على العنصرين السابع و الثامن الذين يشكلان الموضوع المحوري للنص، و الإكتفاء بالعناصر المهمة، على حساب تسوية أغلب العناصر الإخبارية الأخرى المشكلة للنص و التي تعمل على توضيحه، لكن هذه التسوية سرعان ما مسّت العناصر الأساسية فيه منذ الإستعادة الثالثة و تحول القرار أو المشروع إلى أمر بالإيقاف أو المنع.

و عموما فإن المجموع الخامسة المتكونة من الإناث شكلت أحسن صورة و أقربها إلى كيفية تكوين إشاعات و انتشارها، و تحول مجرى موضوعها الرئيسي إلى استحداث أقاصيص أخرى.

و تجسد ذلك في أن المستعيدة الأولى قامت بالإدلاء للعنصرين 7 و 8 ثم ابتدعت أقصوصة –تضمن القرار ما يلي– : أن يتقدم ما تبقى من الشباب قبل 1998، ثم تلتها الإستعادة الثانية التي أكدت عدم الإتفاق الحاصل حول العنصرين 7 و 8 بين أعضاء المجلس الشعبي الوطني، و وصلت الإستعادة الثالثة إلى ابتكار قرار رئيس الجمهورية بمنع فئة من الشباب من التجنيد، ثم أكدت الإستعادة الرابعة المنع و الإيقاف الذي مس فئات من الشباب من تأدية الخدمة الوطنية، و ذهبت الإستعادة الخامسة إلى التعليق على القرار كأنه حقيقة، بالإشارة إلى أنه ليس في محله و ليس قرارا عادلا، و الأزمة الجزائرية لا يخدمها هذا القرار.

و عملية التسوية كما سبقت الإشارة إليها مست كل العناصر فيما عدا العناصر الأساسية و هذا حتى المرحلة الثالثة من الإستعادات حيث تغيرت صورة استرجاع العناصر الأساسية، و أضيفت إليه تفاصيل جديدة لم تكن موجودة في السابق، و تم إبراز العنصرين 7 و 8 على حساب العناصر الأخرى، ثم أضيفت الزيادات في شكل تأكيد التفاصيل المبتكرة

و افتعال حكايات جديدة لا يرتبط معها النص الأصلي إلا في موضوع الخدمة الوطنية أو التجنيد.

و الملاحظ كذلك أن نسبة تسوية التفاصيل في المراحل الأولى لدى المجموعات الأربعة الأخرى قليلة مقارنة مع تسويتها في المجموعة الخامسة، و ثمة عنصر جديد لم يظهر في المجموعة الخامسة مع أنه ظهر في كل المجموعات الأربعة التي تضم الذكور ضمن المستعيدين، و هو تحديد مدة التخفيظ التي أشار إليها المستعيدون حيث تراوحت أحيانا بين سنة و 15 و 18 شهرا و 6 أشهر، و ربما يرجع ذلك إلى عدم اهتمام الإناث بالمدة، لعدم تعلق الأمر بمصيرهن أو لتخوفهن من قرار التخفيظ و التعامل بحذر معه، إلى درجة الإعتقاد في صحته و تأكيد وقوعه.

أما المجموعتان المتكونتان من الذكور و الإناث، قد اتسمت الإستعادات بشيء من الحذر في التعامل مع التفاصيل و محاولة السرد الكلي لها، غير أن التسوية لعبت دورا كبيرا في تقليص النص خاصة عند ادلاءات الإناث، و أبرزت عناصر إخبارية مثل التجنيد و إسم رئيس الجمهورية و معارضة القرار، غير أن إستحداث عناصر إعلامية جديدة قليل مقارنة مع مجموعات الذكور و الإناث فقط.

و قد لوحظ أن المجموعتان المتكونات من الذكور فقط مالت إلى إستحداث إشاعة جديدة تميل إلى اتخاذ شكل خبر رسمي لما تحمله من وسائل إقناع و تأكيد و جزم بوقوع الحدث، و هذا ما يدل على صيغة التنفيس و الترويح عن النفس لإقناع الناس أو تمني وقوع شيء، و لوحظ أيضا في كل الإدلاءات غياب لإستعادة الإصطلاحات، مثل النواب، معارضة، كتلة سياسية، المجلس الشعبي الوطني و هذا دليل على نقص الثقافة السياسية و كذلك مصطلحات مشروع قانون إعفاء و هذا يدل على غياب الثقافة القانونية.

و خلاصة القول أن عمل المجموعات كان مجديا خاصة في تقصي حقائق إنتقال الإشاعة و انتشارها في الأوساط المغلوقة التي تغص بالعلاقات العامة و يتم التواصل بين عناصرها بسرعة، و تميز الإشاعات المستحدثة عن النص الأصلي حيث يظهر التغيير بفعل الإنتقالات المتكررة و التأثيرات الفردية فيها.

و مما لوحظ في هذه التجربة أن الطلبة الذين لهم أولياء تجار قد ركزوا كثيرا إما على السنوات أو على مدة تخفيظ الخدمة الوطنية أو سنة تطبيق القرار و ربما ذلك يرجع لتأثير المهنة التي تعتمد كثيرا على الأرقام على الإستعادة بإعتبارها قيمة عددية ثابتة يسهل إستعادتها بحكم الممارسة اليومية في التعامل بها.

و اكتفاء الناقلين بما هو مهم من العناصر الإخبارية إنما يعود من جهة إلى تأثير القائمين بالإدلاء، بالإنقاص في الأخبار أو عدم توضيحها لهم بما يكفي إعادة روايتها، و كذلك تأثير الذاكرة على تسوية التفاصيل و الأخبار، و من جهة أخرى إلى تعامل الناقلين مع الإشاعة و إصباغها بإنطباعاتهم و إعتقادهم بالصورة التي حدثت بها و الأبعاد التي يمكن أن تأخذها، و كذلك تلوينها بإسقاطاتهم النابعة من التفاؤل بموضوعها أو التخوف من تطبيقه و تجسيده في الواقع، و كذلك لمحاولة جعل الإشاعة في منزلة الحقيقة أو بموقع غير مهم حتى لا يعتقد الناس فيها.

و أكثر ما جسدته هذه الإسترجاعات هو الميول و الإنطباعات و الرغبات أثناء عملية الإستيعاب، حتى خلص المستعيدون إلى افتعال نصوص تخلو تقريبا من حيث الألفاظ و التراكيب اللغوية من أية صلة مع النص الأصلي، و تم تبديلها بألفاظ و تراكيب استحدثها المستعيدون للتعبير عن مدلول النص و معانيه، و قد عمدوا إلى التعليق عليه، أو تقديم مشروع قانون المتعلق بنص الإشاعة، ففي المجموعة الخامسة وجد عنصر واحد علق على المشروع و ذلك بالربط بينه و بين المرحلة التي تمر بها البلاد، و ظهرت عبارات (اللاعدل، و من الواجب أن تبقى المدة على حالها)، و هذا حسب ما ورد في النص نابع إما من تخوف عميق من تطبيق القرار أو من مجرد رغبة في إظهار أهمية الحدث و وجوب التعليق عليه، و في كلتا الحالتين تظهر التأثيرات النفسية الواضحة على صياغة النص، فقد أخذ التعبير على المضمون قسطا وافرا على حساب تسوية العناصر الثانوية، و لم يرى المستعيد بدا من معالجة النص و تعديله وفق ما أملته عليه أحاسيسه و شعوره و مواقفه من جراء إحتمال تطبيق القرار.

و تلك الطريقة لمعالجة المعطيات –طريقة الإضافات– هي عادت شفهية أكثر منها كتابية، و يلجأ إليها القائم بالإدلاء عند الشعور بالحاجة إلى توضيح معلومات أو عناصر

أو إبرازها، و قد ظهرت فعلا في الإستعادات الكتابية، و ذلك لشعور الفرد بمشاركته في صياغة أو صنع أو ترويج الحدث مع مساندته، أو المشاركة في محاربته و الحد من تأثيره بمعارضته، و هذا النوع من السلوك يشعر الفرد بوجوده و فرض شخصيته و الظهور بمظهر العارف لكل الظروف، و ليس ذلك نابع من عقدة أو من مركب نقص بل هو سلوك ثقافي تتميز به المجتمعات، خاصة و أن الإشاعة تدخل في تركيب هذا السلوك، و توجه لخدمته أو ضرب مصالحه، و على ذلك لا يبقى الناس بمعزل عن المشاركة في الحدث و التزام الحياد لامتداد العلاقات الإجتماعية و الثقافية إليهم و تأثيرهم فيها و تأثرهم بها.

و ظهرت إضافات أخرى و تعليق عن الموضوع في المجموعة الرابعة، حيث علق صاحبها عن المشروع قائلا :"رأي في هذا الموضوع أن الخدمة الوطنية يجب أن تكون أربعة سنوات"، و قد أعلن المدلي رأيه صراحة و ميز رأيه عن ما ذكره من العناصر الإعلامية التي سمعها من غيره، عكس ما قام به معظم القائمين على الإستعادات من حنكة في صياغة جديدة للموضوع، حيث يصعب كليا على السامع أو القارئ للإستعادة الكتابية أن يميز الإضافات الشخصية عن الموضوع الرئيسي إذا لم يطّلع عليه.

و التسليم بالصورة الجديدة سهل لتداخل ما هو ذاتي من إضافات مع ما كان موجودا في الإشاعة من تفاصيل.

و قد يشعر ناقل الإشاعة بالحرج أمام من ينقل إليهم الخبر، حيث يميل إلى إظهار قدرته في فهم الأمور و معالجتها، و يعمل على إيصال آرائه بكل الوسائل المتاحة له من إشارات و رموز و إصطلاحات لغوية و إنفعالات، و هذا ما لوحظ أثناء تناقل الخبر بين العناصر المكونة للمجموعات، حيث لم يكتفو بالنقل الشفهي للمعلومات و لكن لجؤوا لإستعمال الأيدي و أحيان هز الرؤوس للتعبير عن الرفض أو القبول، و لوحظت كذلك محاولة الناقلين في إعادة طرح التساؤلات على بعضهم البعض، مما يعطي جوا من الشروط الأساسية و الطبيعية في افتعال و انتشار الإشاعة، و يوحي أكثر بطابع إجتماعي يصبغها.

و وجد مستعيد آخر في المجموعة الثانية المتكونة من الذكور فقط، حيث أدلى برأيه معارضا افتحاش الإشاعة التي بين يده، و قد ورد في إستعادته الكتابية "أن الظرف الراهن و الأوضاع السائدة في البلاد، لا تقتضي التخفيض من الخدمة الوطنية بل الزيادة"، و عدا

هؤلاء قام المستعيدون في كل المجموعات بأنواع من التأكيد و تزكية الإشاعة بإدخال آرائهم و مواقفهم في سرد تفاصيلها، حيث لا يبدو و كأنها إضافات حاصلة، بل يعتقد أنها كل متكامل مع نصها الأصلي، و قد اصطلح على هذا النوع بالإتصال الآداتي الذي يشخص الحالات الوجدانية للفرد، و محاولة التأثير بالإتصال في تغيير مواقف أو أفعال أشخاص آخرين[1]، و جمع الرأي العام حول قضية، و إن استعصى ذلك يحاول تقوية الإستعدادات لتقبل الموضوع أو الفكرة، و في كلتا الحالتين تستعمل الوسائل النفسية للتأثير و استمالة المشاعر و العواطف، و شغل العقول بتلك الفكرة و جعلها حديث الساعة الذي لا ينتهي إلا بالخلوص إلى نهاية تحل العقد و الإشكالات المطروحة حولها.

و لن يكون للإشاعة نهاية إذا لم تجد العقول المتفتحة لمحاربتها و إبطالها، بل تزيد في الرواج و الإنتشار متخذة عدة أوجه، و قد تم ملاحظة الذين تم التجريب معهم بعد الخروج من القاعة التي خصصت لذلك، ينشرون ما قد نشر في أوساطهم عند زملائهم من الأقسام الأخرى، حيث لوحظت التجمعات المتكونة من شخصين إلى سبعة أشخاص سواء بين الإناث أو الذكور، و هذا ما يؤكد أن العلاقات الإجتماعية بكل أشكالها تساعد على انتشار و تفشي الإشاعة مما يعطيها طابعا إجتماعيا، يجعلها حدثا خاضعا للدراسة الإجتماعية و يتطلب إكتشاف الأثر الإجتماعي التي تتركه في المجتمع و وزنها في توجيه و تحويل علاقاته، و تحديد أشكالها وفق الخصائص الثقافية التي يتميز بها.

[1] دخيرة علوم النفس، المجلد 01، ص271.

دراسة إشاعة منتشرة في وسط مفتوح

من بين الإشاعات التي انتشرت بشكل واسع و استقطبت اهتمام شرائح واسعة في المجتمع، إشاعة دارت في شكل نص مكتوب على الأوراق نالت حضها في الرواج والإنتشار و قد حملت خصائص الإشاعة بكاملها من أهمية و غموض، و المصدر غير المعروف، إضافة إلى اشتمالها على عناصر التشويق و التخويف.

و قبل سرد هذه الإشاعة في شكلها المكتوب و دراستها و تحليلها، نوضح أن الغرض من هذه الدراسة و الهدف هو مقارنة انتشار الإشاعة في الوسط المغلق و تأثير عملية التجريب على النتائج المتحصل عليها، بانتشارها في الوسط المفتوح بطريقة شفهية و كتابية، ثم التأكد من فعالية كل طريقة في فهم آليات إنتشار الإشاعة، و دواعي ذلك، و صلاحيتهما في القيام بعملية قياس إجتماعي. و قد حصرت المدة الزمية للدراسة بأشهر : أفريل، ماي، جوان من سنة 1998 في كل من مدينة تلمسان و بلدية الوادي الأخضر.

ثم تم التعامل مع النتائج المتحصل عليها وفق تقبل الإشاعة و العمل على ترويجها أو رفضها و العمل على إبطالها، و إتجاه انتشارها في طبقات المجتمع، و نسبة الذين تحصلوا أو سمعوا بها و الذين لم يسمعوا بها، و مدى تحصن الناس من خطرها.

و قد انتشرت هذه الإشاعة في معظم الحالات التي تحصلت على نسخة منها في الشكل التالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم"

"إخواني أخواتي المواطنين و المواطنات، السلام عليكم و رحمة الله تعالى وبركاته. أنا فتاة أبلغ 19 سنة زرت مقام السيدة زينب أخت الإمام علي رضي الله عنه و رأت السيدة زينب في المنام أنها تصب الماء في حلقي فاستشفيت بإذن الله تعالى و أمنيتي أن أكتب هذه الحادثة 12 مرة و أوزعها على الناس فإعطيتها لرجل و بعد 12 يوم أصبح غنيا و أعطيتها لرجل آخر و لم يهتم بها و بعد 12 يوم دخل السجن، و أعطيتها لبنت عمرها 17 سنة و كتبتها و لما وزعتها و بعد 12 يوم تزوجت، و أعطيتها لمواطن و لم يهتم و بعد 12 يوم فقد وظيفته، و أرجو لمن راجع هذه الحادثة أن يكتبها و يوزعها على الناس فسوف تتحقق

أمنيته و إن لم يستطع كتابتها فيصورها 12 مرة و بعد 12 يوم، إهتم بها، فمن المستحيل أن يصيبك مكروه أو مصيبة و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته".

و قد روعي في صياغة موضوعها، شروط صياغة المادة الإعلامية التي تراعي الأساس السيكولوجي و الإجتماعي اللازم للتأثير على الفرد، و هضمها دون عسر[1].

[1] راجع : أزمة الإعلام العربي. الزامل عبد الله عبد الرحمن، ص66.

نموذج الإستجواب

1- ألم تسمع بتداول بعض الأوراق بين الناس هته الأيام ؟.

لا،

نعم، إذا كان الجواب بالإثبات نطرح السؤال الموالي،

2- ما هو محتواها ؟ أو بماذا تتعلق ؟،

3- متى علمت بها أو استلمتها ؟ من قام بذلك ؟،

4- هل قمت بكتابتها أو تصويرها كما طلب منك ؟،

لا ـــ لماذا ؟،

نعم، يطرح السؤال الموالي،

5- هل وزعت كل الأوراق التي كتبتها أو صورتها ؟،

6- بعد انقضاء المدة المحددة بـ 12 يوم هل حدث شيء ؟،

نعم، ما هو ؟،

لا،

7- في أي باب تصنف هذا الموضوع ؟.

و قد مثلت النتائج و العينات المدروسة في جدولين أحدهما لنتائج الإستجواب في القرية و آخر للمدينة حسب الجنس و العمر و معايير العلم بالإشاعة أو عدم العلم بها و تصديقها أو تكذيبها.

توزيع العينة المدروسة في القرية حسب العمر و سماع الإشاعة أو عدمه و تصديقها أو تكذيبها.

	ذكور			إناث			المجموع	النسبة %
السن	< 16سنة	> 16سنة	> 50سنة	< 16سنة	> 16سنة	> 50سنة		
من سمعوا بالإشاعة	17	21	07	12	19	04	80	72,72
من لم سمعوا بالإشاعة	05	03	08	05	04	05	30	27,27
من صدقوها	12	09	03	11	13	03	51	63,75
من لم يصدقوها	05	12	04	01	06	01	29	36,25

توزيع العينة المدروسة في المدينة حسب العمر و سماع الإشاعة أو عدمه و تصديقها أو تكذيبها.

	ذكور			إناث			المجموع	النسبة %
السن	< 16سنة	> 16سنة	> 50سنة	< 16سنة	> 16سنة	> 50سنة		
من سمعوا بالإشاعة	23	36	16	11	15	03	85	72,03
من لم سمعوا بالإشاعة	07	05	04	04	07	06	33	27,96
من صدقوها	17	15	10	08	09	03	43	50,58
من لم يصدقوها	06	21	06	03	06	00	42	49,41

و الملاحظ أن النتائج التي يمثلها الجدولان قد ارتبطت بشكل وثيق مع الأجوبة وأثبت أيضا دخول التبريرات و التفسيرات على تقبل الإشاعة أو عدم تقبلها.

شخصت حالات نفسية و إجتماعية مختلفة و أظهرت فروقا في المستوى الثقافي و تباينا في طرق التفكير و بعض ملامح التمايز الطبقي ليست كثيرة، و بعض الفروق بين المدينة و القرية في التعامل مع الإشاعة و نسب تصديقها و تكذيبها.

الإطار المرجعي للإشاعة

حسب إدلاءات كثيرة أثناء عمليات الإستجواب فإن الإشاعة المدروسة قد ظهرت منذ فترة زمنية طويلة قدرت بين 04 و 20 سنة. لكن الإتقاق لم يكن حاصلا حول التحديد الزمن الحقيقي الذي ظهرت فيه كما لم يتم الإتفاق حول الشكل الذي ظهرت به. فمنهم من أكد على إعادة ظهورها بالشكل نفسه و منهم من ركز على التغيير في شكل مفرداتها و الصيغة التي ظهر بها، في حين ذهب آخرون إلى حد تصنيف سيول من الإشاعات في هذا الإطار، مركزين على ظهورها في فترات زمنية مميزة ثم اندثارها لتظهر ثانية، على منوال الإشاعة التي بين أيدينا.

و ما هو مهم هنا هو شكل الإشاعة الكتابي الذي يعتمد مرجعا لتتبع خطوات إنتشارها و سريانها، ثم التأكد من أنها حديثة أو قديمة، في الظهور، و من هذا المرجع أكدت أغلب الردود و الأجوبة الشفهية على الإستفسار رقم (03) في كل من المدينة و القرية في أوساط الذين سمعوا بها، أنهم اعتادوا على سماع مثل هذه الإشاعات أو سبق لهم أن سمعوا بها، و هذا ربما يعد علة تفسير عدم تصديق بعض الناس الذين ألفوا هته الإشاعات لها، و لم تجد صدى لها بينهم. و كما سبقت الإشارة فإن النص السابق للإشاعة هو النموذج الأعم الذي يسري بين الناس و على ضوئه تقوم هذه التحاليل.

بعض الظروف و المتغيرات في نقل الإشاعات

تميز أشكالا كثيرة و طرق و أساليب متنوعة في نقل الإشاعة حيث لجأ بعض الناقلين إلى الإعتماد على العلاقات الإجتماعية في نقلها، فاستغلوا علاقات العمل و المبادلات و علاقة الصداقة و القرابة و الجوار، لنقل الإشاعة و استكمال اثنتا عشر مرة في نقلها، و ظهر أثر هته العلاقات جليا في القرية، بينما تميز في المدينة طرق أخرى زيادة على العلاقات الإجتماعية، منها استعمال وسائل الإتصال مثل البريد و الهاتف في القيام بعملية توزيع لنسخ الإشاعة وتبليغها دون ذكر المصدر أو المرسل. كما اعتمدت بعض الفئات من الناس سواء من الأميين أو من ذوي المستويات التعليمية المختلفة و في المدينة و القرية إلى اللجوء إلى تصوير النسخة التي تحصلوا عليها و شراء الطوابع و الرسائل لبعثها إلى أشخاص لا تربطهم معهم علاقات قرابة أو صداقة أو معاملات. و قد لوحظ أن بعض الأشخاص في القرية قد تحصلوا على نماذج من الإشاعة قدرت من 02 إلى 04 نماذج، و ذلك يرجع إلى تشابك العلاقات الإجتماعية و العامة بين مركبات مجتمع القرية المصغر و تبادل أفراده لنماذج الإشاعة.

و لوحظ إتجاه من المدينة إلى القرية في نقل الإشاعة في أغلب الأحيان و ذلك ما يقوي فرضيات إنتقالها من المدينة إلى القرية.

و ظهر أثر المستوى المعيشي في نقل الإشاعة من خلال القيام بتصويرها، أو إعادة كتابتها (12 مرة) حيث لجأت بعض الفئات إلى إنفاق مبالغ من المال قصد الحصول على 12 نموذجا وفق ما تمليه عليهم الشروط الموجودة في الإشاعة. و لجأت فئة الأميين من مختلف الأعمار عند الذين عملوا على نشرها و توزيعها إلى تصوير 12 نسخة بشهادتهم و بشهادة بعض التجار الذين يمتهنون حرفة التصوير و هذا عند الإناث و الذكور.

تحليل النتائج

مستويات الفروق بين النتائج في المدينة و القرية.

1. المستوى الاجتماعي :

رغم اختلاف بعض الجوانب الإجتماعية و نمط العلاقات بين المدينة و القرية، واتساع دائرة المعاملات و العلاقات في المدينة و ضيقها في القرية، و انتشار الإشاعة في الأوساط المفتوحة إلا أن نتائج الاستجوابات الشفهية لم توح كثيرا بالفروق الإجتماعية بين سكان القرية و المدينة. إلا في حالات بسيطة مثل استعمال مصطلحات لهجية في كل من المدينة والقرية و كذلك سرعة إنتشار الإشاعة في المجتمع القروي لقلة مكونات البشرية. و قد شكلت هذه الإشاعة معيارا يكشف عن ميل الناس إلى التعامل بالإشاعة في كل من المدينة والقرية أكثر مما تشكله مصارد الأخبار و الإعلام من أهمية، حيث يعتبرون أن الإشاعة أهم مصدر للخبر وفق ما يتبادلونه من أخبار و سلوكات.

المستوى الثقافي:

أوحت النتائج بفروق ثقافية تجلت في الأجوبة الشفهية بعد الإستجواب، و هذا بين أفراد القرية فيما بينهم حيث يظهر أثر المستوى التعليمي و العمر و المهنة و الثقافة جليا في التميز بين الأجوبة، حيث ميزنا صنفا من المثقفين يدرج الإشاعة في خانتها الأصلية و منهم من صنفها في مجال الخرافات و الأقاويل و من كان لهم تكوين و ثقافة دينية سموها بالإسرائيليات و البدع، و الكذب، و قد أشارت إليها فئة الشيوخ بالملهات، و كذلك هناك من جعلها رؤيا أو مناما أو كرامة - أي رؤيا لتكريم شخص صالح دلالة على زهده.

بينما لوحظ في المدينة إعطاؤها تفسيرات أخرى مثل أساطير، أغاني قديمة، دعاية إسرائيلية أو إشاعات و عند الذين اعتقدوا فيها سموها بالموعظة أو الكرامة، و قد كثر الإعتقاد فيها بين التجار و الحرفيين و ذوي المستويات التعليمية البسيطة و في كل من المدينة

و القرية كان البطالون أكثر الذين اعتقدوا فيها و عملوا على ترويجها، لما تحمله من إغــراءات و وعيد.

و لـم تـرق هـذه الإشـاعة لأن تشـكل إجماعـا أو نظامــا بـالمفهوم الـذي فسـر بـه "ليفيستروس" النظام الذي يقوم على أساس تكرار الفعل بشـكل منظـم و ليـس بطريقـة آليـة تخلو من التفاهم و التبادل و الإتفاق[1]، حيث تميز تكرار هذه الإشاعة بالعشوائية و عدم إتفاق أو إجماع الرأي العام حول صحتها أو تزكيتها.

المستوى النفسي :

لم تلاحظ ثمة خصائص أو صفـات نفسية تتعلـق بالنـاقلين أثنـاء الإسـتجواب إلا في حالات قليلة مع بعض الأشخاص لوحظـت بعـض الإنفعـالات سـواء في المدينـة أو في القريـة وهذا غالبا مع من عارضوا هــذه الإشـاعة، و لوحـظ أيضـا ثرثـة عنـد بعـض الأشـخاص، في محاولتهم إقناع السامع بما يشعرونه أو يعتقدونه.

و قد مال بعض الناس أيضا إلى أنواع من الإستهزاء بالإشاعة و السخرية منها، و ذلك لأن بعضهم أورد أنه لم يحصل أو يحدث له شيء بعـد 12 يومـا مـن تقطيعه لورقـة الإشـاعة أو حرقها، أو حتى الضحك من خلال طرحهم للتساؤل الآتي : لو أنها فعلا حقيقـة لأصبح الناس جميعا و بدون مشاكل و هموم، لأنها سوف تحقق لهم كل أمنية بمجرد كتابتهم لنصها 12 مرة و توزيعها إلى 12 شخص.

بينمـا لوحظـت بعـض الصفـات الفيزيولوجيـة، خاصـة في أواسـط الذيـن اعتقـدوا في الإشاعة، مثل : إحمرار الوجه أو القلق مثل تشابك الأيدي و الصمت لفـترة وجـيزة، و هـذه الصفات لوحظت كثيرا في القريـة حتـى أن بعـض المسـتجوبين لـم يسـتطيعوا أو لـم يريـدوا مواصلة الإستجواب و منهم من انسحب كلية.

و لم ترق مستويات الفـروق إلى حـد يمـيز أشـكال التعـامل مـع الإشـاعة بـين القريـة والمدينة، خاصة في ظاهر العلاقات التي قـامت بموجـب تـداول الإشـاعة، و يمكـن أن تـترجم بعض السلوكات التي أظهرها أصحابها أثناء نشر الإشاعة، و هي شعور الأفراد بالراحة أثنـاء تناقل الخبر لشعوره بتلبية طلب الإشاعة و اجتناب معارضتها، و هذا طبعا عند المصدقين لها.

---

[1] أصول الإجتماع السياسي، 381.

و تجنب المستجوبون ذكر المصادر التي تحصلوا منها على نص الإشاعة خاصة عند الإناث، و لم يتغير شكلها في حالة النقل الشفهي، حيث تنقل بلهجة محلية و ببعض الإضافات و التفسيرات التي كثيرا ما تنبع من حاجة الفرد إلى التطلع و الأماني.

تحليل النتائج على ضوء الجدول رقم 01 و 02 :

إن الخاصية المشتركة للنتائج المتحصل عليها من الإستجوابات بين الجدولين الممثلين للقرية و المدينة، تتعلق بتشابه النسب و تقاربها على النحو التالي :

النوع	القرية	المدينة
- نسبة الذين لم يسمعوا بالإشاعة.	% 27,27	% 27,76
- نسبة الذين سمعوا بالإشاعة.	% 72,72	% 72,03

و لم يختلف كثيرا عدد المستجوبين في المدينة على القرية حيث قدر في المدينة بـ 118 مستجوب و في القرية 110 مستجوب.

بينما ظهر الإختلاف جليا في النسب الممثلة لعدد المصدقين للإشاعة حيث قدر في القرية بـ 63,75 % و في المدينة بـ 50,58 % و هذا التباين يوحي بالفروق بين المدينة و القرية في كون الأشخاص الذين يسكنون المدينة أكثر تحصينا من الإشاعة مقارنة بالأشخاص الذين يسكنون القرية، و هذا ربما يرجع إلى الاطلاع على الإشاعات و الإعتياد عليها، مما كون لديهم حصانة من الإنصياع وراءها، و نجد كذلك أن النسب الممثلة للذين لم يصدقوا الإشاعة متباينة بفارق معتبر حيث قدر عدد الذين لم يصدقوها في القرية بـ 36,25 % من مجموع عدد الذين سمعوا الإشاعة، و في المدينة قدر 49,41 %، و هذا أيضا يزكي الطرح السابق في كون الأشخاص المستجوبين في المدينة أكثر تحصنا من خطر الإشاعة عن غيرهم في القرية، و هذا رغم عناصر الإثارة و التشويق و التخويف التي تحملها الإشاعة. و تجدر الإشارة هنا إلى أن كثيرا من الإستجوابات سواء في القرية أو في المدينة طبعتها التلقائية التي تجنب الشخص المستجوب الحذر و التقيد بالإجابة على السؤال، و ذلك بحكم علاقات

الصداقة أو التعارف بين المستجوب و المستجوبين، و دخول عناصر أخرى في الحديث مما يعطيه نوعا من الحوار البناء و الموضوعي، و أحيانا التلقائي الذي ينبع من شعور الفرد وأحاسيسه. و علة تلك الفروق هو انتشار وسائل الإعلام بكثرة في المدينة من جرائد ومجلات و مكتبات و صحف و دور السينما و دور الثقافة و الملصقات الإشهارية و غيرها من وسائل التثقيف و التعليم، و ميل الناس في المدينة إلى ملئ وقت الفراغ في الاطلاع و تبادل الأفكار والآراء في المقاهي و الشوارع، بينما لا زالت الحياة القروية تفرض على الأفراد نوعا من السلوكات الإعتيادية في الحياة، في غياب دور الثقافة و السينما و المكتبات، و قلة الإحتكاك بالمجتمع الخارجي بحكم قلة العلاقات التجارية، و الإقتصادية بين القرية و المحيط الخارجي.

إضافة إلى هذا يبدو أن المخاوف التي حملتها الإشاعة أصابت هدفها أكثر في القرية مقارنة مع المدينة، و كذلك يبدو أن الطموحات و الأحلام و الإغراءات التي تحملها الإشاعة كان لها وقعها على عقول القرويين أكثر، و قد لاحظنا في هذا الإطار أن أكثر المستجوبين الذين صدقوا الإشاعة و عملوا على نشرها -سواء في القرية أو المدينة- قاموا بذلك بدافع الخوف من الوعيد الذي تحمله في موضوعها أكثر من الحلم بتحقيق الطموحات و الرغبات، و ذلك لسيطرة مشاعر الخوف على أكثر الناس، بينما كانت علل الذين لم يصدقوا الإشاعة في أكثرها تذهب إلى تكذيبها، و لم تسيطر على مشاعرهم أحاسيس الخوف من عدم ترديدها و نشرها، و كانت معنوياتهم جد مرتفعة إلى حد الإستهزاء بالذين عملوا على ترويجها، و ظهر أن لديهم فطنة في التفكير لاكتشاف الإشاعات و الكذب و تميز الحقيقة من الخيال.

و في قراءتنا للجدولين نلاحظ أن تصديق الإشاعة عند فئة الإناث أكثر منها عند الذكور بالنسبة لمختلف الأعمار و في كل من المدينة و القرية. و هذا يقوي الطرح الذي يذهب إلى جعل النساء أكثر استعداد لتقبل الإشاعات و أقل تحصنا من سمومها، و هنا أثارت الإشاعة مخاوفهن من حدوث طارئ أو مشكلة في حياتهن من جراء عدم الإمتثال لمطالب الإشاعة، أو حركت آمالهن في بلوغ أهداف أو تحقيق طموحاتهن و نميز بذلك تباين وقع الإشاعة عند الجنسين.

كما نميز تباين في تصديق الإشاعة من فئة لأخرى فنجد أن الذكور الأقل من 16 سنة هم أكثر قابلية لتصديقها في القرية و المدينة ثم يليها في ذلك من تعدى سنهم الخمسين (50) سنة و تترتب الفئة التي يتراوح معدل أعمارها بين 16 و 50 سنة في آخر السلسلة، و هذا يثبت أن الإثارة التي حملتها الإشاعة لعبت دورها في تصديقها عند الفئة الأولى و الثانية بينما قلت عند الفئة الثالثة، و الشيء نفسه بالنسبة لفئات الأعمار الثلاثة عند الإناث.

و تظهر بذلك أهمية العمر في تقوية الإستعدادت لمحاربة الشائعة أو تقبلها.

و ظهر كذلك من خلال نتائج الإستجوابات أن الطلبة الذين لديهم تكوين جامعي والأفراد الذين لديهم ثقافة و تكوين في مجال الدين هم أقل عرضة لخطر الإشاعة و أكثر الفئات محاربة لها، بينما ظهر فيما دون ذلك من المهن و الوظائف مثل : التجار و الحرفين والموظفون و البطالون و ربات البيوت و المتقاعدون و غيرهم إقبال على تصديق الإشاعة وترديدها، حيث أكد كثير منهم على رواية الإشاعة شفهيا لغيره من الأصدقاء و الأقارب، خارج إطار النماذج الـ 12 المطلوبة للكتابة و التوزيع، و تصديق الإشاعة لم يختلف تقريبا عند الفئات الميسورة أو المحرومة و المتوسطة حيث لوحظ أن فئات من التجار الميسورين قد قاموا بتوزيع الإشاعة غير ما مرة و كذلك عند بعض الفئات المحرومة، و لكل دافعه في ذلك، إذ يمكن أن يكون دافع الخوف من العواقب الوخيمة التي تتوعد بها الإشاعة دافعا عند الفئة الميسورة لنشرها و توزيعها، و يمكن أن يكون دافع الأمل و الطموح هو الحافز عند الفئة المحرومة لتوزيعها و نشرها، و يتطلب هذا دراسة نفسية معمقة لاستجلاء الدوافع العميقة وراء نشر الإشاعة و قد تلخصت هذه الدوافع غالبا في العناصر الآتية :

1- دافع الخوف من التعرض لمصيبة من جراء عدم نشر الإشاعة.

2- دافع الطموح و الرغبة في تحقيق الأماني و الأحلام، و هذان هما الدافعان الأساسيان وراء ترديد الإشاعة و نشرها.

3- دافع ترديد الرؤيا و نشرها.

4- دافع محاربتها بروايتها و فضحها دون كتابتها.

5- دافع الفضول و قضاء الوقت.

و قد ترتبت هذه الدوافع بهذا الشكل وفق أهميتها و عدد المستجوبين الذين أشار إليها في إجابتهم على السؤال رقم (7) المتعلق بدافع توزيعها أو نشرها.

و قد قل الدافع الثالث عند الإناث عامة بينما انعدم الدافع الخامس تقريبا، بينما قوي ظهور الدافع الرابع عند الذكور و قل ظهور الدافع الثالث في الاستجوابات.

و مثل الجدولان رقم 1 و 2 الإجابة عن السؤال الأول في الإستجواب الذي تم العمل مع العينات المختارة بينما اتفق غالبية المستجوبين الذين اعترفوا بسماع الإشاعة على موضوعها الذي هو مجسد في النص المذكور.

أما السؤال الثالث المتعلق بزمن العلم بالإشاعة و استلامها فقد ظهر تباين كبير بين المستجوبين حيث أكد بعض الأشخاص الذين تعدى سنهم 16 سنة و تراوحت أعمارهم بين 30 و 50 سنة و كذلك أكثر من 50 سنة على ظهور هذه الإشاعة منذ زمن بعيد ثم اختفت لتعاود الظهور، ليصنفوها بذلك في خانة الإشاعة الغاطسة، بينما ذهبت فئات الذكور والإناث الذين تقل أعمارهم عن 16سنة إلى التأكيد على سماعها حديثا، إذ لم يتعدى الزمن أحيانا 15 يوما، بينما تعدى في بعض الإدلاءات الشهرين.

و عموما فإن أكثر الإدلاءات في مختلف الأعمار و بين الجنسين و في كل من المدينة والقرية ركزت على حداثة الإشاعة و معاصرتها، في شكلها المكتوب.

و في الإجابة على الشطر الثاني من السؤال الثالث المتعلق بمصدر الإشاعة، كانت العلاقات الإجتماعية المتعددة هي الواصلة و الواسطة في نشرها، حيث ترتبت هذه العلاقات حسب أجوبة الأشخاص كالآتي :

1- علاقة الصداقة.

2- قرابة.

3- علاقة العمل و الدراسة، زميل.

4- علاقة ابن الحارة.

5- المعاملات و تبادل المصالح و التجارة.

6- معرفة اسم و عنوان شخص دون وجود علاقة تربطه به، و هذه الحالة كانت عند الذين تحصلوا على رسائل بريدية تحمل نسخة من الإشاعة، و هذا باعتراف الذين بعثوا ببعض

النسخ عن طريق الرسائل عند عدم استكمال 12 توزيعا للإشاعة، و لم يعترف بها إلا شخصان في القرية و أربعة في المدينة.

و ارتبطت الأجوبة عن السؤال رقم 4، الشطر الأول المتعلق بعدم كتابة و ترديد الإشاعة، بتكذيب الإشاعة و إدراجها في خانة الكذبة.

أما الأجوبة المتعلقة بالسؤال رقم 5 فإن معظم المستجوبين استنفذوا النسخ المطلوبة للنشر و عدد قليل صعب عليه إيجاد الأشخاص الذين يسلمهم إياها، خاصة و أن بعض الأشخاص كانوا يرفضون حسب إدلاءات المستجوبين النسخ إما لجهلهم إياها أو خوفهم من محتواها واعتبارها منشورات ممنوعة أو بحجة أنهم قد تحصلوا على نسخ منها، و كانت فئة أقل من 16 سنة عند الجنسين و في كل من المدينة و القرية أقل لجوءا إلى تصوير النسخ مقارنة مع فئات الأعمار الأخرى و ربما يرجع ذلك لقلة الموارد المالية و انعدامها عند هذه الفئة.

بينما حدث إجماع كلي حول الإجابة عن السؤال رقم (06) حيث أكد كل المستجوبين على عدم حدوث أي تغير في مجرى الأمور و لم يحدث أي طارئ أو مفاجأة كما توقعته الإشاعة، و هذا ما جعل إحتمالات الشك في مصداقية الإشاعة تكثر خاصة بعد انقضاء المدة المحددة في الإشاعة.

و قد صنف المستجوبون الموضوع في أشكال متمايزة ثم ترتيبها على أساس عدد مرات ذكرها عند المستجوبين في الطريقة التالية :

1- رؤيا.

2- حادثة بالنسبة للذين صدقو الإشاعة.

3- كما تم إحصاء مصطلح معجزة في حالة واحدة عند امرأة مسنة من المدينة و مرتين عند فتاتين يقل عمرهما عن 16 سنة من القرية.

بالنسبة للذين لم يصدقوها صنفوها في خانة.

1 - كذبة.

2- أقاويل.

3- خرافة.

4- إشاعة.

5- إسرائليات.
6- حكاية.

و نخلص إلى القول بأن الإشاعة المدروسة كشفت عن علاقات و سلوكات فردية وجماعية منتشرة في الوسط الإجتماعي، و أظهرت مستويات التفكير و تباين المواقف و الآراء وفق تكوين الأفراد، و تأثير المحيط الإجتماعي و التكوين الثقافي فيهم، و يمكن على ضوء دراسة مثل هته الإشاعة تقيم مستوى تطلعات و آمال و مخاوف المجتمع، و مستوى تكوينه الثقافي، و مدى تحصنه من خطر الإشاعات أو تعامله بها، و القيام بعملية قياس إجتماعي تصنف ردود الأفعال الجماعية و تكشف عن العلاقات الخفية التي تنظم الروابط الإجتماعية، و فهم كثير من المواقف، و نستنتج خلال دراسة الإشاعة في الوسط المفتوح و بأساليب تميل أكثر إلى التلقائية و تقترب من طبيعة الحياة العامة، أن الباحث يتجنب مشاكل كثيرة في التعامل مع الفئات التي اختيرت للدراسة، وتقل نسبة الحذر في التعاون معه.

إن الدراسة الميدانية في الوسط الإجتماعي أقرب لاستخلاص النتائج و فهم سلوكات الناس و طبائعهم و علاقاتهم الإجتماعية، في حين تبقى الدراسات المعملية في محيطها الضيق القائم على التجارب مع عينات مختارة في وسط مغلق و تحت تأثير التوجيهات و أوامر المجرب قاصرة على فهم بعض السلوكات بعيدا عن العلاقات العامة و التلقائية في سرد الوقائع، و إظهار الأحاسيس و العواطف و الإضافات و غيرها من السلوكات التي يتجنبها الفرد عند إحساسه بأنه تحت الملاحظة المباشرة للمجرب أو الجمهور.

و يمكن أيضا أن نستخلص على ضوء العينة التي تم استجوابها أن الإشاعة لا تزال في مجتمعنا أو على الأقل في مجتمع تلمسان مصدرا للأخبار ينافس وسائل الإعلام، و يقلل من مصداقيتها، كما يبقى الناس عرضة لخطرها في غياب تربية اجتماعية و تكوين إعلامي ينبه إلى خطر الإشاعة، و انتشار سمومها في أشكال دعائية و إعلامية و ثقافية مختلفة، و يقوى إستعدادات الناس لإكتشافها و إبطال فعاليتها.

إن الدارس لظاهرة الإشاعة لا يمكنه أن يحللها بمعزل عن العلاقات الإجتماعية والخصائص الثقافية و التأثيرات النفسية لأفراد المجتمع، حيث تتدخل في تكوينها و توجيهها

واستمرارها و اندثارها كل تلك العوامل، مجتمعة أحيانا، و أحيانا أخرى منفردة، تعطيها القوة التي تسري بفضلها و تلهمها التأثير و القدرة على إصابة مبتغاها.

و مثل ما قمنا به في التجربة يزكي التأثير الإجتماعي و النفسي و الثقافي على الإشاعة، خاصة و أن الفئة المعنية بموضوعها تأمل في تحقيقه، و تعمل بكل الوسائل على إستفحالها، و تدافع عنها و تقوم بترويجها، و استقطاب أنظار المعنيين بها و التأثير على صانعي القرارت في تبنيها، علما أنها تعد وسيلة فعالة في القياس الإجتماعي، و استخلاص ردود الأفعال الإجتماعية، و المواقف و وجهات نظر المجتمع.

و قد ركز معظم الباحثين الإجتماعيين على دراستها في محيطها الإجتماعي و النفسي و الثقافي، حيث توجهت كل من ماري بونابارت و جيدوارد و ليو بوستمان و رامون باساغانا إلى استخلاص الآليات الحقيقية التي تدفع إلى تكوينها و ترويجها ثم أسباب تعامل المجتمع و الأفراد بها، و النتائج التي تحققها، ثم وزنها و مدى الإعتقاد فيها و فعاليتها في تحقيق المصالح و ضرب امتيازات الآخرين.

و من الضروري تقديم مثل هته البحوث التي تتعلق باستقرار المجتمعات و ازدهارها لأن الإشاعة متى استغلت في ظروف الحرب أو السلم، في وقت الركود أو النهضة، فإنها تقوم إما بتعطيل التطور و التقدم و التفوق بأساليبها التخريبية و التمويهية، أو بنشر التفاؤل والقيام بدور تعليمي، أو نشر الوعي من خلال مساندة الإعلام و فضح نوايا الأيدي المخربة و بث الأماني حتى يتطلع المجتمع لما هو مهم في تحسين ظروف حياته و الحفاظ على مكتسباته و استقراره.

و من المعلوم أن المخابرات الأمريكية و المراكز الإعلامية و غيرها في الدول المتطورة تنفق الأموال الباهضة على برامج الدعاية و نشر الإشاعات، حفاظا على مصالحها، و لضرب مصالح الآخرين قصد الهيمنة على العالم في كل الميادين الإقتصادية، و الإجتماعية و الثقافية والعسكرية.

خاتمة

إن أهمية الموضوع توجب الدراية بكل جوانبه، و تدعو لمعرفته و استغلال فائدته، والوقاية من أخطاره، لذلك اعتمدنا خطة نعرفه فيها، و حاولنا قدر الامكان الولوج إلى خبايا هذه الظاهرة في الميادين النفسية و الإجتماعية و الثقافية، رغم ما اعترضنا من صعوبات في جمع المراجع اللازمة و المتخصصة، و كذلك أثناء التجريب على عينة من المجتمع بقصد توضيح الرؤية عن كيفية تفشي الإشاعة و إختبار النتائج التي توصل إليها الباحثون في هذا الحقل، و إبراز فعاليتها في حدوثها.

و اعتبارا لأهمية الموضوع في الميدان الإجتماعي و النفسي، أقيمت التحاليل والدراسات بشكل يميل إلى الإيجاز، لتشعب العلاقات بينه و بين الظواهر الإجتماعية و قيمته في الوسط الإجتماعي و وزنه داخل الأطر الاجتماعية، و كذلك تباين ردود الأفعال الفردية و الجماعية حوله، و تداخل الجوانب النفسية من إدراك و شعور و تذكر و نسيان، و غيرها من الجوانب في تكوينه و التأثير في وجوده و استمراره، و كذلك على نجاحه أو فشله في تحقيق الأغراض المسطرة له.

و الإشاعات على اختلاف أنواعها و أماكن إنتشارها تؤدي وظائف عديدة فتكون إعلامية أو ترفيهية أو تعليمية، و تحاول ملء الفراغ الحاصل في مختلف جوانب الحياة، و ذلك لغموض الأوضاع و نقص التشبع الروحي و المعرفي، و قلة التعبئة و الإعلام، و عدم مسايرة التطور في كل ميادينه. و نجدها أيضا وسيلة فعالة للتنفيس عن الأحزان و الآلام و الهموم الإجتماعية و أداة للتطلع إلى الحلول و إلى آفاق حياة أفضل، و لا ينحصر دور الإشاعة فقط في نشر البلابل و الأقاويل و التضليل عن الحقيقة و دليل للخطأ و الكذب، كما يعتقد معظم الناس لمجرد سماع مصطلح إشاعة، و لكن لها دورا عظيما في توجيه الرأي العام أو صرف أنظاره عن قضية مصيرية، و لها من الشأن ما يجعل منها نظاما لاستغلال المعلومات، و القيام بعمليات التمويه، و الإستدراج و استنفاذ المعلومات في التعامل مع الخصوم و المتنافسين في المجالات الإعلامية و الإشهارية و الإستخبارات السرية، لذلك خصصت لها الطاقات البشرية لدراستها و استثمار نتائجها و استغلال تأثيراتها و فعاليتها في تحقيق الأهداف

السياسية والعسكرية و الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية، و تهئية الجو لنشر الأفكار والآراء و قياس ردود الأفعال الفردية و الجماعية للمجتمعات.

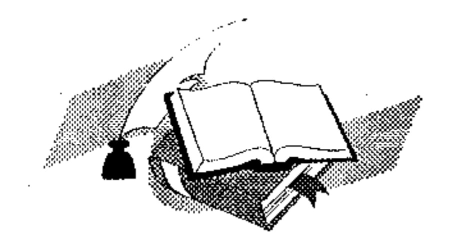
و النتائج التي توصلنا إليها و التي أكدتها التجربة، هي مثلما أشار إليها الباحثون في علم النفس الإجتماعي نسبية و لكنها تفيد كثيرا في إزالة اللبس عن التقارب بين الدعاية والأسطورة و الأكاذيب و الإشهار من جهة و الإشاعة من جهة أخرى، و تفسر آليات انتشار الإشاعة بدءا من تكوينها و وصولا إلى اندثارها.

و لا تعد الإشاعات مهما رقت منزلتها إلى أن تصبح مرجعا موثوقا به لأنها تفتقد السند القوي للمصدر أو الإرتكاز على حقيقة دامغة، و لكنها تبقى دائما في كفة الإحتمالات و ترجيح الحقيقة على الخطأ أو العكس، لأن الحقيقة متى ظهرت فإنها تطمس الإشاعة و تبطل فعاليتها، و يكون عامل النسيان و صعوبة التذكر أقوى العوامل التي تؤدي بالإشاعة إلى الإندثار[1]، خاصة إذا قلت كمية و أهمية المعلومات التي تحملها، و لم تحمل في طياتها إهتمامات الناس و ميلوهم و رغباتهم.

و من جهة أخرى تعد مرجعا و مقياسا يساعد على إزالة الغموض على الواقع الثقافي للمجتمعات، حيث يلاحظ رواجها و هيمنتها على العقول و تأثيرها على السلوك العام، ومدى الإعتقاد فيها و التعامل بها، و تصبح ميزانا يوحي بتجذر الفروق بين طبقات المجتمع وفق ثقافة التعامل بها أو التعامل بالإعلام الرسمي و الموثوق.

و في كل ما تم جمعه و دراسته و تحليله، حاولنا قدر الإمكان تقديم أحسن التحاليل والدراسات و الخلوص إلى الآراء الوجيهة و النتائج السديدة و السليمة، و نسأل الله التوفيق و هو المستعان.

[1] محاضرات في علم النفس اللغوي- حنفي بن عيسى، ص230-234.



المراجع

المراجع باللغة العربية :

1- أزمة الإعلام العربي ، عبد الرحمن عبد الله الزامل ، الدار المتحدة للنشر، 1974.

2- أصول الإجتماع السياسي، السياسة و المجتمع في العالم الثالث، الدكتور: محمد علي محمد، الجزء الأول، دار المعرفة، 1995.

3- الأسس النفسية للتكامل الإجتماعي، مصطفى سويف، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

4- الإستخبارات الإسرائلية، نزار عمار، المركز العربي للدراسات الإستراتجية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، أبريل، 1976.

5- الإعلام والدعاية، الدكتور عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، 1974.

6- تأملات في الصراع العربي الإسرائيلي، الد/ حامد ربيع، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، يناير، 1976.

7 - دراسات في علم الإجتماع السياسي، الدكتور/ عبد الهادي الجوهري، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985.

8 - دراسات في علم النفس الإجتماعي، عبد الرحمن محمد عيسوي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1974.

9- الرأي العام و الدعاية، أحمد سويلم العمري، الدار القومية للطباعة و النشر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف الأنباء و النشر.

10 - سلسلة علم النفس، علم النفس الإجتماعي و الشائعات، دراسات عربية وعالمية محمود السيد ابو النيل، دار النهضة العربية، مصر.

11 - سلسلة المجتمع ن رولان كايرول، ترجمة مرشلي محمد، الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ابن عكنون، الجزائر، 1984.

12- سيكولوجية الإشاعة، جوردان البورت و ليو بوستمان، ترجمة الدكتور صلاح مخيمر و عبده ميخائيل رزق، منشورات جماعة علم النفس التكاملي، باشراف الدكتور يوسف مراد، دار المعارف، مصر، 1964.

13- علم النفس الإجتماعي، الد/ حامد عبد السلام زهران، جامعة عين شمس، عالم الكتاب، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1984 .

14- علم النفس الإجتماعي، الدكتور محمد مصطفى زيدان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .

15- العسكرية الإسرائيلية، تأليف هيثم الكيلاني، جامعة الدول العربية- معهد البحوث و الدراسات العربية، المطبعة العالمية، مصر، 1969.

16- مبادئ في علم النفس الإجتماعي، الد/باساغانا، ترجمة بوعبد الله غلام الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

17 محاضرات في علم النفس اللغوي، الد/حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1980.

18- مدخل لعلوم الإعلام والإتصال، الد/ زهير احدادن، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، ابن عكنون، الجزائر، الطبعة الثانية، 1993.

19- المدخل الى وسائل الإعلام، عبد العزيز شرف، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1980.

20- المرشد في علم النفس الإجتماعي الد/ عبد الحميد محمد الهاشمي، دار الشروق، جدة، الطبعة الأولى، 1404هـ /1984م.

21- المقدمة، ابن خلدون، الجزء الأول، الطبعة الأولى، الدار التونسية للنشر، جانفي 1984.

22- المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها و تطورها، أعلامها من 1903 الى 1931، تأليف محمد ناصر المجلد الثامن، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.

23- نحو تخطيط إستراتيجي للإعلام العربي، حسن محمد طولبية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة الثانية، 1981.

24- الواقعة السياسية، الد/ملحم قربان، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1981.

المعاجم :

1- ذخيرة علوم النفس، إنجليزي -فرنسي -ألماني -عربي، كمال دسوقي، المجلد الأول، الدار الدولية للنشر و التوزيع، القاهرة.
2- قاموس المصطلحات الإعلامية، إنجليزي -عربي، الد/محمد فريد محمود عزة، دار الشروق، الطبعة الأولى، جدة، 1984.
3- لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار بيروت للطباعة و النشر، دار صار للطباعة و النشر، 1388هـ 1967م.
4 - المعجم النقدي لعلم الإجتماع، ترجمة الد/ سليم حداد، الطبعة الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986.

المجلات و الجرائد و النشرات :

1- مجلة العلوم الإنسانية، منشورات جامعة قسنطينة، سلسلة ج، عدد 6، 1995.
1- جريدة الخبر ليوم : 19 ماي 1998 الموافق ليوم 22 محرم 1419هـ.
1- نشرة السابعة صباحا ليوم 1998/02/21، إذاعة البحر الأبيض المتوسط.

المراجع باللغة الفرنسية :

1- Algérie 88-Octobre - ABED CHAREF- L'Aphonie - 2ème édition - Alger.
2- Elément de Psychologie Sociale - RAMON BASAGANA - 2ème édition - Mai 1980 - Office des Publications Universitaires - Alger.
3- Introduction aux études interculturelles - Unexo - Paris - 76-1986 .
4- La Psychologie Sociale - Jean stotzel - édition , Flamarion .
5- La publicité et son enjeu social. Henry pierre jeudy -Presses Universitaires de france- 1er édition, 2ème trimestre 1977.
6- Psychologie et Culture, Concepts et Méthodes, Carmel Camilleri, Genevieve Vinsonneau, ARMAND COLIN-Masson Paris 1996.
7- CD ROM, Encyclopédie Universalis, France, S.A.

DICTIONAIRE :

1- The Popular Oxford Dictionary - Book club associates - published 1987- Oxford University press - Sixth édition .

JOURNAUX :

1- El-Watan (Quotidien) du vendredi 16 au samedi 17.

2- El-Watan (Quotidien) du 14 décembre 1997.

الفهرس